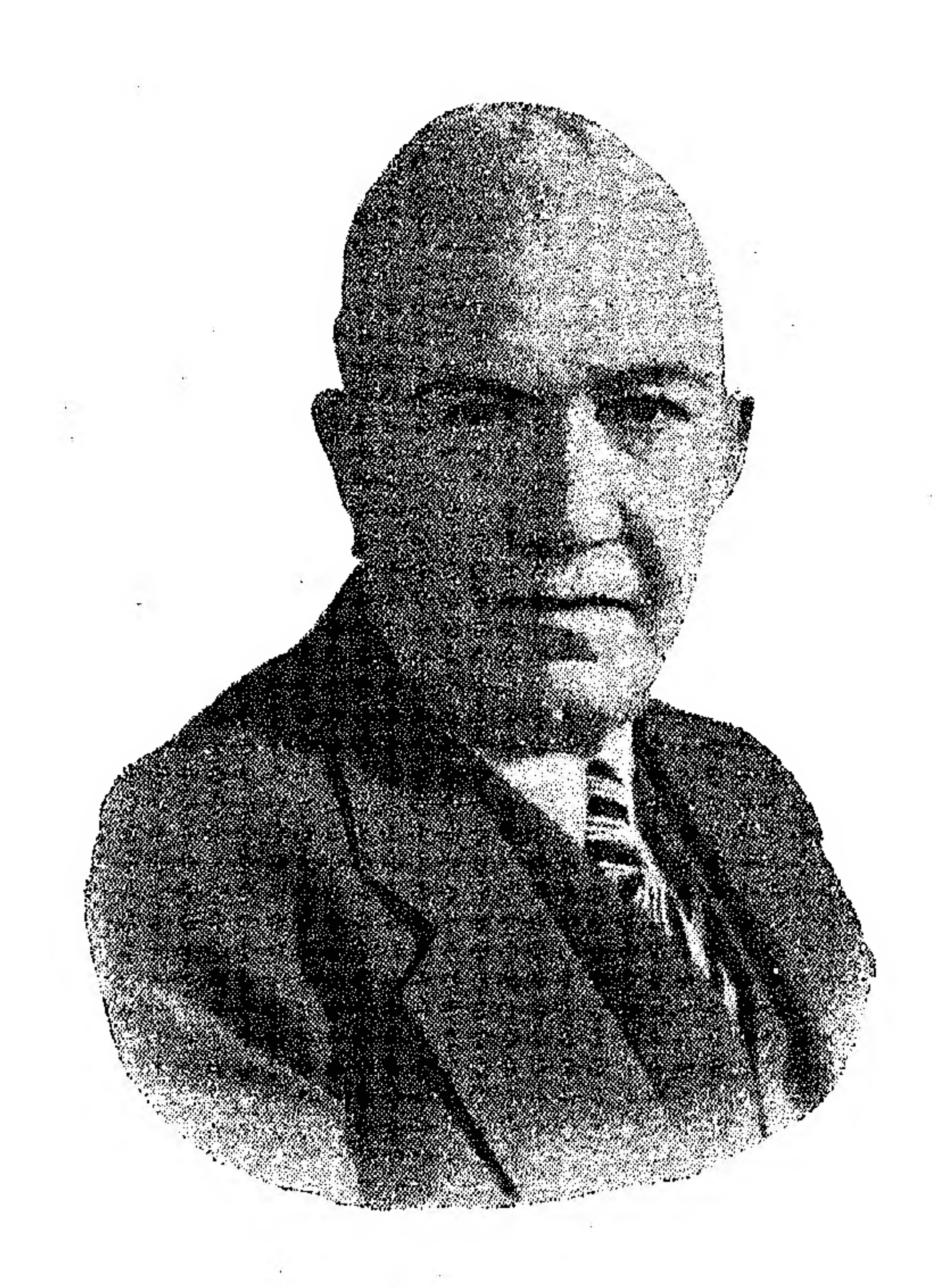


Bibliotheca Alexandrina
00118964

عزيز خانكي بك

اسكندر الاكبر

المطبعة العصرية
بشارع الخليج الناصرى رقم ٦ بالفجالة بمصر



عزیز بك خانكی

محمد على باشا الكبير

واسكندر الاكبر

محمد على باشا الكبير كان من اشدّ المعجبين باسكندر الأكبر . روى المؤرخان الفرنساويان كادالفين Cadalvène و بروفوى Breuvery – اللذان عاصراه وعرفاه وخالطاه – أن محمد على باشا سمع بتأليف كتاب في حياة اسكندر الاكبر طبع ونشر في فرنسا فأمر باحضاره . ولما عرض عليه الكتاب سألَ عن الزمن الذى تقتضيه ترجمته فأجاب المترجم « تستغرق الترجمة ستة شهور » فقال محمد على باشا « هذا زمن طويل » ثم استل سيفا من الحرَسي وشطر الكتاب ثلاثا وقال « الآن يجب ان تتم الترجمة في شهرين » بعد ذلك التفت الى الحاضرين واستأنف الكلام على الاسكندر قائلا « قيل لى ان الاسكندر و بطليموس من مقدونيا . وأنا أيضاً من مقدونيا . ان مقدونيا أنجبت ثلاثة تولوا حكم مصر . إلا ان سلطانى على هذه البلاد أوسع مدي . »

فالى روحي هذين العاهلين العظيمين أهدى هذا الكتاب

عزيز خانكى



اسکندر

مقدمة

☆

حياة الاسكندر كلها عجب . عجب من المهـد الى اللحد . فتى حياً العشرين من عمره يفكر فى محاربة أعظم مَلِك بسط سلطانه على اكبر امبراطورية فى عالم ذلك الزمان فيخرج من بلاده بجيش لا يزيد عدد جنوده على ٤٠ ألفاً (١) فيبسط سلطانه على أوروبا وآسيا وأفريقيا فى ثلاث عشرة سنة . يغزو – فى أوروبا – البلاد المعروفة فى ذلك الزمان من نهر الدانوب شمالا الى البحر الابيض جنوباً ومن مقدونيا غرباً الى البحر الأسود شرقاً . ويغزو – فى آسيا – البلاد الواقعة بين اقطار الهند شرقا وآسيا الصغرى غرباً . ويغزو – فى أفريقيا – ديار مصر من منبع النيل جنوباً الى مصبه شمـالا ومن ليبيا غرباً الى فلسطين شرقاً . فيبسط سلطانه على ربوع مقدونيا واليونان وبلغاريا والصرب والبانيا وعلى مناطق الفرس وسواد العراق وريف مصر ومشارف الشـام وبقاع أفغانستان وسايستان وبلوشستان وهندوستان وخراسان وجرجان ومازندران وبلاد الاناضول وأرمينيا وبابل وما اليها . وهى كما ترى أمبراطورية عظيمة لم تبلغ شأوها كسروية كسرى ولا قيصرية قيصر ولم تعدل شأنها فتوحات شارلمان ولا غزوات نابليون . ان إنشاء هذه الامبراطورية الضخمة فى ثلاث عشرة سنة على يد شاب حَدَث لم يخط الى العشرين عجب عجيب .

قال احد مؤرخيه انه لما مات اسكندر كان جسمه فى أرض آسيا وفكره كان يحلق فى سماء أوروبا

" Il mourut comme Moise les pieds encore sur l'Asie, mais les yeux déjà sur l'Europe "

الم يرو المؤرخون انه لما غادر اسكندر الهنـد ووصل الى سوس رحـل منها الى همذان ثم انتقل الى بابل وفيها قرر الطواف حول بـلاد العرب والبحر الأحمر ثم

---

(١) صدق من قال : " Une armée ne vaut que ce que vaut son chef "

تجهيز حملة قوية تؤيدها ١٠٠٠ سفينة حربية لغزو قرطاجنة (تونس) والبلاد المتاخمة لها وأسبانيا وجزيرة صقليه ثم يبسط سلطانه على ايطاليا الى ان يعود الى وطنه مقدونيا . هذا هو الاسكندر الذى عدّ - وعدّ بحق - اطروفة ذلك الزمان

لا يدرى الا الله ماذا تكون أمبراطورية الاسكندر لو اناف عمره على ثلاث وثلاثين سنة .

ما أبلغ ما قاله مؤرخ فى اسكندر وفى فعاله :

قال فى اسكندر « أن مجده وأسمه بلغا عنان السماء »

" dont la gloire et le nom s'élèvent jusqu'aux cieux "

وقال فى فعاله انها فعال جبابرة يقتضى تحقيقها عدة قرون :

" C'est une œuvre de géants et des siècles."

أبوه فيليب عاش شاباً وهو شيخ . وأسكندر عاش شيخاً وهو شاب. شاخ اسكندر وهو شاب لانه قضى حياته فى حروب وخطوب ثقال تشيب من هولها الولدان . صدق من قال :

" On vieillit vite sur le champ de bataille "

على انه لو لم يكن للاسكندر من أثر فى هذه الحياة الدنيا سوى تأسيسه مدينة الاسكندرية لكفاه فخرا أبد الآبدين ودهر الداهرين . مدينة الاسكندرية قال فيها أحد المؤرخين انها :

" La plus géniale des créations du grand conquérant, que Ptolémée encore satrape, avait prise aussitôt pour capitale"

* *

لما طالعت ما كتبه فطاحل المؤرخين فى حياة الاسكندر تولتنى الدهشة من عظمة هذه الشخصية العجيبة فحفزتنى الى كتابة سيرته ملخصة من الكتب التى طالعتها وهى تنيف على الستين .

المؤرخ الاوربى إذا كتب رجع الى المصادر الاصلية يستخرج منها الحقائق والدقائق . ولكى يستخرج الحقائق والدقائق من مصادرها الأصلية يبدأ بتعلم اللغات الأصلية التى دوّن بها تاريخ من يريد ان يكتب تاريخه :

خذ مثلا العالم الفرنساوى شامبليون Champollion فانه ليدرس تاريخ مصر القديم بدأ بكشف سر اللغة الهيروغليفية . ولكشف سر اللغة الهيروغليفية درس اللغات القبطية واليونانية والعبرية والعربية والكلدانية والصينية . ومن حسن المصادفات أن أول الأسماء التى حل طلاسمها وفك رموزها كان أسم اسكندر الاكبر . ومثله المؤرخ الألمانى درويزن Droysen فانه قبل ان يكتب تاريخ الاسكندر درس اللغة اللاتينية واللغة اليونانية ثم طالع كتب بلوتارك Plutarque وكنت كورس Quinte - Curce وكاليستين Callisthène وكسينوفون Xénophon واستقرى جميع أوراق البردى اليونانية التى نشرت حتى ذلك الأوان ويزيد عددها على عشرة الاف . كما طالع كتب غيرهم وغيرهم من القدماء فتجلت له عظمة شخصية الاسكندر فصنف كتابه المشهور مدفوعا بتلك الحقائق التى ملأت رأسه وبتلك العواطف التى ملأت قلبه . والقلم اذا نفث من جُلجُلان قلب الكاتب ابدع و اخرج الكتاب مطبوعا بطابع خاص هو طابع الحقيقة الحقة مع شىء من الطرافة . وهل أنتاج الكاتب الا قطعة من نفسه . صدق من قال ان التاريخ الحق ما يمليه القلب .

" Pectus fecit historicum, c'est le cœur qui fait l'histoire."

***

أحصى أحد المؤرخين الألمان — الأستاذ كيرشايزن Kircheisen وهو احصائى اخصائى — عدد المؤلفات التى كتبت عن حياة نابليون وعن أبيه وعن أمه وعن ابنه وعن اخوته وعن أخواته وعن زوجتيه وعن خليلاته فوجدها تبلغ ٢٠٠٫٠٠٠ والكثير منها أعيد طبعه غير مرة ومنها ما طبع ١٨ طبعة متوالية مثل كتاب مسيو تيير Thiers رئيس جمهورية فرنسا (١) . واذا عرفت ان نابليون ولد فى سنة ١٧٦٩

---

(١) ويقول المؤرخ الروسى Tarlé — استاذ التاريخ فى جامعة موسكو — ان نابليون خاض ٦٠ موقعة ومعركة أوروبا وفى أفريقيا وفى آسيا :

" Napoléon livra pendant sa vie environ 60 batailles grandes et petites (nombre incomparablement plus grand que celui des batailles réunies de César, d'Annibal, de Frédéric le Grand et de Souvorov.) V. Tarlé, p. 21."

وتوفى فى سنة ١٨٣١ مع انه لم يمض على وفاته سوى ١٢٢ سنة أمكنك أن تقدّر عدد المؤلفات التى وضعت عن اسكندر الأكبر وقد مضى على موته ٢٫٢٥٠ سنة .

ألف المؤرخون عن الاسكندر كتباً كثيرة باللغات اليونانية واللاتينية والانجليزية والألمانية والفرنساوية والروسية والايطالية والأسبانية والتركية والبرتغالية والمجرية والهندية وبجميع اللغات — الحية وغير الحية — المعروفة فى القارات الخمس . ومع مضى ٢٫٢٥٠ سنة على موت الاسكندر ومع أن الاسكندر غزا مصر وطرد الفرس منها وأسس مدينة الاسكندرية وأرسل بعثة لكشف منابع النيل وعمّر ورمم وجدد معابد وهياكل مصرية كثيرة فانى لم أعثر على كتاب وضع فى حيــاة اسكندر الأكبر باللغة العربية الا كتاب واحد ألفه حضرة الاستاذ اسماعيل مظهر فى سنة ١٩٣٧ جاء مقصوراً على « قيصرية الاسكندر فى مصر » . واقامة الاسكندر في مصر لم تطل غير ستة اشهر

الكتب التى وضعت فى حياة اسكندر الأكبر فى السنين الأولى التى تلت وفاته ذهبت مع الريح ولم يبق منهــا الا القليل . أهمها جريدة رسمية لغزوات اسكندر ومذكرات اسكندر نفسه وكتاب بطليموس الذى كان من قواد اسكندر وصحبه فى جميع غزواته وحضر معه الى مصر (ثم استوى على عرش مصر وأسس أسرة البطالسة التى حكمت مصر ٢٩٣ سنة) ويوميات وحوليات ايفيب Ephippe الذى ندبه اسكندر لكتابة تاريخ حروبه وغزواته واستصحبه معه . وخُطب ديموستين وكُتب ارسطاطاليس والرسائل التى تبادلها الاسكندر وأمه ورسائل الاسكنــدر الى انتيباتر Antipater الذى أنابه عنه فى مقدونيا . وبعد ٣٠٠ سنة ظهرت مؤلفات أخرى لديودور الصقلى Diodore وبومبيه Pompée وكنت كورس Quinte — Curce وبلوتارك Plutarque وأريان Arrien وارستوبولس Aristobulus . أما الكتب التى وضعت بعد ذلك فقد اتخذت هذه المراجع أساساً لها ثم أضافت اليها ما كشفت عنه الحفريات التى عملت فى مقدونيا وفى بــلاد اليونان (ولا سيما فى أثينــا وفى اسبارطه) وفى تراقيــا وفى بلاد الاناضول (تروادة) وفى بلاد الكلدان والآشوريين وفى صور وصيــدا ومصر وبابل وفى بازار جاد وبرسبوليس وسوس وطرسوس وفى أربل وقندهار وسمرقند وفى بلخ وفى الهنــد وفى غيرها من البلاد التى غزاها .

اذ أن هـذه الحفريات كشفت عن توابيت ونواويس وحلى وأوان وبردى وعملة ورقيات وعوذات وجعارين ومخطوطات ومنظومات . كما كشفت عن معابد وهياكل ومصاطب عليها نقوش وكتابات قيمة جداً تسرب معظمها الى متاحف لندره وباريس وبرلين وروما والفاتيكان وتورينو ومصر واسكندرية واستانبول .
ويوجد فى متحف استانبول ناووس كبير فخم (نشرنا صورته فى هذا الكتاب) قيل انه للاسكندر : على جوانبه رسوم تمثل قتالا بين الروم والفرس . ولعل أهم الكتب التى وضعت فى القرن التاسع عشر عن حياة الاسكندر كتاب المؤرخ الالمانى درويزن Droysen ظهر فى سنة ١٨٣٣ ولكن لم يشتهر ويذع صيته إلا بعد مائة سنة يوم احتفل بعيده المئوى . ثم كتاب وضعه مؤرخ المانى آخر هو أولرك فيلكن Ulrich Wilcken الاستاذ بجامعة برلين [1] وقد ألف عشرة كتب عن الاسكندر . أضف اليهما العالمين الالمانيين مومسن Mommsen وايبرس Ebers . أما الكتب التى وضعت باللغة الفرنساوية فمن أوفاها كتب جورج راديه Georges Radet وقد رجعنا اليها هى أيضاً فيما كتبناه عن اسكندر . ومن المؤرخين الفرنساويين أيضاً وجوجيه Maspéro وماسبيرو le vice - amiral Jurien de la Gravière و Oppert. ورو سل Jouguet وروسل Roussel وبوا Bois وسنت كروا Sainte - Croix . ولعلماء انجلترا مثل Tarn و Sir Aurel Stein و Taylor و Hogarth – وعلماء ايطاليا مثل Carraroli وعلماء روسيا واميركا كتب كثيرة عن الاسكندر

وهذا الكتاب هو أول مؤلف وضع باللغة العربية فى حياة الاسكندر من بدايتها الى نهايتها .

عزيز خانكى

---

(١) وهو الذى قلنا عنه فى ذيل صفحة ٧٤ انه (العالم الاوحد فى العالم كله الذى درس جميع أوراق البردى اليونانية التى نشرت حتى الآن ويزيد عددها على ١٠٫٠٠٠)

كلمة

شاعر القطرين الأستاذ خليل بك المطران

حضرة الصديق الكريم الأستاذ الكبير ، عزيز خانكى بك

أمتعتنى باطلاعى على ما أخرجته المطبعة أولا فأولا من كتابك فى الاسكندر وهو أوفى ما عرف الى الآن من تاريخ ذلك الفاتح العظيم فأشكر لك تلك الرعاية وأرجو ملحاً أن تزيدنى مكرمة بنشر ما أوحته إلىّ تلك القراءة فى مكان تختاره له بين دفتى مؤلفك الجليل :

« خزانة علم فى سفر . كم تاريخ حول هذا التاريخ . وكم قصة حول هذه القصة . وكم مقارنة وكم مشاكاة وكم استدراك وكم استطراد مما احتوته بطون الأسفار من أقدم العهود الى هذا العهد قد كشفت عنها الأستار أو نفض عنها الغبار وجاءت فى أماكنها تملأ الأذهان أنواراً أو تستأنف على أروماتها الجافة نضارة وازدهاراً

« هذا فى الجملة هو كتاب « الاسكندر »

« ولقد يخيل الى قارىء هذه الكلمة انها تقريظ وليست بتقريظ . هى كلمة حق ألحت على الصديق العلامة مؤلف هذه السيرة أن يفسح لها مكانا فيها . هى حكاية حال وخلاصة مطالعة بعيدة المدى مترامية الأطراف فى صحائف كأن الدنيا بتالدها وطريفها تمر تحت سطورها . فان تكن ثناء فما أحب الثناء جزاء لمستحقه وما أقبحه سُبة لمن هو به غير جدير

أما مزايا هذه السيرة على سائر ما نشر من السير للاسكندر فمتعددة متنوعة أتيح لى أن أطلع على بيان لخصها أبرع تلخيص فى رسالة للباحثة الفاضلة السيدة المتسمية باسم « بنت بطوطة » فآثرت نقلها عن الفرنسوية وهى بحرفها :

« لا أعرف كيف أعبّر عن اعجابى بل عن اكبارى

« كوجاس كوجاس[1] أنت مؤرخ عظيم . لم تقصر شأن كتابك على أن تخطه يد الالمعى المجيد الذى ذاع صيته فى الناس قاطبة بل جعلته «موسوعات» تاريخ لم يخطئها تفصيل أمر مما وقع فى أى زمان أو فى أى مكان

« أن تعليقاتك آيات بينات لو جمعت منفردة لاجتمع منها كتاب ضخم من التاريخ

« بماذا تسنى لك أن ترسم هذه الصور المتسلسلة وأن تهيىء لها هذا الشبهَ العجيب بالوقائع نفسها — ليس هذا فيما أظن من مادة قلم عادى بل من مادة منقاش ساحر فى يد صائغ ماهر

« مامن مؤرخ قديم أو حديث – فى رأيى الضعيف – وفق الى ابراز الاسكندر فى صفته الانسانية كما ابرزته . لقد أجمعوا على تصوير ذلك الفاتح اللامع ، والمشيد العبقرى للملك الواسع ، بصورة آله حرب هو أقرب الى الاعجاز الخيالى منه الى حقيقة الانسان

« جعله « كنت كورس Quinte - Curce » ضَرْبًا لايُقرُّه العقل من ابطال القصص الوهمية

« وجعله « تاسيت Tacite » نفسه على ابداعه فيما يرسمه شيئا غير الانسان الحى

« وجعله « اريان Arrien » شخص اسطورة من اساطير الجن

« وجعل منه « هاتسفلد Hatzfeld » جزار أمم

« وجعل منه « سيدل هارت Siddel Hart » خبيرًا حربيًا وعسكريًا نسيج وحده فى العالم له دماغ عجيب ولا قلب له

« وجعل منه « اولريخ ويلكن Ulrich Wilcken » انسانا فوق الانسان او بنَّاء عسكريا لم يجر عليه من احكام الانسانيه الا أن يموت كما يموت عامة الأحياء .

« مرحى مرحى » اهـ

---

[1] Cujas هو اسم علامة فرانسوى كان فى زمانه – أى بين سنة ١٥٤٠ و ١٥٩٠ – أشهر علماء القانون والتاريخ فى العالم

Mon cher Aziz Bey, وها الاصل الفرنساوى :

" Je ne sais comment exprimer mon admiration et mon enthousiasme.

" Cujas, Cujas, vous êtes un grand historien. Vous n'êtes pas seulement ce superbe styliste et grammairien arabe connu de tout le monde, mais aussi une encyclopédie historique, où pas un détail concernant toutes les époques, de tous les pays, de toutes les histoires, ne fait défaut.

" Vos renvois sont des chefs-d'œuvre, et pourraient à eux seuls former un autre ouvrage historique.

" Avec quoi avez-vous tracé ce déroulement d'images pour leur donner ce relief saisissant du réel? Pas avec une plume ordinaire, je suppose. Alors avec quoi? Le burin magique d'un prestigieux ciseleur?

"Il n'y a pas un historien, ancien ou moderne, d'après mon humble avis, qui ait su donner autant que vous, un caractère humain à Alexandre. Tous ont fait du fulgurant conquérant, du génial bâtisseur d'Empire, une espèce de divinité guerrière, qui tient beaucoup plus du prodige que de l'humain.

" Quinte-Curce " en fait un invraisemblable héros de roman imaginaire.

" Arrien " un personnage de conte de fée.

Même l'originalité pittoresque de " Tacite " n'a pu faire d'Alexandre un être vivant.

" Hatzfeld " en fait un massacreur de races.

" Siddel Hart " un stratège, un soldat unique au monde avec rien qu'un prodigieux cerveau sans âme.

" Ulrich Wilcken " en fait un être surnaturel, sorte d'architecte militaire, si vous préférez, et dont la seule chose d'humain qui lui serait arrivée était de mourir comme le commun des mortels.

" Cujas, ne vous imaginez pas que ce que je vous dis, c'est de la flagornerie. Mais vous avez fait vivre Alexandre, battre Alexandre, sentir Alexandre, souffrir Alexandre, aimer Alexandre, comme un être humain vivant et réel, tout en laissant à Alexandre son génie qui le place au dessus des hommes, tout en étant homme.

" Et c'est là, voyez vous, que vous vous êtes révélé un grand historien psychologue, ça c'est: عبقرية خانكى

"Mon cher, c'est bien plus beau que votre " Ata Turc " qui est déjà une fort belle-œuvre, - or - votre " Alexandre " vous serez obligé de le rééditer souvent, c'est un livre à énorme tirage.

" Et où diable voulez-vous que nous, les misérables petits apprentis historiens, allions devant un géant comme votre livre ? Nous devrions casser nos plumes et renverser nos encriers ! !

" Maintenant comme petit gratte-papier, laissez moi vous crier mon admiration ; comme musulmane, laissez-moi vous remercier avec émotion pour avoir, dans un de vos renvois, rendu cette superbe justice de grandeur, à Omar ibn El Khattab, trop méconnu : merci; comme égyptienne, je vous dirai, Cujas, que vous avez bien mérité de la patrie Egyptienne et de ses lettres en léguant au pays une œuvre historique de cette envergure. Bravo !

- Bent Batouta - 27-11-1942

هذا ما كتبته تلك المؤرخة الاديبة ولا كلام لى بعده سوى ان اضيف البيان الصغير الآتى :

كان الأستاذ الكبير عزيز خانكى بك أول من كتب مقالات فى الصحف اليومية تحت عنوان « ماقل ودل » فهو بهذا العنوان قد صور مذهبه فى الكتابة على تعدد الأنواع والأغراض التى اجرى يراعته فيها . ولعله فى سيرة الاسكندر قد جاء بأبلغ شاهد على صدقه فى مذهبه هذا . فكتابه على صغر حجمه سفر من أضخم الأسفار

وليست العبرة بالجمع والحشد من كل مظنة لما دعت اليه معارض الكلام وهو مالا يستطيعه الا القادرون الصابرون بل هى كذلك فى حسن الأداء وتوخى الفصاحة والبلاغة فى الانشاء . وانها لمزية فوق ما تقدم ذكره ، جديرة بالذكر الخاص والثناء الخالص

فهذه السيرة قد ردت بقوة الى الاسكندر حقيقته الانسانية والى التاريخ سلامته من الشبهات وكرامته .

خليل مطران

١٩٤٣/٣/١٠

اسكندر الأكبر

وغزو مصر

(١)

نهاية عهد فيليب . وبداية عهد الاسكندر

اغتيال فيليب

فى سنة ٣٣٦ قبل ميلاد المسيح اغتال أحد أشراف مقدونيا[١] والد اسكندر الأكبر فيليب ملك مقدونيا[٢] بضربة خنجر فى مدينة أجيه Aegæ [٣] بينما كان داخلاً أحد مسارح المدينة فى يوم الاحتفال بزواج بنته كايوباترة (أخت الاسكندر)

---

(١) اسمه بوزانياس Pausanias . كان الاسكندر غائباً عندما اغتيل أبوه . فلما عاد أمر بشنق بوزانياس أمام قصر والده على الرغم من شفاعة والدته . وقد ثبت فيما بعد ان والدة الاسكندر هى التى حرضت بوزانياس على قتل زوجها .

(٢) أم فيليب كانت البانية اسمها أوريديس Eurydice بنت أمير البانى اسمه ايراس Irras . وأبو فيليب كان اسمه أمينتاس Amyntas ملك مقدونيا . أما ام الاسكندر اولمبياس Olympias فكانت بنت نيوبتوليم Néoptolème ملك الولوس Roi des Molosses (يانينا). كانت يتيمة الابوين في حجر اخيها اريمباس Arymbas فخطبها منه. كان اسمها بوليكسين Polyxéne واستبدلته باولمبياس تيمناً باسم جبل مقدس عندهم. وقد ولدت الاسكندر وعمرها ٢٠ سنة وبعد سنة واحدة رزقت بكليوباترة أخته ولم تخلف غيرهما . وكانت اولمبياس سيدة عاقلة تربت تربية عالية . ولما اعتزم ابنها الاسكندر غزو بلاد اليونان وتراقيا ودّعته ودعت له بقولها (اللهم ارزقه حظاً يستخدم به ذوى العقول ولا ترزقه عقلا يخدم به ذوى الحظوظ) فاستجاب الله دعاءها وكان ما تمنّت .

(٣) كان اسمها قديماً Edesse في عهد الملك برديكاس Perdicas . وأوجيه معناها معزة Aiyni . سميت بذلك لأن كارانوس ملك مقدونيا اقتفى ذات يوم في أثر معزة الى أن وصلت به الى هذه البلدة فسماها باسم Aegœ أى معزة . وبعد ذلك نقل فيليب عاصمة مقدونيا الى مدينة بيللا Pella مسقط رأسه . وهى التى سماها الاغريق بعد ذلك Agii Apostoli . والترك استبدلوا اسمها باسم ينيتسا yenitsé أو بانيتسا Panitsé . وهي تبعد ٢٠ كيلو متراً عن البحر قريباً من قوالة (مسقط رأس محمد على باشا الكبير) وفي بيللا هذه ولد الاسكندر . (وفي رواية أخرى ان ينيتسا تبعد عشرة كيلو مترات عن Agii Apostoli)

يملك بلاد أبيروس[1] . وبموت فيليب - وكان عمره ٤٧ سنة - انتقل الملك إلى إبنه اسكندر - وكان قد حيّا العشرين من عمره[2]

وقبل أن يستوى الاسكندر على عرش مقدونيا كان أبوه قد عنى بتربيته تربية عالية واختار مربياً له أكبر فلاسفة اليونان : أرسطاطاليس Aristote الشهير الذى لا يزال اسمه يدوى فى أرجاء المعمورة حتى اليوم على الرغم من مضى ألفى سنة على وفاته[3] . تولى ارسطاطاليس تربية اسكندر ابتداء من سنة ٣٤٣ قبل الميلاد وكان عمر الاسكندر ١٣ سنة .

---

(١) أبيروس Epire جنوب البانيا حيث توجد الآن مقاطعة يانينا

(٢) معظم الذين استبدوا بالسلطة واستأثروا بها وصالوا وجالوا في البلاد فتحاً وغزواً كانوا في شرخ الشباب ولعل أصغرهم سناً كان أتيلا Attila اذ كان غلاماً عمره ١٥ سنة . وبعده محمد بن القاسم الثقفى فاتح السند ولم يكتمل الثماني عشرة سنة وهو الذى قال فيه القائل

ساس الجيوش لسبع عشرة حجة . يا قرب ذلك سوددا من مولد

ثم هانيبال وقد راهق العشرين . ثم الاسكندر وكان فتى عمره ٢٠ سنة . ثم فيليب — ابو الاسكندر— تولى الملك وغزا بلاد البلقان ولم يكتمل ٢٤ سنة . ونابليون لما غزا ايطاليا وطرد النمساويون منها كان مجتمعاً عمره ٢٦ سنة . ومحمد على باشا الكبير كان شاباً عمره ٣٦ سنة لما استأثر بالسلطة في مصر . وموسوليني كان شاباً عمره ٣٩ سنة لما زحف على روما واستبد بالحكم . واتاتورك كان شاباً عمره ٤٠ سنة لما اعلن استقلال تركيا واستبد بالسلطة . وستالين كان مثله شاباً عمره ٤٠ سنة لما استأثر بالسلطة في روسيا . وهتلر كان كهلا عمره ٤٤ سنة لما دعاه الماريشال هندنبورج ليتولى الحكم . وكرومويل كان كهلا عمره ٤٦ سنة لما اعدم الملك واستبد بالحكم . ويوليوس قيصر كان كهلا عمره ٤٨ سنة لما بسط سلطانه على الامبراطورية الرومانية . صدق من قال (العجز للعجوز)

ملاحظة : تقول العرب للفتى اذا اجتمعت لحيته وبلغ غاية شبابه فهو مجتمع . ثم ما دام بين الثلاثين والاربعين فهو شاب . ثم هو كهل إلى أن يستوفى الستين .

(٣) وها نص الكتاب الذى ارسله فيليب الى ارسطاطاليس عقب ولادة الاسكندر وفيه طلب منه ان يتولى تربيته وتعليمه :

« ان غبطتى بولادة ابنى ليست أعظم من غبطتي بولادته في عصر وجدت أنت فيه . أنى واثق بأنه اذا تربي وتعلم تحت رعايتك وعنايتك فانه ينشأ نشأة تجعله خليقا بنا واهلا للتراث العظيم الذى نتركه له »

وارسطاطاليس هذا او (ارسطو) مقدونى الاصل (مثل فيليب والاسكندر) كان يعيش فى أثينا عيشة بؤس وضنك . تتلمذ على افلاطون اكبر فلاسفة العالم فى ذلك العهد . ولما مات



فيليب ابو الاسكندر

فكر الأستاذ فى ابعاد تلميذه عن ملاهى حاضرة مقدونيا - مدينة بيللا - وعن ملاذها[1] واختار له مكاناً قصياً بلدة ميزا (Mieza) فيها لبث يعلمه ويربيه ثلاث سنوات كاملة.لقنه الأدب اليونانى والفلسفة والتاريخ ومبادىء الطب (وقد طبّب بالفعل كثيراً من جرحى جنده) فحفظ الاسكندر كثيراً من الشعر اليونانى ولا سيما «الأليـاذة» المشهورة. ولم ينقطع الاسكندر عن الدرس وارسطاطاليس عن التدريس إلا فى سنة ٣٤٠ لما اعتزم فيليب فتح بيزانطه (القسطنطينية قديماً واستانبول حديثاً) فنصب ابنه الاسكندر قائمقام المملكة مدة غيابه وكان عمره لا ينيف على ١٦ سنة.

كان ارسطو خير معلم والاسكندر خير تلميذ. أرسطو غزا العالم بعقله الجبار والاسكندر غزا العالم بسيفه البتار.

وفيليب - أبو الاسكندر - كان من أعظم رجال الحرب اشتهر بمدارسة الحروب

افلاطون فى سنة ٣٤٧ قبل الميلاد رحل ارسطاطاليس إلى مقاطعة ترواده ودرس فيها مع بعض تلاميذ افلاطون. ومنها انتقل إلى مدينة أسوس Assos ثم إلى مدله Mytilène وكان أبوه نيكوماك Nicomaque طبيباً في بلاط الملك أمينتاس Amyntas ملك مقدونيا (والد فيليب ابى الاسكندر) وكان فيليب قد غزا مدينة ستاجير Stagire مسقط رأس ارسطاطاليس. فكر فيليب فى دعوة ارسطو ليتولى تربية ابنه الاسكندر.وليستميله وعد بترميم وتعمير مدينة ستاجير فرممها وعمرها واعاد من شردهم واطلق من اسرهم واعتق من استرقهم. وبمجرد ما دعاه فيليب ليتولى تربية ابنه الاسكندر لبي الدعوة وكان عمره ٤٠ سنة وسافر إلى مدينة بيللا Pella عاصمة مقدونيا التى سميت في حكم الترك ينيجه Yenidjé أو Yenitsa وهى من أعمال ولاية سالونيك

(١) ويظهر ان قدماء الهنود اخذوا عن ارسطو هذا النوع من التربية. لأن قدماء الهنود كانوا ينشئون مدارسهم بعيدة عن المدينة وضجيجها ويسمونها (اسرم) أو مدارس الغابات. وهى مدارس أشبه بدور النسك والرهبنة منها بالمدارس الحديثة العصرية. وكان التلميذ يوضع تحت رعاية جورو (أو الرجل الحكيم) يأخذ عنه العلم والحكمة ويعيش في أحضان أمه الطبيعة. وهذا النظام هو الذى مال اليه طاغور شاعر الهند الكبير وشغف به. وقد عمل به بمدرسة شانتى نكتان — ومعناها موطن الأمن — فى مدينة بالبوز. والمدرسة أنشأها أبوه وجعل منها مسكناً وحديقة ومعبدا ومكتبة وغيرها من المرافق التي تيسر للتلامذة كل أسباب الراحة والدراسة بعيداً عن ملاهى المدن وضجيجها وملاذها.

وممارسة القتال . فى خلال خمس سنوات انتصر على أعدائه تسع مرات فى تسع وقائع . وكان فى نيته غزو امبراطورية الفرس ولكن المنية عاجلته قبل أن يحقق أمنيته فحققها ابنه الاسكندر من بعده .

لم تقتصر عناية فيليب على تربية ابنه الاسكندر تربية عقليـة وأدبية عن يد ارسطو . بل كان وجه همه أيضا من قبـل الى تربية الاسكندر تربية بدنية ناط بها أثنان من خيرة المربين هما ليونيداس Léouidas وأبيروس Apiros من ذوى قرابة اولمبياس Olympias (والدة الاسكندر) . عكفا على تعليم الاسكندر وتدريبه على جميع الالعاب الرياضية والحركات البدنية وركوب الخيـل واستعمال الأسلحة وسائر اعمال الرجولة والبطولة والفروسية . مثل السباحة والرماية والمصارعة والمبـارزة حتى استطاع الاسكندر وهو فى سن العاشرة ان يصارع ويصرع الفتيان الأسن منه[1].

يروى ان احد هواة الخيل (اسمه فيلونيكوس Philonicus من اهالى تساليا) عرض على فيليب ان يبيعه بمبلغ ٣٠٠٠ جنيه جوادا أصيلا لم تر العين مثله رشاقة وجمالا حتى لما وقع نظر أحد الشعراء عليه صاح قائلا يستأهل هذا الجواد اربع قصائد مدحا فى انسجام جسمه وخفة حركاته. حقا ان العين لم تر مثل هذا الجواد حسنا وجمالا . لم يستطع فيليب ان يجربه لأن عرجا كان اصابه فى رجله وكسرا أصابه فى ضلوعه . فعرض على شاب من اولاد أحد قواده ان يركبه . فلما هم الشاب بركوب الجواد حرن الجواد والقى الشاب على الارض . حاول شاب آخر ركوب الجواد فلم يفلح . وكلما هم فارس ركوب الجواد سقط . فتحطم فيليب غيظا وصاح فى الحاضرين أليس فيكم فارس يستطيع كبح جماح هذا الجواد . حقاً انها لفضيحة . وقع هذا الكلام فى قلب ابنه الاسكندر وقع الصاعقة فتقدم - وكان عمره ١٣ سنة - وطلب من أبيه أن يسمح له بركوب الجواد. دهش أبوه وقال له كيف تستطيع أن تفعل ما عجز عنه من هم أكبر منك سناً وأكثر مراناً. فألح الاسكندر . إلا أن وزراء فيليب وقواده نصحوا لفيليب أن لا يسمح للاسكندر بركوب هذا الجواد كي لا يعرض حياته للخطر . فكر فيليب فى الأمر ثم سأل صاحب

---

[1] ومن توارد الخواطر أنك تجد هذا البرنامج موجزاً ايجازاً بليغاً فى كلمة لعمر بن الخطاب رضى الله عنه عندما قال « علموا أولادكم العوم والرماية . ومروهم فليثبوا على الخيل وثبا . ورووهم ما يجمل من الشعر »



اسکندر

الجواد عن ثمنه. فذكر له رقماً فاحشاً دهش له الحاضرون . فالتفت فيليب الى ابنه وقال له (اذا نجحت كان الجواد لك وإذا فشلت كان الجواد لي لوضاع عليك ثمنه) فقبل الاسكندر الرهان . وما هي إلا هنيهة حتى امتطى الاسكندر الجواد وصال به وجال امام الحاضرين فكان الجواد أطوع اليه من بنانه[1]. فصفق له الحاضرون جميعاً وتقدم ابوه واحتضنه وقال له (ان مقدونيا صغيرة بالنسبة اليك يا أبني . فابحث لك عن بلاد غيرها واسعة تسع بطولتك). فكان هذا هو الوسام الأول لحياته الحربية الطويلة المجيدة.

أما الوسام الثاني – ففي الحملة التي سيرها وقادها بنفسه لمقاتلة قبيلة شديدة البأس من قبائل تراقيا رفعت راية العصيان منتهزة فرصة انشغال فيليب بمحاصرة بيزانطه وتخليه عن ادارة الحكم إلى إبنه اسكندر . أظهر الاسكندر في هذه الحملة براعة حربية فائقة بهرت رجال الحرب . وكانت هذه الحملة أول حملة عسكرية قادها بنفسه وعمره يتراوح بين السابعة عشرة والثماني عشرة سنة . نشبت المعركة وكانت شديدة تشيب من هولها الولدان . فانتصر الاسكندر انتصاراً مبيناً واستولى على عاصمة تراقيا ودمرها ولم يترك فيها انسياً . ولكن بعد أن دمرها أعاد بناءها وسماها ألكسندرو بولس Alexandropolis (أي مدينة الاسكندر)فكانت أول مدينة سميت باسمه .وقد عمل بالسنة التي استنها أبوه من قبل عندما أطلق اسمه علي مدينة فيليبو بولس Philippopolis

والوسام الثالث –ولعله الوشاح الأكبر–الذي ناله الاسكندر قبل ان يستوي على عرش مقدونيا–في الجراءة والمهارة والبطولة التي اظهرها في الاستيلاء على مدينة كيرونيه Chéronée(وهي مسقط رأس بلوتارك Plutarque المؤرخ الكبير واسمها الآن Capraau) ببلاد اليونان . ذلك ان فيليب في اثناء غزوه بلاد اليونان ومقاتلة جيش أتينا وطيبه

---

(١) وهذا الجواد هو الذي احتفظ به الاسكندر طول حياته . وكان يركبه في جميع غزواته وقد سماه بوسيفال Bucéphale . ولما قتل الجواد في واقعة من وقائع الاسكندر في الهند – عندما كان يحارب الملك Porus – حزن عليه حزناً كبيراً . ولتخليد ذكراه شيد مدينة في الهند سماها باسمه Bucéphalie تقع امام مدينة Djelem (في الهندستان — بنجاب). وكان لهذا الجواد فضل انقاذ اسكندر من الموت غير مرة

* وعادة تسمية الخيل والسلاح بأسماء خاصة كانت شائعة عند العرب أيضا . كان للنعمان بن المنذر من ملوك الحيرة (ممدوح النابغة الذبياني وحسان بن ثابت وحاتم الطائي) فرس اسمها « يحموم » وكان للنبي عليه السلام « سيف محلى يسمى ذا الفقار . وكانت له درع موشحة بنحاس تسمى ذات الفضول . وكان له سرج يسمى الداج . وبساط يسمى الكنز . ومقراض يسمى الجامع . وقضيب يسمى الممشوق . ومرآة تسمى المدلة . وركوة تسمى الصادر . وقصعة يقال لها الغراء » .

حاصر مدينة كيرونيه. ولما عجز عن فتحها طلب من ابنه الأسكندر - وكان فى مقدونيا - أن يرسل اليه مدداً من الرجال والعتاد . ولشد ما كانت دهشة فيليب عندما رأى ابنه الاسكندر قد حضر بنفسه راكبًا جواده « بوسيفال » على رأس قوة كبيرة من مشاة وفرسان مقدونيا ليمد يد المساعدة إلى والده . ولما اشتد الحصار وضيق فيليب الخناق على أهل كيرونيه هموا بالخروج. فانتهز الاسكندر فرصة ابتعادهم عن أسوار المدينة واندس برجاله فى الثغرة المفتوحة امامه . وبهذا وقع الأعداء بين نار رجال الاسكندر ونار رجال فيليب فـهلوا . فدخل الاسكندر المدينة واستولى عليها وأخذ فى تحطيم أسوارها واستحكاماتها. ولم تأذن الشمس بالغروب إلا والمدينة أصبحت أطلالاً وبقى اسمها علمًا على نصر مبين كتب للاسكندر[1] . ولما خطا فيليب نحو ابنه ليهنئه بهـذا الفوز العظيم أجابه الاسكندر - وقد أشار إلى كليتوس Clitus أخيه فى الرضاع - (بل اشكر كليتوس فان سيفه أنقذنى من الموت) . اختار فيليب من بين الأسرى فتاتين من أجمل بنات اليونان لم يقع الطَرف على اتم منهما حسنًا وعرضهما على ابنه فأبى وقال بل اهدهما إلى كليتوس فهو أحق بهما منى .

لم يكتف المربيان - ليونيداس وأبيروس - بتربية الاسكندر تربية بدنية بل طافا به فى جميع انحاء مقدونيا والبلاد المجاورة فدرس الاسكندر مدنها وقراها وجبالها وسهولها ووديانها وأنهارها وقنآتها علماً وخُبراً .

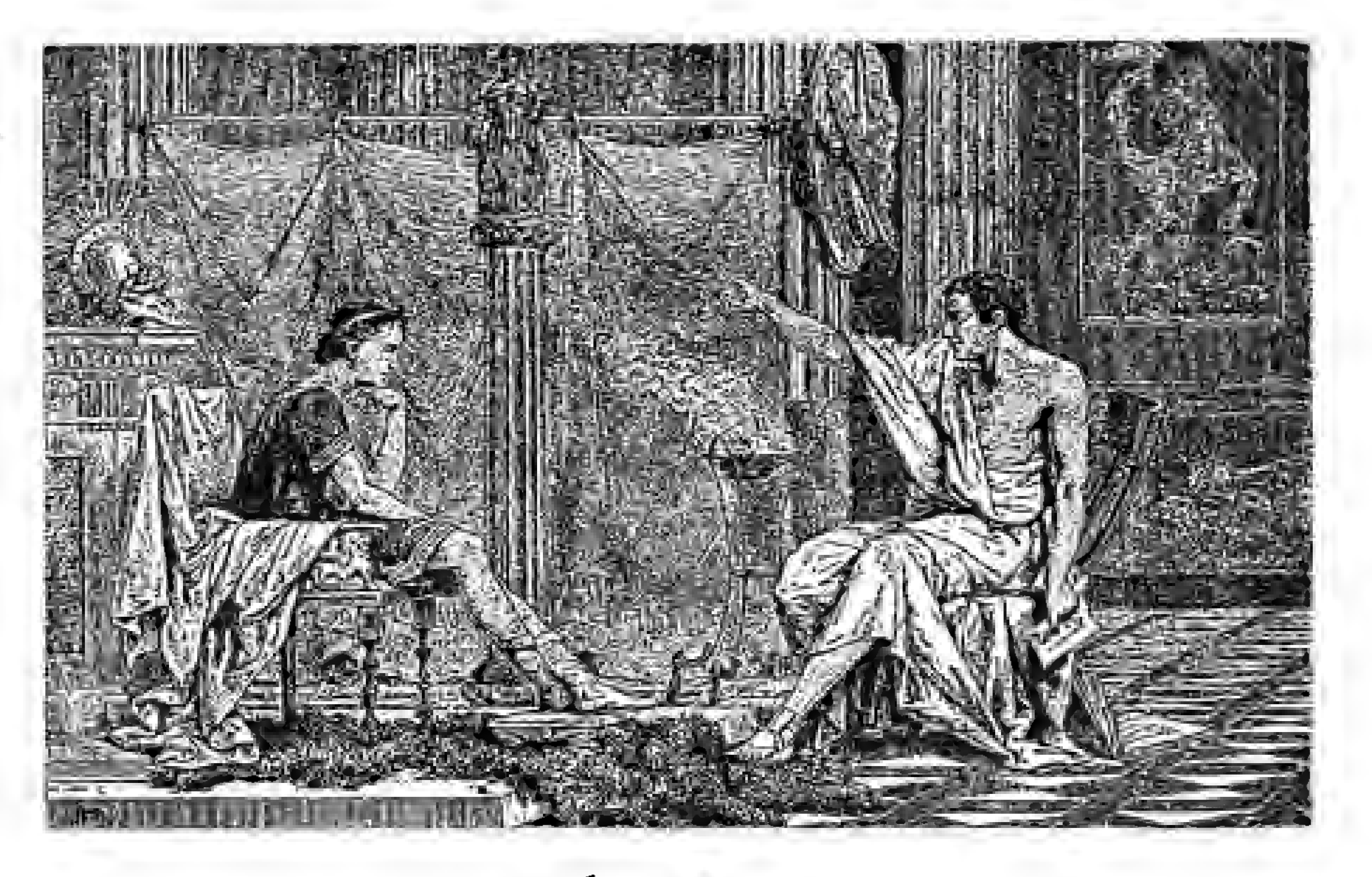
شقاق بين الابن وابيه

فى مدة ولاية العهد شجر شقاق بين الاسكندر وأبيه مرتين :

المرة الأولى : على أثر عقد زواج فيليب ببنت مقدونية كانت آية فى الجمال هام بها فيليب ثم راودها عن نفسها فأبت فخطبها من عمها أتالوس Attalus وتزوجها .

---

(١) وفضلا عن اشتهار هذه المدينة بانتصار فيليب والاسكندر على حيش أثينا وطيبا فى خلال سنة ٣٣٨ قبل المسيح فان هذه المدينة مشهورة أيضا بانتصار سيلا Sylla (٢٠٠٠٠ جندى رومانى) على أرخيللاوس Archellaus قائد جيش متريدات Mithridate (١٠٠٠٠٠ جندى اسيوى) فى خلال سنة ٣٨٦ قبل الميلاد .



ارسطاطاليس وتلميذه اسكندر

ومن فرط شغفه بها أقام لها عرساً لم تر العين مثله بهاء . دعا اليه كثيراً من الأمراء والأشراف والعظماء والوجهاء . كما دعا اليه اصدقاءه الأقربين والأبعدين الذين وثقت بينه وبينهم الطاس والكاس . حضر الاسكندر حفلة زواج أبيه بكليوباترة على كراهة منه وكان معه صديقاه هيفيستيون Héphestion ونيارك Néarque وفى اثناء الحفلة بدرت من أتالوس عبارات ماسة بوالدة الاسكندر . فهمّ الاسكندر ليؤدب ويضرب أتالوس ولكن أصدقاءه منعوه ، زاد أتالوس غطرسة وعجرفة وطلب من الحاضرين أن يتضرعوا إلى الآلهة بأن يرزق فيليب من كليو باترة ولداً شرعياً يتولى الملك من بعده[1] . وقع هذا الدعاء على الاسكندر وقع الصاعقة . فثار الدم في وجهه واشرأب من بين الحاضرين وصاح فى أتالوس (ألا لعنة الله عليك هل أنا ابن حرام) ثم ضرب بكأسه رأس أتالوس . عند ذلك همّ فيليب واستل سيفه وهجم على ابنه الاسكندر ليضربه . ولكن الخمر كانت لعبت فى رأسه وفى جسمه فانحنى وانثنى وسقط على الأرض . وفى هذه الليلة نفسها غادر الاسكندر ووالدته مدينة بيللا. فقصدت الأم وطنها أبيروس وذهب هو إلى البانيا . وبعد فترة من الزمان سعى أهل الخير لإزالة سوء التفاهم بين الإبن وأبيه فعاد الاسكندر وأمه إلى مقدونيا

---

(١) وقد استجابت الالهة دعاء أتالوس ورزق فيليب من كليوباترة ولدا . ولكن لما قتل فيليب ثارت فتنة فى مدينة بيللا بين حزب أولمبياس والدة الاسكندر وحزب ضرتها كليوباترة انتصر فيها حزب اولمبياس ووقعت كليوباترة أسيرة في قبضة اولمبياس فأمرت باعدامها فألقوها هى وابنها فى قدر تغرغر بماء ساخن فماتت ومات ابنها وبهذا خلا الجو لاولمبياس واستوى ابنها الاسكندر على عرش مقدونيا .

أما زواج فيليب بوالدة الاسكندر فيتلخص في أن فيليب لما كان فتي عمره ١٦ سنة التقي لأول مرة في مدينة ساموتراس Samothrace بأولمبياس Olympias بنت ملك المولوس الذى توفى وتركها يتيمة . ولما تبوأ فيليب عرش مقدونيا وأراد الزواج فكر في اولمبياس وكانت تقيم عند الوصي عليها وفي حجره . فلما سئلت في ذلك قبلت وشرطت أن لا يكون لفيليب امرأة سواها — لا حليلة ولا خليلة — فقبل فيليب وتم عقد زواجه بها . ولكن لم يمض على زواجه بها شهر حتى هام بامرأة أخرى واتخذها خليلة . وبعد مضى بضع سنوات بلغ عدد محظياته المائة . والمرأة التى هام بها فيليب أكثر من غيرها هى امرأة من تساليا Thessalie ولدت له ولداً سماه أرهيداوس Arrhidaois وكان فيليب كله حنان وعطف على هذا الولد حتى أنه لما مرض قلق أبوه عليه قلقا شديدا واستدعى له أطباء من مصر يعالجونه

والمرة الثانية : عند ما عرض بيكسودا روس Pixodaros أمير كارى Carie[1] على فيليب عقد معاهدة دفاعية هجومية . وليوثق أواصر المودة بينهما عرض عليه أن يزوجه من بنته . كره فيليب أن يصاهر تابعاً من اتباع الفرس . واستحسن ان يزوج البنت من ابن له غير شرعي اسمه أرهيداوس Arrhidaois . فظن الاسكندر ان والده فضل عليه ابنه غير الشرعي وربما أوصى له بالملك من بعـده فاسرع وطلب من أميركارى أن يزوجه هو بنته . فلما اتصل الخبر بفيليب استدعى ابنه وانبه . وأفهمه أن فكرة تفضيل ابنـه غير الشرعي عليه فكرة خاطئة . فاطمأن الاسكندر وعاد الوفاق بين الابن وأبيه

— بداية حكم الاسكندر

لما استولى الاسكندر على عرش مقدونيا بدأ حكمه بقمع الثورة التى شبت فى بلاد اليونان بقصد التخلص من نير الحكم المقدونى [٢] وكانت الثورة قـد هاجت و باضت وفرخت.وكان على رأس هذه الثورة -عدوه الازرق- ديموستين Démosthène خطيب اليونان المشهور.وكانت جميع خطبه واحاديثه في اثينا حماسية ثوروية يكرر فيها قوله

---

(١) هى الان ولاية ايدين وكانت وقتئذ تحت حكم الفرس .

(٢) لما ثارت بلاد اليونان وشقت عصا الطاعة بادر الاسكندر وسير جنده نحوها فقطع المسافة من بيلا (عاصمة مقدونيا) الى طيبة Thèbes ببلاد اليونان في ستة ايام . طلب منها التسليم فأبت فهجم عليها وأخذها عنوة ثم استباحها جنده . فسلبوا أموالها وأسروا رجالها وسبوا نساءها وحطموا أسوارها ولم يبقوا منها حجرا على حجر . ولما وقع نظر الاسكندر عليها بعد ما خربها جنده بكى. لان طيبة كانت لؤلؤة بين مدائن بلاد اليونان . حدث أن ساق اليه الجند امرأة مكبلة بالسلاسل والاغلال اتهموها بالقاء أحد ضباطه في بئر بعد ما خدعته وأفهمته ان فى البئر كنزاً مخبؤا فيها . سألها الاسكندر من أنت يا أمة الله. فأجابت أنا تيموشيه Timochée أخت الجنرال تياجين Théngène الذى قاتل أباك فى سبيل حرية بلاد اليونان وقاتلك أنت أيضا في واقعـة كيرونيه Chéronée وفيها قتل . دهش الاسكندر من شجاعة وصراحة هذه المرأة . وعملا بالقول المأثور (عفو الملوك ابقى للملك) عفا عنها وخلّى سبيلها ورد اليها أولادها وأموالها .



ارسطاطاليس

(ان على عرش مقدونيا طفلا فهبوا ولا تجعلوا لهذا الطفل عليكم سلطانا) . الا ان الاسكندر اسرع واطفأ نار الفتنة وقمع الثورة بعزيمته الحذاء[1]

وبعد ما غزا الاسكندر بلاد اليونان وقمع الفتنة وجه همة الى غزو تراقيا كلها . فغزاها وواصل زحفه الى نهر الدانوب . وبعد ذلك أخضع البلاد الجنوبية التى منها الآن بلغاريا والبانيا .

وفى أثناء وجوده فى بلاد اليونان قصــد مدينة كورنت Corinthe ليطلب من جمهوريات اليونان انتخابه قائدا عاما على الجيوش التى أعدها لمحاربة الفرس ولزيارة ديوجين Diogène الفليسوف اليونانى المشهور . وفق الاسكندر وانتخبته جمهوريات اليونان قائدا عاما . ولما زار ديوجين رآه على حال قَشِفة لا يملك شيئا سوى برميل بلا قعر اتخذه مسكنا له وكان حوله مريدوه وبعض كلاب ضالة . دهش الاسكندر من هذا المنظر فخطا نحو ديوجين وقال له « هل من حاجة فأقضيها لك » . فأجابه ديوجين « تنح ولا تحجب الشمس عنى » . عند ذلك قال الاسكندر كلمته المشهورة (لو لم أكن الأسكندر لوددت ان أكون ديوجين) وقال أرستو كلمته الاخرى المشهورة (Les extrêmes se touchent)[2] ولعل المعنى القريب منها قول مَن قال « قد يلتقى الشتي فيأتلفان »

طار صيت الاسكندر ووصل الى دارا ملك الفرس . فحرض الاغريق على أن يشقوا عصا الطاعة على الاسكندر وامدهم بالمال الوفير لشراء الاسلحة والذخائر والمهمات

---

(١) لما اتصل بديموستين نبأ اغتيال فيليب ذهب الى مجلس الشورى مرتديا ملابس بيضاء دلالة على فرحه وابتهاجه وعلى رأسه تاج وخطب مشيداً ببطولة القاتل وطلب من الشعب الاكتتاب لصنع تاج من الذهب يوضع على قبر القاتل واقامة حفلات افراح وتقديم قرابين للالهة شكرا لها على موت فيليب الذي سلب بلاد اليونان حريتها واستقلالها

(٢) ولد في مدينة سينوب سنة ٤١٣ قبل ميلاد المسيح . مشهور بتصوفه وتقشفه وعزوفه عن ملاهي الدنيا ولذائذها . عاش عيشة بداوة . عرف بتصفية قلبه عن موافقة البرية . ومفارقة الاخلاق الطبيعية . واخماد الصفات البشرية . ومجانبة الدواعى النفسانية . والتعلق بعلوم الحقيقة . لم يتطلع الى مال أو جاه . طلق المدنية وزخارفها والحضارة وبهرجها وأوضاعها وتقاليدها ومعتقداتها . وارتمى فى أحضان الطبيعة . كانت حياته حياة حرة طليقة من كل قيد : رضى بالقضاء واستخف بالعالم وبما فيه وبمن فيه . أحب العزلة بعيدا عن عباد الله . عود نفسه

ولتجنيد أكبر عدد ممكن من الجنود . ولتحقيق أغراضه رشا ديموستين بمبلغ ٧٢٫٠٠٠ جنيه ليغري بينهم العداوة والبغضاء . كما وعد أحد أبناء فيليب بعرش مقدونيا اذا ما اغتال الاسكندر(١)

ومن الحيل التي استعملها أنصار دارا لاثارة الفتنة والثورة أنهم أشاعوا أن الاسكندر قتل في معركة من المعارك التي خاض غمارها في بلغاريا وفي البانيا وسخر ديموستين شخصاً شهد بانه حضر الواقعة ورأى اسكندر مقتولا . الا أنه عند ما اتصل بالاسكندر خبر الثورة تميز من الغيظ وطار الى بلاد اليونان - وكان يقطع ٣٠ كيلو متراً في اليوم الواحد - وانتقم من أهالي طيبة Thébes - التي تزعمت هذه الثورة - فجذ دابرهم ودمر طيبة من أولها الى آخرها وتركها خاوية على عروشها(٢).

على خشونة العيش وشدته . صوفي متطرف لوّن حياته بجميع أنواع التصوف . كان يسكن في برميل بلا قعر . ولما زاره الاسكندر وجده داخل برميله . ورأوه ذات يوم في شوارع مدينة اثينا حافي القدمين عاري الساقين والذراعين ممسكا بيده مصباحا مضيئا وقد انتصف النهار. سألوه في ذلك فقال : « اني أبحث عن رجل Je cherche un homme . فذهبت مثلا) يريد ان يقول انه لم يجد رجلا كامل الرجولة من مروءة وزهد وصدق وانسانية وانه انطلق يبحث عنه . وفي هذا يقول المورخ الالماني درويزن Droysen

" Si la question était d'un roi, la réponse était d'un sage "

كان يعارض افلاطون في آرائه ونظرياته .

ويقال أن سيبويه كان مصاباً ـ هو أيضا ـ بلوثة في عقله وعرف بهذه اللوثة منذ شب . تظهر في حركاته ورمش عينيه وزادت بترديه في بئر أمام بيته .

(١) وهذه كانت سياسة الفرس دائماً يوقعون الشقاق بين اليونانيين عملاً بالمبدأ الشيطاني « فرق تسد » (Divise et régne. Divide et impera) ويمدون بالمال من يواليهم بشرط أن يحارب أعداءهم . من ذلك أنهم أمدوا أهل سبارطه بالمال وساعدوهم على انشاء أسطول قوي حطم أسطول أثينا وحاصرها إلى أن جاءت فسلمت في سنة ٤٠٤ قبل الميلاد .

(٢) ومما يؤسف له أن الاسكندر قبل أن يزايل مقدونيا لمحاربة الفرس عمل بالسنة التي اتبعها من بعده البطالسة وأباطرة بيزنطة وسلاطين آل عثمان وهي قتل مزاحميه في الملك . فقتل أمينتاس Amyntas ابن الملك برديكاس Perdicas الذي كان يتطلع الى عرش مقدونيا . كما قتل كارانوس Caranus أخاه لأبيه . كما قتل جميع أفراد عائلة اتال Attale الذي عرض على فيليب ان يصاهره . كما قتل اتال Attale نفسه فيما بعد لما ايقن انه تآمر مع دارا مع من تآمروا عليه .

(٢)

حروبه مع دارا

بعد ما استتب له الأمر وجه همه الى محاربة الفرس . وكان دارا قد بسط سلطانه على بلاد آسيا الغربية- من بلاد الهند إلى البحر الأبيض- كما بسط سلطانه على البلاد المعروفة الآن ببلاد الاناضول وارمينيا والعراق وسوريا وفلسطين وغيرها . وكان له فى البحر الأبيض اسطول قوى جداً يتألف من ٤٠٠ من الجوارى فى البحر كالأعلام. وبسبب سيطرة دارا على البحار ما كان الأسكندر ولا غيرالأسكندر يستطيع مناوأته فى البحار. ففكر الأسكندر فى وسيلة بها يجعل هذا الأسطول الضخم سواء والعدم . فهداه فكره الثاقب الى الاستيلاء على شواطئ بلاد آسيا الصغرى وعلى جميع الثغور الواقعة على البحر الابيض المتوسط وكان معظم أهاليها من الاغريق . فأذا استولى عليها استحال على اسطول دارا أن يتمون .

جمع اسكندر جيشاً (وكان أول جيش لبس الملابس العسكرية) يتألف من ٣٠،٠٠٠ من صناديد المشاة و ٥،٠٠٠ من أشد الفرسان بأساً وسار بهم لمقاتلة دارا . وقبل أن يبارح مقدونيا درس الاسكندر تاريخ الفرس ولغتهم وأدبهم وفلسفتهم ودياناتهم وعاداتهم وأخلاقهم وأساطيرهم وفنونهم العسكرية واستصحب معه جمهرة من الفلاسفة ومن العلماء ومن الشعراء ومن المهندسين وصفوة رجالات مقدونيا وبلاد اليونان لدرس أحوال البلاد التى نوى غزوها فكانت حملته عليها طابعان : طابع حربى (الفتح والغزو ومحاربة الفرس) وطابع علمى (درس طبيعة البلاد واستكشاف أحوالها الزراعية والتجارية والاقتصادية والصناعية والعلمية[1]).وقد اختاركالستين Callisthène - ابن اخت ارسطو وتلميذه - ليكتب تاريخ غزواته . كما ناط بمستشاره الكبير اومين Eumène de Cardie بأن يكتب يومياته ابتداء من تاريخ استوائه على العرش فكتبها

---

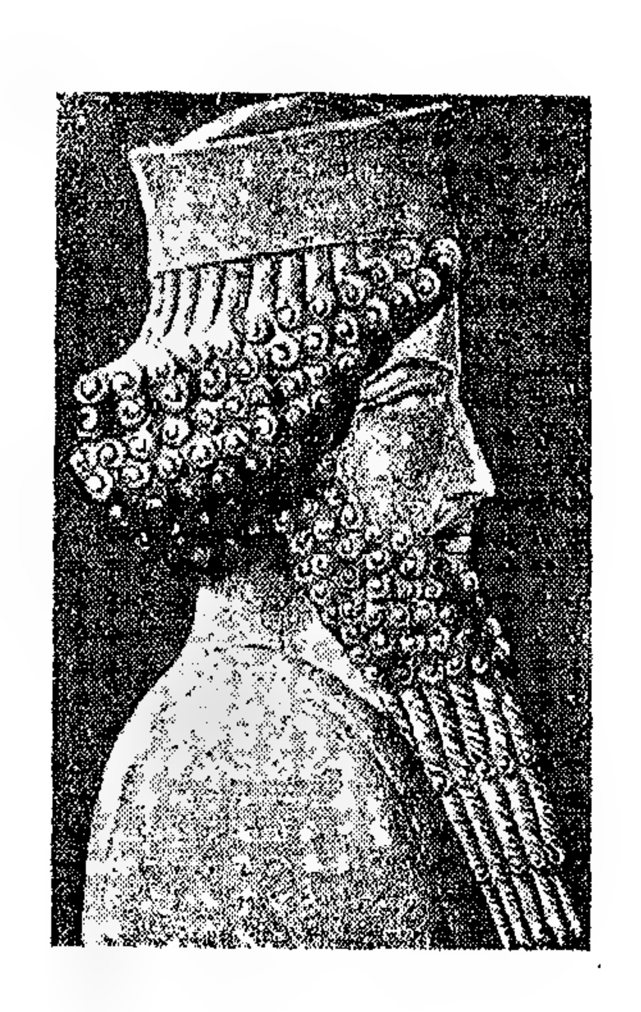
(١) كما فعل نابليون بونابرت عند ما غزا مصر فى اواخر القرن الثامن عشر (فى يوليه سنة ١٧٩٨) اذ استصحب معه ١٧٥ عالما من كبار العلماء سموهم (الموسوعات الناطقة) كما سموهم (دار الكتب الحية) وسموا الحملة (la Croisade des lumières) مثل مونج Monge وبرتوليه Bertholet ودولوميو Dolomieu ودينون Denon ولابلاس Laplace وطائفة من فطاحل المهندسين مثل لوبير Lepère وجيرار Gérard . (ولوبير هذا هو الذي

وظهرت باسم "Ephémérides royales" وقد اقتدى فى هذا بأبيه فيليب عندما اختار المؤرخ ثيو بومب Théopompe ليكتب تاريخ حياته وفتوحاته وغزواته

كانت سلطنة الفرس أكبر سلطنة فى العالم تمتد حدودها من نهر السند (ببلاد الهند) إلى صحارى ليبيا[1] وكان على عرشها الملك دارا الثالث . ومع سعة ملكه ووفرة

ندبه بونابرت لدرس مشروع حفر قنال السويس) . وطائفة من كبار علماء الرياضيات مثل كوستاكس Costax وفوريه Fourrier . وطائفة من علماء الفلك مثل Méchin وبوشان Beauchamps ونويه Nouet . وطائفة من علماء النباتات مثل Geoffroy St. Hilaire وSavigny . وطائفة من علماء الكيمياء مثل Champy و Descotil وDélile . وطائفة من الرسامين والموسيقيين . ومن الشعراء ومن المماريين وأضاف اليهم de Conté الذي كان تخصص في فن الطيران. والحق بهم ٢٠ من طلبة المهندسخانة ومدرسة المعادن. ومع كل هؤلاء وهؤلاء مترجمون اختارهم من اساتذة مدرسة الالسن . وقد استصحبوا معهم مطابع وحروفاً فرنساوية وتركية وعربية ويونانية ومكتبة غنية بالمؤلفات والمصنفات الفرنساوية والانجليزية والايطالية واليونانية والعربية والتركية . ومن يطالع المؤلفات الكثيرة التى كتبت عن حملة بونابرت على مصر يعرف ما أداه هؤلاء العلماء من الخدمات الجليلة . وقد وضع العلماء بابحاثهم كتاباً جامعاً مانعاً اسموه (وصف مصر) تناولوا فيه الكلام على تاريخ مصر القديم والحديث وعلى جغرافيتها وعلى آثارها ومساجدها القديمة والحديثة ومافيها من معادن وزراعة وصناعة ورى وتجارة كما تناولوا الكلام على عادات اهلها وطباعهم ودياناتهم .وتقرأ الجبرتي المؤرخ الكبير ــ وهو من علماء الازهر ــ تجده يبدي في اكثر من موضع من تاريخه شديد اعجابه بما حمله الفرنسيون الى مصر من ضروب الثقافة الجديدة ومختلف الفنون والمخترعات ويصف لك دار كتبهم التى انشأوها في الناصرية وما رأي فيها من الكتب النادرة والصور المبتدعة والتصانيف الاسلامية المترجمة . ثم يصف لك دار الكيمياء وما شاهده فيها من غريب التجارب والاختراعات ودار التصوير ومارآه فيها من صور متقنة لكبار العلماء ورجالات مصر يومئذ وصور الطبيعة والحيوان والنبات وغير ذلك من المناظر الجذابة التى لم يشهدها العلماء المصريون من قبل.

(١) ومن المفيد أن نذكر هنا أن أمبراطورية الفاروق عمر ابن الخطاب رضى الله عنه كانت هى أيضاً واسعة جدا تكاد مساحتها تعدل مساحة أمبراطورية دارا . إذ ان في ايامه تم فتح الشام والعراق ومصر والجزيرة وديار بكر وأرمينيا وأزربيجان وأيران وفارس وخوزستان. ولو عرفت ان دارا ورث أمبراطوريته الواسعة الأرجاء عن ملوك عديدين تولوا ٢٣٠ سنة من قبل . وعلمت أن مافتح من البلاد فى عهد سيدنا عمر أنما فتح فى عشر سنوات وستة اشهر واربعة ايام — وهى مدة خلافته — أمكنك ان تحكم معى على ان فضل عمر يزيد عشرة أضعاف على فضل دارا وغير دارا . ولا سيما اذا لاحظت ان فتح عمر بن الخطاب تم مع قلة ماله وقلة سلاحه وقلة المام قواده بالفنون العسكرية . ولا يدرى الا الله ماذا تكون عظمة الامبراطورية الأسلامية وقتئذ اذا لم يقتل (أبو لؤلؤة فيروز) سيدنا عمر بينما كان يصلى صلاة الصبح فى ٢٤ ذى الحجة سنة ٢٣ من الهجرة (٣٠ نوفبر سنه ٦٤٤ ميلادية) .



دارا

ملك الفرس

بموارده من مال ورجال فان الاسكندر لم يتردد لحظة في مقاتلته مع قلة رجاله وقلة ماله [1].

عبور الدردنيل

عبر الاسكندر وجيشه مضيق الدردنيل (وكان اسمه فى ذلك الزمان (l'Hellespont) وقد أقلتهم ١٨٠ سفينه . وقد عبره من قبل كزرسيس Xerxès ملك الفرس عندما غزا بلاد اليونان .

وقبل نشوب الحرب زار « ترواده » هو وصديقه هفيستيون Hephestion ووضع أكاليل من الزهور والرياحين على قبر أخلاوس - جده لأمه - وهو البطل الذى خلد ذكراه هوميروس Homère شاعر اليونان المشهور فى قصيدته العصماء (الاليـاذة)[2] . وقبل أن يشتبك جيش الاسكندر بجيش دارا

---

(١) اعانته بلاد اليونان بمبلغ ١٤٤٠٠٠ جنيه وتبرعت له امه بمبلغ ٢٤٠٠٠ جنيه وهو أضاف الى المبلغين كل ثروته الخصوصية، الا انه قبل مغادرة مقدونيا وزع هذه الاموال على اصحابه وعلى قواد جيشه ليعطوها الى أهليهم ليستعينوا بها على حاجياتهم مدة غيابه وغيابهم . ولما سئل فى ذلك قال انى استبقيت ما يكفي للجيش مدة ثلاثة ايام فقط وما نحتاج اليه بعد ذلك نستولى عليه من البلاد التى نغزوها ومما نغنمه من الفرس

(٢) اسم الالياذة l'Illiade مشتق من اسم مدينة اليون Ilion (على مقربة من مدينة ترواده) . واسم اليون Ilion مشتق من اسم ايلوس Ilus أحد ملوكها .
واسم ترواده مشتق من اسم تروس Tros أبي ايلوس Ilus . فالاولى اسمها مشتق من اسم الأب . والثانية اسمها مشتق من اسم الابن . وقد اقام هوميروس في اليون وترواده وفيهما نظم « الالياذة» ومكان اليون وترواده اسمه الآن جبلاق (على مقربة من شواطىء الدردنيل) :
ولما بسط الاسكندر سلطانه على البلاد الواقعة بين البحر الابيض وبلاد الهند وبويع ملكا على (آسيا) نظم أحد الشعراء قصيدة سماها (أسياذة) Asiade على مثال (الالياذة) Illiade .
وعلى ذكر الالياذة نقول . كان من بين الغنائم والاسلاب التى غنمها الاسكندر مما تركه دارا من الكنوز والتحف والآثار صندوق صغير مرصع بالجواهر الكريمة قيل أنه كان أبدع وأروع طرفة وأثمن واغلى تحفة . لما رآه الاسكندر دهش من وفرة الماس واللآلىء والزمرد والاحجار الكريمة التى كانت تزينه . سأل الاسكندر أخصاءه عما يليق أن يودع في هذا الصندوق فكان كل واحد منهم يبدى رأيا . واحد يقول كيت والآخر يقول كيت . وأخيراً قال لهم الاسكندر « عندى أن خير ما يليق ايداعه فى هذا الصندوق أنما الالياذة » . لان اسكندر كان يعجب بهومير شاعر الالياذة أعجابا كبيراً حتى انه كلما صحت له خلوة أعتكف في عقر داره وطالع الالياذة
ومن فرط أعجابه بهوميروس فكر (كما روى ذلك المؤرخ هيراكليدس (Héraclides) فى بناء مدينة في القطر المصرى يعمرها ويسكنها كلها من المقدونيين والاغريق ويسميها هوميروبوليس (أى مدينة هومير) .

أشار كبير قواد دارا واسمه ممنون Memnon (وأصله من جزيرة رودس) على دارا بأن يرتد فى داخليـة البلاد ليبعد الاسكندر عن قواعد تموينه ويتعبه . وقال له ان الزمن وسعة الامبراطورية كفيلان بضعضعة جيش الاسكندر . كما أشار عليه بأن يحرق جميع البلاد التى يضطر إلى إخلائها حتى لا ينتفع الاسكندر بما يكون فيها من مؤونة ومواد أولية (كما فعل الروس عندما غزاهم نابليون فى خلال سنة ١٨١٢ وكما فعل ستالين عندما غزا الالمان روسيا فى الحرب الحالية) فأجابه دارا (هل تريد أن أتقهقر أمام شاب غر مثل الاسكندر) .

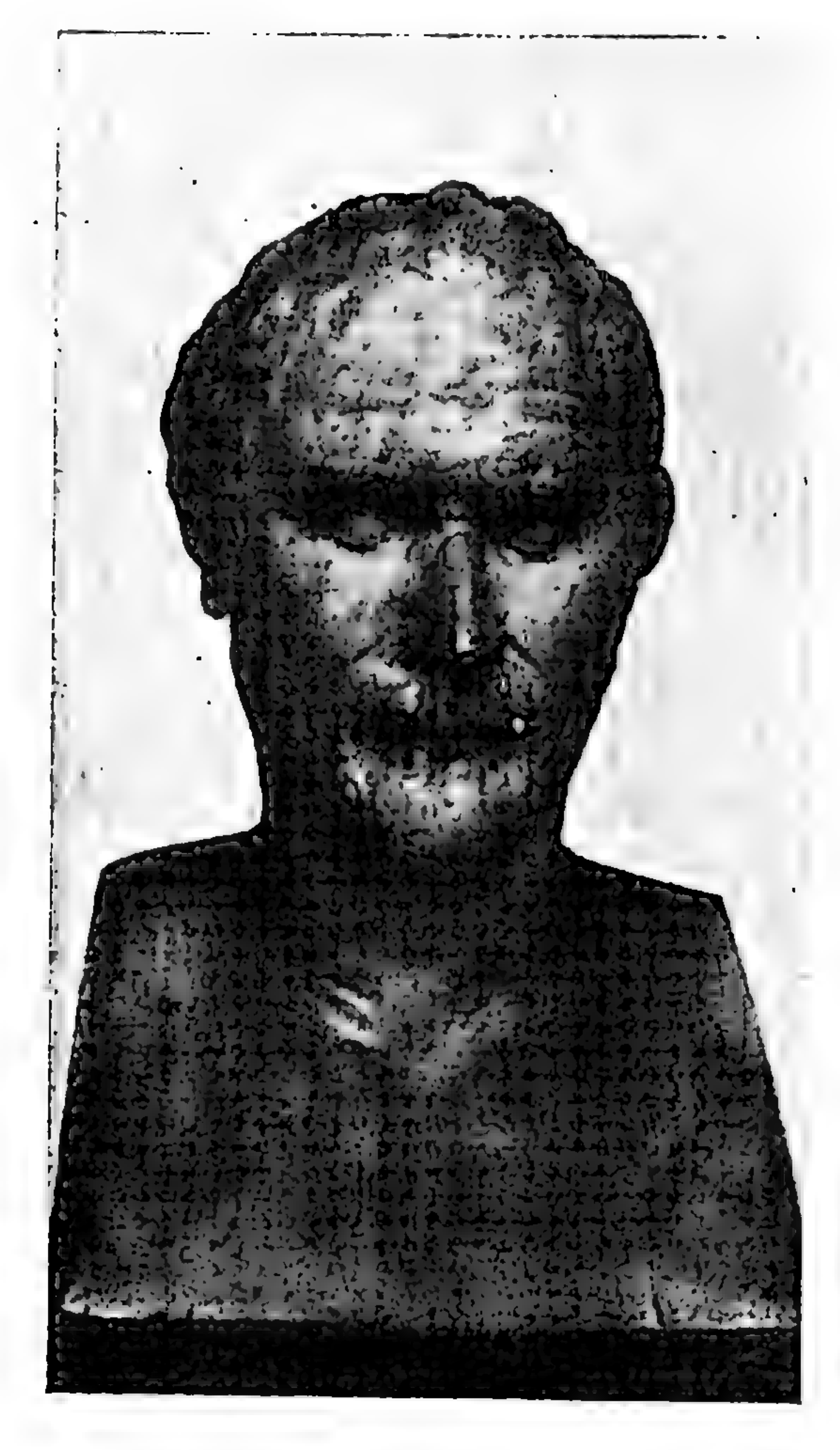
كان ممنون هذا أعظم قواد دارا وكانت له خبرة وحنكة فى الفنون الحربية لا يضارعه فيها أحد من القواد الفرس . ولمكانته عند دارا حقد عليه القواد الفرس وسلطوا أحد خصيان دارا اسمه باجواس Bagons ليقتله (بعد الواقعة الثانية وهى واقعة ايسوس) فدس له السم ومات وراح ضحية اخلاصه وكفاءته . ولما علم الاسكندر بموته اجهش بالبكاء .

تلاحم الجيشان - جيش الاسكندر وجيش دارا - ثلاث مرات دارت الدائرة فيها كلها على دارا .

واقعة الجرانيك Le Granique :

الواقعة الاولى كانت فى شهر مايو سنة ٣٣٤ قبل الميلاد على مقربة من ضفاف نهر جرانيكوس le Granique (ويصب فى بحر مرمرة بين قرة بيغا وبوزلركوى) وكانت معركة مروعة فيها انكسر جيش الفرس انكساراً شنيعاً بعد أن ترك ٢٠ الف قتيل فى ساحة الوغى ووقع فى الأسر الفان من اليونانيين الذى جندهم ممنون (قائد دارا) من المدن اليونانية التى كانت خاضعة لدارا . فأخذهم الاسكندر أرقاء وأرسلهم إلى مقدونيا لتشغيلهم فى مناجم الذهب . وفرّ قائد جيش دارا وهو يتأوه ويتأوى . وما كاد خبر انكساره يذاع فى البلاد حتى سارعت بلاد آسيا الصغرى للاستسلام للاسكندر ومن ضمنها جميع المدن اليونانية التى كانت خاضعة للفرس .

وتخليداً لذكرى انتصار الاسكندر على دارا أقامت مدن يونانية كثيرة مهرجانات سموها « اسكندريات Alexandreia »



ديموستين
خطيب اليونان

فى هذه الواقعة كاد الاسكندر يقتل . لأن الاسكندر كان على رأسه خوذة بها جناحان من الذهب الوهاج فعرفه حالاً متريدات Mithridate صهر دارا وأحد قوّاده . ترجل متريدات وهجم على الاسكندر إلا ان الاسكندر ضربه ضربة ألقته على الأرض صريعاً . رأى روزاسيس Rhœsacés (أخو متريدات) ما حل بأخيه فهجم على الاسكندر وضربه بباطة أصابت خوذته وشطرتها شطرين . تلقى الاسكندر الضربة بقلب جرىء وما هى إلا هنيهة حتى طعن الرجل طعنة نجلاء خر منهـا ميتاً . رأى سبتريدات Spithridate أمير ليدياومن أتباع دارا ما حل بزميليه فرفع سيفه ليضرب الاسكندر إلا ان كليتوس الأسود Clitus le Noir أحد ضبـاط الاسكندر أسرع وضرب أمير ليديا ضربة أطارت عظامه فضاضا . و بذا نجا الاسكندر من الموت

وانتصار الاسكندر فى واقعة الجرانيك سهل له فتح بلاد الاناضول

واقعة أيسوس Issus

والواقعة الثانية كانت فى ربيع سنة ٣٣٣-عندمازحف الاسكندرفى قلب الأناضول ومرّ بأنقرة ثم دخل كليكيا واستولى على مضيق جبال طوروس . ووالى زحفه إلى أن دخل مدينة طرسوس[1] .ومنها استمر زاحفًا إلى أن علم ان دارا جمع جيشاً عرمرماً فى

(١) وطرسوس هذه تقع على نهر اسمه قديما سيدنوس Cydnus (وسماه الترك قره صو ومعناه الماء الاسود كما يسمونه أيضاً طرسوس جاى أي نهر طرسوس) . فلما وصل الاسكندر الى طرسوس كان العرق يتصبب من جسمه من فرط التعب ومن شدة القيظ فنزل في النهر وكان ماؤه يكاد يقرسه البرد وسبح فيه فأصابته حمى شديدة جدا طرحته مريضا وكانت الحمى تطرد كل يوم فى الزيادة والشدة والزمته ان يعتكف فى كن بيته زمنا طويلا حتى ظن جنده انه لقي ربه

ويقال ان فريدريك الاول أمبراطور المانيا المشهور باسم Frédério I^{ier} Barberousse غرق فى هذا النهر نفسه في خلال سنة ١١٩٠ ميلادية عندما اشترك في الحرب الصليبية الثالثة

ومن لطيف ما يروى أنه كان للأسكندر طبيب خاص لا يفارقه أبدا فى جميع فتوحاته وغزواته . كان الاسكندر يعطف عليه ويحبه حبا جماً ويثق به ثقة لاحد لها . فكثر حاسدوه والناقمون عليه . حدث انه بينما كان هذا الطبيب يناول الاسكندر وهو مريض شربة واذا بكتاب سرى يرد له يقول فيه كاتبه ان دارا رشا طبيبه بمبلغ كبير من المال ليدس لهسما ناقعاًفي الشربه . فليثبت الاسكندر لطبيبه ثقته به تناول الشربة باليد اليمنى وجرعها وناول الكتاب الى الطبيب باليد اليسرى ليعرف مافيه . وقد ثبت فيما بعد ان التهمة باطلة لاأصل لها .

شمال سوريا على مسيرة يومين من مضيق بيلان (وهو المضيق الذى هزم فيه البطل ابراهيم باشا ابن محمد على الكبير جيش السلطان محمود الثانى فى ٣٠ يوليه سنة ١٨٣٢) .

جيش الاسكندر كان يمتاز على جيش دارا بميزة كبيرة . هى ان الجندى المقدونى كان قليل السلاح قويه . بسيط الملبس نظيفه . سريع الحركة خفيفها . سهل الكر والفر . قنوع صبور . اعتاد على معيشة الكفاف والقناعة . متخففاً من الحاجيات . متعففاً من الكماليات . والجيش المقدونى كان فى غاية النظام والانسجام كله جنود من جنس واحد مقدونى واغريقى . أما الجندى الفارسى فكان كثير السلاح . ثقيل الحركة . عسير الكر والفر . وكان جيش دارا خليطاً من الفرس والكرد والكرج والتتر والأرمن والأفغان والأشوريين والسوريين والفينيقيين والاغريق الخاضعين لحكم الفرس . كان لهم ضجيج كضجيج الحجيج . وكانت مركبات الفرس المعدّة لنقل الميرة والمؤن والذخائر والأسلحة والمهمات تمدّ بالآلاف . يسير خلفها ٢٠٠٫٠٠٠ من الرجال والنساء والذرارى أولاد وزوجات وسريات الضباط والجند مع خدمهم وحشمهم . هذا عدا آلاف المركبات التى كانت تحمل معابد من الذهب والعاج . كما تحمل جميع كنوز دارا وأهله . وآلاف الآلاف من دنان الخمر . فكان الزمن اللازم لحركات جيش الاسكندر أقل خمس مرات من الزمن اللازم لحركات جيوش دارا . وكان جيش الاسكندر يتمون من البلاد التى يغزوها ومن السلب الذى يغنمه من جيش الفرس . وكان ضباط وجند جيش الاسكندر لم يعوّدوا على رفاغة العيش . كانوا يأكلون طعاماً واحداً ويلبسون لباساً واحداً لا فرق بين كبير وصغير . لم يكن فيهم لحم أطيب من لحم ولا دم أطيب من دم . أما ضباط جيش دارا فكانوا ممن اعتادوا أن ينعموا بأطايب العيش ومتع الحياة . فكان لهم طهاة غير طهاة الجند ونظام خاص لمأكلهم ومشربهم وملبسهم ومسكنهم غير نظام الجند

ويقول المؤرخ اليونانى أتينيه Athénée ان دارا كان جالساً على ايوان من الذهب الخالص يحرسه هو وعائلته الفان من الفرسان الأشداء رأس عليهم أخاه اوكساتيرس Oxathérès . وكان خصّص لخدمته وخدمة أسرته ٢٧٧ طاهيا و ٢٩

خادما للمائدة و ١٧ لصب الماء و ٧٠ لصب الخمر و ٦٦ لتزيين المائدة بالزهور والرياحين و ٤٠ لتزيين شخصه وتعطيره . يضاف الى هؤلاء وهؤلاء ٣٢٩ مطربة ورقاصة معهن جميع آلات الطرب . فتأمل [١] .

وكثير من الولاة والقوّاد والقماقم والأشراف استصحبوا معهم جوقات من المغنين والمغنيات . والرقاصين والرقاصات . والموالى والندماء . مع آلات الطرب والموسيقى المنوّعة . كما استصحبوا كثيراً من المنجمين والمنجمات وجوقات من البهلوانية و «البهاليل» والمصارعين لتسليتهم وتسلية زوجاتهم و بناتهم وأولادهم . و يقول أحد المؤرخين انه لزم لخروج هذا العدد الوفير - من غير المقاتلة - من أسوار مدينة (بابل) تسعة أيام كاملة .

فكان كل هذا مجتمعاً سبب ضعف جيش الفرس وسبب ارتباكه [٢] .

---

(١) قارن بين هذا البذخ وهذه الفخفخة الفارغة وبين تقشف أمير المؤمنين عمر بن الخطاب. سأل عمر بن الخطاب الأحنف — وكان قد وفد اليه مع جندى البصرة — عن ثمن ثوب له . فذكر الاحنف ثمنا يسيرا ثمانية او نحوها — ونقص مما كان اخذه به وكان قد اخذه بأثني عشر — فقال له عمر « هلا بدون هذا ووضعت فضلته موضعا تغنى به مسلما . . . »

ومع كثرة شواغله وكثرة غزواته وكثرة فتوحاته كان سيدنا عمر خير الامراء قناعة وعدلا وسياسة . وصفه ابن مسعده بعبارة جمت بين الايجاز والاعجاز فقال (كان اسلام عمر فتحا . وهجرته نصرا . وامارته رحمة) .

ومثله المأمون . كان يقعد في صدر نهاره على لبود فى الشتاء وعلى حصير في الصيف ليس معها شيء من سائر الفرش ويقعد للمظالم فى كل جمعة مرتين لا يمتنع منه احد .

بمثل هذه السياسة الرشيدة الرحيمة وبمثل هذه العدالة الاجتماعية تساس الأمم

(٢) وهنا سابقة تدل اعظم دلالة على ان الجيش المنظم مع قلته ينتصر دائماً على الجيش غير المنظم مع كثرته . ذلك انه بعد ان برح الجنرال بونابرت القطر المصرى في شهر اغسطس سنة ١٧٩٩ خلفه الجنرال كليبر الذي اشتهر بجرائه ومهارته وبراعته في الفنون الحربية حتى ان نابليون نفسه سماه (الهاً من آلهة الحرب في ثوب عسكري) .

انفذ السلطان سليم الثالث صدره الاعظم يوسف باشا لطرد الفرنساويين من مصر فزحف من سوريا وفلسطين ولما وصل الى الخانكة أنذر الجنرال كليبر بتسليمه القاهرة والخروج من مصر. ولما رفض كليبر احتكما الى السيف والنزال والطعان . التحم الجيشان — الجيش الفرنساوى والجيش التركي فى هليوبوليس — في ٢٠ مارس سنة ١٨٠٠ — وكان عدد جنود الجيش الفرنساوى ٣٥٠ر١٤ فقط اما عدد جنود جيش الصدر الاعظم فكان ٠٠٠ر٨٠ . وبالنظر إلى أن الجيش العثمانى كان خليطاً من الترك والكرد والالبانيين والسوريين والفلسطينيين وكان يجر

يضاف الى هذه الميزة الكبيرة ميزة كبيرة أخرى . هى ان قواد جيش الأسكندر كانوا مدربين خير تدريب تلقوا فنون الحرب عن فيليب (أبي الاسكندر) وفيليب كان أبرع رجال الحرب فى عصره. تعلم كثيراً. وقاتل كثيراً .وانتصر كثيراً . وكان قواد الاسكندر كتلة واحدة متحدين مؤتلفين فنيت ارادتهم فى ارادة قائدهم الأكبر الأسكندر. والاسكندر كان يراقب بنفسه و يحقق و يدقق .فاذا ما رأى مواضع ضعف قواها واذا ما رأى مواضع قوة زادها قوة .

أما القيادة الفارسية فكانت سبهللاً تركهـا دارا لقواد جيشه . وقواد جيشه كانوا كالسمك يأكل بعضـه بعضا . اضطرب حبلهم . اتفقوا على ان لا يتفقوا . لهم بعدد رؤوسهم آراء . اشتركوا فى القيادة . والشركة فى الصناعة عداوة . بينهم داء الضرائر . كل ما عرفوه من فنون الحرب انما هو تقاليد سمرها الزمان تلقاها الأبناء عن الأباء . ثم ترى القائد الفارسي يتحفز للوثوب على زميله القـائد الأغريقي أو القـائد الأشوري أو القائد السوري اذا ما رآه قد أصاب حظوة لدى دارا .

والقيادة أذا ما اتحدت أو توحدت قويت ونجحت. واذا ما تنازعت أو تعددت ضعفت وفشلت .

كان دارا يتحرق لأخذ الثار . التقى الجيشان فى نوفمبر سنة ٣٣٣ على مقربة من أيسوس Issus - فى جهة تعرف الآن باسم أرسلان بوغاز وطوبراق قلعة سى - على ضفتى نهر بيناروس Piunros واسمه التركي (دلى چاى) وكان جيش دارا مؤلفاً من ٦٠٠,٠٠٠ مقاتل وجيش الاسكندر لا يزيد على ٤٠,٠٠٠

خلفه كثيراً من غير المحاربين من شيوخ ونساء واطفال واغوات وعبيد وجوار وخدم وحشم ارتبك ولم يستطع ان يصمد امام الجيش الفرنساوى فانهزم شر هزيمة . واضطر الصدر الاعظم ان يفر الى الصالحية ثم الى سوريا وقد دخلها ولم يكن معه سوى ٥٠٠ من الفرسان الترك .

تذكرني واقعة عين شمس هذه — واقعة ٢٠ مارس سنة ١٨٠٠ — بواقعة أخرى وقعت فى عين شمس نفسها فى شهر يوليه سنة ٦٤٠ ميلادية — أى قبل الواقعة الاولى بألف ومائة وستين سنة يغفلها كثير من المؤرخين . ذلك ان عمرو بن العاص لما غزا مصر ووصل الى عين شمس قاتل الروم. وكان جيش عمرو يبلغ ١٥,٠٠٠ مقاتل أما الروم فكان عددهم ٣٠,٠٠٠ وقد انتصر عمرو على تيودور قائد الروم انتصاراً مبيناً سهل له فتح مصر كلها .



أم دارا وزوجته وابنه وبنتاه عندما وقعن فى الأسر بعد موقعة ايسوس (راجع صفحة ١٩)
ويرى اسكندر وصديقه هفستيون والأسرى أمامهما جثاة على الركب

كانت حرباً ضروساً دارت رحاها بأشد ما يكون من الهول رجّت لها الارض رجّاً. فيها جرح الاسكندر فى فخذه جرحاً أسال منها دماً غزيراً. وقد أبدى الاسكندر فى هذه المعركة من البسالة والجرأة ما أدهش قوّاد الجيشين. إذ على الرغم من اصابته بجرح دام همّ الاسكندر بالكر على شخص دارا. ولما آنس دارا الخطر المحدق به ألقى سلاحه ودروعه ومعطفه ورداءه وملابسه ومركبته وعرشه وولى الأدبار. فلما رأى الفرس أن ملكهم فرّ من الميدان ألقوا سلاحهم ولاذوا هم أيضاً بالفرار خاسئين.

وقد غنم الاسكندر كل ماكان فى ميدان الفرس من ذخائر ومهمات وأسلحة وأسر جميع أفراد عيلة دارا. أمه واسمها سيزى جمبيس Sysigambis وزوجته ستاتيرا Statira وابنه وعمره ٦ سنوات وبنتيه إحداها ستاتيرا (مثل اسم امها) وعمرها ١٦ سنة. كما وقع خصى دارا باجواس Bagoas أسيراً وقد مثلوا بين يدى الاسكندر أذلاء داخرين. وقد بالغ الاسكندر فى حسن معاملتهم وأذن لهم فى أن يدفنوا نبلاء الفرس وأن يأخذوا من النفل والاسلاب ما يريدون. وبلغ عدد قتلى الفرس ٦٠٫٠٠٠ من المشاة و ١٠٫٠٠٠ من الفرسان و ٤٠٫٠٠٠ أسير

ويقول أحد مؤرخى الفرس ان دارا طلب الصلح من الاسكندر وعرض افتداء امه وزوجته وبنتيه وابنه بمبلغ ١٤٤٠٠٠ جنيه فرفض الاسكندر وأفهم الرسول انه لا يضمر شراً لا لدارا ولا لأهله وكل ما يريده أن يمثل دارا بين يديه ليتسلم اهله ويعترف له ببسط سلطانه وحده بلا شريك على آسيا كلها.

وختم حديثه بقوله للرسول (لا تشرق على الارض إلا شمس واحدة. فلا يمكن أن يكون لها إلا سيد واحد)

ظن أهل دارا فى بداية الأمر ان دارا قتل وأرادوا أن يقيموا له مأتماً. إلا ان الاسكندر هدأ روعهم وأكد لهم انه لم يقتل فتنفسوا الصعداء وزال عنهم بعض الهم والغم. كان الاسكندر على مسافتهم مقيتاً. إلا انه عاملهم معاملة الملوك حتى انه لم يتطلع إلى ستاتيرا زوجة دارا ولم يلامسها وقد كانت فاتنة قمر مهفهفة خصرها مرهف لم تر العين مثلها حسناً وجمالاً.

وانتصار الاسكندر فى واقعة ايسوس سهل له غزو سوريا وفلسطين ومصر[1]

---

(١) الواقعة الثالثة سيأتى ذكرها بعد.

غزو سوريا وفلسطين

بعد تشتيت جيش دارا زحف الاسكندر شطر الجنوب ليستولى على جميع ثغور البحر الأبيض وفى الوقت نفسه أنفذ قائده الأكبر بارمنيون Parménion إلى دمشق ليستولى على كنوز دارا قبل أن تتسرّب أو تتبدّد . و بالفعل دخل بارمنيون دمشق واستولى على كنوز دارا .

خضعت الموانىء كلهـا للاسكندر . فبدأت رواد ثم بيلوس (جبيل الآن) ثم صيدا بالتسليم . أما صور Tyr فقاومت . ولتتمكن من احتمال الحصار أرسلت نساءها وشيوخها وأطفالها إلى قرطاجة (تونس) . لأن الفينيقيين - ومنهم أهالى صور - هم الذين أسسوها . حاصرها الاسكندر من يناير سنة ٣٣٢ الى اغسطس سنة ٣٣٢ - ثم فتحها عنوة والحرب غول للنفوس . فقد قتل الاسكندر من أهلها ٨٠٠٠ وأسر ٣٠,٠٠٠ باعهم أرقاء عملاً بسنة الحرب التى كانت متبعة فى ذلك الوقت عند قدماء اليونان .

ولهذه القسوة البالغة حد الوحشية سبب . هو ان اهالى صور مثلوا بأسرى جيش الاسكندر ونكلوا بهم أشنع تنكيل . عذبوهم ثم شوهوهم ثم القوهم فى البحر على مرأى من زملائهم . فثارت ثائرة الاسكندر وجنده وثأروا لاخوانهم بأن مثلوا بأعدائهم هم أيضاً شر مُثلة .

فى اثناء حصار صور - و بينما كان الاسكندر فى مدينة ماراثوس Marathos - وصل الى الاسكندر وفد من لدن دارا ضمّ عشرة من ذوى قرابته حملوا اليه كتاباً يعرض عليه فيه مايونى جنيه وربع مليون وعقد محالفة دفاعية هجومية . والتنازل له عن جميع البلاد الواقعة غرب الفرات . وليضمن له الوفاء عرض أن يزوجه من بنته لتزلفه عنده . وليستسيغ الفرس التنازل عن هذه البلاد الواسعة أذاع دارا أن هذه البلاد ستكون مهر بنته . عقد الاسكندر مجلساً حربياً جمع جمجمة القدونيين والاغريق وشاورهم فى الأمر . ومن طريف ما يروى انه لما جاء دور بارمنيون أجاب « لو كنت الاسكندر لقبلت ما عرضه دارا » . فأجابه الاسكندر على الفور « وأنا كذلك لو كنت بارمنيون . غداً ندقهم دقاً . ونقاتلهم حتى تضع الحرب أوزارها » .

و بعدما استولى على مدينة « صور » زحف الاسكندر بجيشه الى ان وصل الى مدينة عكا فدخلها وغنم ما فيها[1]

---

(١) قلعة عكا هذه حوصرت غير مرة :

— حاصرها فيليب اوجست Philippe Auguste ملك فرنسا وريشارد قلب الأسد Richard Cœur de Lion ملك انجلترا في زمن الحرب الصليبية الثالثة ودام حصارها سنتين كاملتين ثم استولى عليها ريشارد فى سنة ١١٩١ .

— وحاصرها أيضاً نابليون بونابرت في النصف الاول من سنة ١٧٩٩ في عهد ولاية احمد الجزار ولكنه عجز عن فتحها بعدأن حاصرها من ٢٥ مارس الى ١٠ مايو سنة ١٧٩٩ . ولمناعتها واستبسال حاميتها كان الفرنسيون يقولون عنها :

" Entrer dans Acre, c'est descendre au tombeau, en sortir c'est renaître à la lumière

— وحاصرها المصريون فى سنتى ١٨٣١ و ١٨٣٢ وكان الجيش المصرى تحت امرة البطل ابراهيم باشا بن محمدعلى الكبير. حاصرها من ٢٦ نوفبر سنة ١٨٣١ الى ان سقطت في ٢٧ مايو سنة ١٨٣٢ وفيها اسر المصريون عبد اللهباشا والى عكا نفسه بعد أن دافع عنها دفاع الابطال وبعد أن استشهد من جنوده ٥٫٦٠٠ مقاتل من أصل ٦٠٠٠ وقد أرسله ابراهيم باشا إلى مصر حيث عين له محمد على باشا جزيرة الروضة مقاما . فاقام فيها ذليلا الى يوم ٢٢ ديسمبر سنة ١٨٢٣ وهو يفكر فى طمحات الدهر ولسان حاله يقول حقا ان الدولة ريح قلّب والامرة برق خلّب . وقد كان مجموع القوات المصرية ٢٤٫٠٠٠ (خسرت مصر منهم ٤٫٠٠٠ بين قتيل وجريح و ٣٠٠٠ مريض) غير جنود المدفعية . يعززها اسطول مصرى مولف من ١٦ سفينة حربية عقد لواؤها لامير البحر عثمان نور الدين باشا. وقد بلغ عدد القنابل التى ألقاها المصريون على عكا ٥٠٫٠٠٠ وعدد القذائف ٢٠٣٫٠٠٠ .

ومن المصادفات الغريبة أن خيمة ابراهيم باشا نصبت في المكان الذى نصبت فيه خيمة بونابرت من قبل باثنتين وثلاثين سنة . كما انه من المصادفات أنه كان بين الاشخاص الذين وقعوا اسرى مع عبد الله والى عكا خورشيد بك الذى اشترك مع أحمد باشا الجزار فى الدفاع عن عكا عند ما حاصرها نابليون ثم اشترك مع عبد الله باشا والى عكا عند ما حصرها ابراهيم باشا . وفق فى الحصار الاول وخاب في الحصار الثاني .

ولما وصل خبر سقوط عكا الى مصر امر محمد على باشا بأن تقام الافراح ثلاثة ايام كاملة تطلق في خلالها مدافع القلاع والبنادر ثلاث مرات فى كل يوم من الايام الثلاثة كما امر بالعفو عن المسجونين والمنفيين واطلاق سراحهم ليعم الفرح اهالى مصر قاطبة .

وقد احتفل المغفور له الملك فؤاد يوم ٢٧ مايو سنة ١٩٣٢ بالذكرى المئوية لسقوط عكا وانتصار جده البطل ابراهيم باشا احتفالا فخما دعا اليه الامراء والوزراء والكبراء

ولتسهيل غزو البلاد كان الاسكندر يعامل الممالك والامارات والدويلات والولايات التى تستسلم له وتخضع بلا حرب ولا قتال معاملة حسنة . كان يترك ملوكها وامراءها وحكامها يحكمون كما كانوا بعد ما يطعّم نظام حكوماتهم بالمبادىء الديموقراطية: حكم الشعب بالشعب لخير الشعب .

السيف أصدق أنباء من الكتب

بعدما رفض الاسكندر ما عرضه دارا زحف نحو الجنوب دون أن يلاقى مقاومة تذكر

ويروى انه لما وصل الأسكندر الى اورشليم Jérusalem (بيت المقدس) طلب من جدّوس Jaddous رئيس الكهنة أن يمدّه وجنده بالميرة لأنهم كانوا فى حاجة ماسة اليها فرفض . اغتاظ الاسكندر وجن جنونه فأمر جنده بدخول المدينة جبراً . ولكن بمجرد ما وصل الجند الى أبواب المدينة أبصر الاسكندر مكتوباً على التاج الذى كان على رأس كبير الكهنة اسم الجلالة (الله) باللغة العبرية Yehovah فانبرى من بين جنده وجثا على ركبتيه . دهش بارمنيون واخوانه من ركوع الاسكندر . سألوه فى ذلك وقالوا له كيف تركع امام رجل والملوك تسجد لك . فقال أنا لم أركع امام رئيس الكهنة بل ركعت امام الله . ثم زاد فقال انه لما كان فى مقدونيا فى مدينة (ديون) Dion فكر فى سبيل لبسط سلطانه على آسيا فرأى فى المنام رئيس الكهنة

والعلماء وخطب فيه رئيس الوزراء حضرة صاحب الدولة اسماعيل صدقى باشا خطبة بليغة اشاد فيها بسالة الجندى المصرى . وتلاه وزير الحربية سعادة على باشا جمال الدين ووضع على قاعدة تمثال ابراهيم باشا اكليلا جميلا من زهور القرنفل البيضاء على شكل دائرتين فى ارضية من اوراق الزهور الخضراء وفى وسط الاكليل شريط طرز عليه — بواسطة مصنع الكسوة الشريفة — العبارة التالية بخط فارسي جميل « الى البطل الفاتح العظيم ابراهيم باشا من الجيش المصرى تمجيدا للذكرى المئوية لفتح عكا » وأرخوها بيوم الاحتفال ٢٧ مايو سنة ١٩٣٢ وزين الميدان بالاعلام والانوار كما اقام اصحاب المتاجر الموجودة متاجرهم بالميدان زينات بديعة. وفى المساء بدا الميدان فى حلة باهرة من الانوار ولبثت موسيقى الجيش تصدح الى ساعة متاخرة من الليل . ولتخليد ذكرى هذا اليوم غيروا اسم ميدان الاوبرا وسموه ميدان ابراهيم باشا كما استبدلوا اسم شارع نوبار باشا باسم شارع ابراهيم باشا

هذا بنفسه لابساً الثوب الذى عليه الآن وقد أشار عليه بعبور الدردنيل ومحاربة الفرس وبشّره بأنه سيبسط سيادته على آسيا كلها. ومن ذلك اليوم لم ير رجلاً يشبه الرجل الذى رآه فى منامه بسيماه وثيابه إلا رئيس الكهنة هذا. فصدّق الرؤيا وأيقن انه سيقهر دارا ويغزو آسيا بعناية الله وتوفيقه. ولما دخل المعبد فى اورشليم حضر الشعائر الدينية التى أقيمت لله تعالى ثم أطلعه كبير الكهنة على كتاب سيدنا دانيال وفيه ان أحد الاغارقة سيقوّض أركان سلطنة الفرس. سر الاسكندر من هذه المصادفات ومن فرط سروره أمر بترك اليهود وما يدينون وأعفى جميع يهود فلسطين وبابل والفرس من الخراج مدة سبع سنوات [1].

بعد ذلك واصل الاسكندر زحفه إلى أن وصل إلى مدينة غزة [2]. وكانت قلعة حصينة قائدها خصى ذو بأس شديد اسمه باتيس Batis فلما طلب منه التسليم رفض. حاصرها الاسكندر شهرين. ثم استولى عليها عنوة.

كاد الاسكندر يلاقى حتفه أمام غزّة. لأن أعرابياً من أتباع باتيس Batis أبصر الاسكندر وهو يقود جنده المهاجمين فاندسّ بين الجند وهوى بنفسه على قدميه متظاهراً بأنه يريد الانضواء تحت لوائه. جازت الحيلة على الاسكندر فرفعه من الأرض وقرّبه اليه. فانتهز الاعرابي الفرصة واستلّ سكيناً كان يخفيه تحت ملابسه وهمّ بضرب

---

(١) كتاب سيدنا دانيال هذا آثار جدلا دينيا كبيراً. بعضهم قال بصحته — وهم رجال الدين وقد استدلوا على صحته — من ضمن ما استدلوا به — بالتوفيق الذى اصابه اسكندر الأكبر في فتوحاته وغزواته كما ورد في الكتب والبعض الاخر انكر صحته ومنهم مسيو رينان Renan الفيلسوف الفرنسي الكبير. وها ماكتبه القس كلابو في هذا الصدد :

"Josèphe en effet affirme positivement que le Livre de Daniel fut présenté à Alexandre, lors de son entrée à Jérusalem, plus d'un siècle et demi avant l'époque d'Antiochus Epiphane, et que l'accomplissement des prédictions faites par ce prophète prouvait qu'il y avait en lui quelque chose de divin. (V. Josèphe, Ant. Jud. Livre X et XI." — V. E. Renan et l'Evangile, par l'Abbé Clabaut. P. 7.

(٢) في كتاب الاقناع ان الامام الشافعي ولد على الاصح في غزة سنة ١٥٠ من الهجرة. اما الامام ابو حنيفة فولد في الكوفة في سنة ٨٠ من الهجرة

الاسكندر . إلا ان الاسكندر مال وتنحى وطعن الاعرابى طعنة ألقته على الأرض قتيلاً . ولم يكد الاسكندر ينجو من طعنة الاعرابى حتى أصابه فى كتفه شواظ من نار جرحه جرحاً بالغاً . فترنّح ذات اليمين وذات اليسار ثم أغمى عليه . ارتدّ جند الاسكندر قليلاً ثم استجمعوا قواهم وهجموا على القلعة واستولوا عليها وغنموا ما كان فيها من كنوز وذخائر وأسلحة وأسروا قائدها باتيس وكان عبداً أسود. صخرى الوجه. كبير الرأس فى عظمة . بديناً بطيناً. هيئته جذّابة أخّاذة . له عينان براقتان .وقد بلغ عدد القتلى من أهالى غزة عشرة آلاف بيعت زوجاتهم وامهاتهم وأولادهم أرقاء

أظهر الاسكندر اعجاباً كبيراً بشجاعة هذا الرجل - والاسكندر خير من يقدّر الشجاعة - وعلى الرغم من خيانة الاعرابى الذى حاول اغتياله بتحريض باتيس فان الاسكندر فكر فى العفو عنه تقديراً لشجاعته وعملاً بالقول المأثور «عفو الملوك أبقى للملك» إلا ان الرجل لما مثل بين يدى الاسكندر صعّد فيه بصره وصوّبه وكلمه كلاماً أخشن من الحجر . وتجبر امامه وتكبر وتنمر . فثار الاسكندر وكاد يدخل بعضه فى بعض غيظاً وقال سبيله أن تسقى الأرض من دمه . عرّاه الاسكندر ثم ربطه من رجليه فى مركبة قادها هو بنفسه فى وسط المدينة وما كاد يعود من حيث بدأ إلا والرجل جثة مهشمة جامدة هامدة[1] .

(٣)

غزو مصر

بعد الاستيلاء على غزة استأنف الاسكندر زحفه . وبعد سبعة أيام وصل إلى الفرما Peluse أول حدود مصر . وفيها وجد أسطوله ينتظره .

فرحت مصر بحضور جيش الاسكندر . لأن الفرس كانوا طردوا فرعون مصر

---

(١) وتوجد رواية اخرى هى ان الاسكندر فقأ عينيه وقطع يديه وصلم اذنيه وجدع انفه ثم ضرب عنقه . والرواية الاولى اصح .

نقتنب الثانى وأسرفوا فى الظلم والنهب والعيث والتخريب والتعذيب . وسلبوا ما كان فى المعابد من كنوز وتحف وآثار ونقلوها الى بلادهم . كما كانوا سلبوا من مدينة اثينا ومن المدن اليونانية الاخرى ما كان فيها من كنوز وتحف وآثار ونقلوها الى بلادهم (اعادها الاسكندر الى اصحابها بعد ما انتصر على الفرس وغزا بلادهم) كما قتل ملكهم اوخوس Ochos – من قبل – العجل أبيس الذى كان يجله المصريون ويقدسونه .

ولما بلغ الاسكندر مدينة منفيس عاصمة القطر تقدم حاكم مصر مازاكس Mazakès (وقد قتل سلفه ساباكس Sabakès فى واقعة ايسوس Issus) سلمه الحامية وسلمه القلعة والمال الذى كان فى الخزانة وقد قدر بمليون وستمائة الف جنيه .

ومما سهل للاسكندر كسب عطف المصريين انه أمر باحترام المعابد واحترام ديانة المصريين واحترام عقائدهم وأمر بتركهم وما يدينون . وليستميلهم اليه قدم القرابين والذبائح لمعبود المصريين . كما قدم القربان للعجل أبيس . وأمر بتعمير وتجديد معبد طوطميس الثالث بالكرنك ومعبد أمينوفيس الثالث بالاقصر . ولما استتب له الأمر فى مصر أجلسه الكهنة على العرش فى معبد فتاح بمنفيس . وعملوا له المراسيم الدينية المعتادة . ولما بايعه كبير الكهنة فرعوناً على مصر (وملكاً على الوجه البحرى وملكاً على الوجه القبلى ولقبوه بابن معبودهم رع ومحبوب معبودهم آمون) خر له الناس سجداً . لأنه بوصف كونه ملكاً على مصر وابن رع ومحبوب آمون حق له من القداسة ما كان لفراعنة مصر لدى السبعة الملايين من المصريين الذين كانوا يسكنون وادى النيل فى ذلك الوقت [١] .

---

(١) لما غزا بونابرت القطر المصرى فى آخر القرن الثامن عشر تمنى لو انه اقتدى باسكندر الاكبر واعلن انه آله او ابن آله . وفى هذا يقول تارليه Tarlé استاذ التاريخ فى جامعة موسكو فى الكتاب الذى ألفه عن نابليون ما يأتى : — صحيفة ٦٢ —

"L'Orient l'avait toujours attiré et dans cette période de sa vie, il était beaucoup plus préoccupé d'Alexandre de Macédoine que de César, de Charlemagne ou de n'importe quel autre héros de l'Histoire. Un peu plus tard, alors qu'il parcourait les déserts égyptiens, il exprimait à ses

والذى سهل أيضاً للاسكندر كسب عطف المصريين انه كان فى مصر جاليات

---

compagnons et sur un ton mi-plaisant mi-sérieux, le regret d'être né trop tard et de ne pouvoir, tel qu'Alexandre de Macédoine qui avait conquis l'Egypte, s'y proclamer dieu ou fils d'un dieu." (Voir NAPOLEON par Eugène Tarlé, p. 62)

وبعدما غزا نابليون ايطاليا والنمساوروسيا وبلجيكا وهولندا وبلغاوج المجد اكره البابا على ان يسميه قديساً ، وجعل يوم ١٥ اغسطس - وهو يوم ميلاده - عيداً دينياً سماه (عيد القديس نابليون) St. Napoléon واعلن كبير اساقفة باريس ان روح القدس حلت في نابليون . كما اعلن رئيس اساقفة ليون ان روح القدس تقمصت في شخص نابليون . واعلن رئيس اساقفة بوردو ان روح القدس هبطت على نابليون . واعتقد الناس ان روح القدس اعتادت ان تهبط عليه كل يوم وتوحي اليه كل يوم (راجع كتاب تارليه صحيفة ١٣٨) . وتدل تصرفات نابليون على انه بعد ما بلغ ذروة المجد الحربي والسياسي رفع مقامه فوق مقام بابا روما خليفة المسيح . اذ انه لما حضر البابا الى باريس ليبايعه امبراطوراً لم يقبّل نابليون يده ولم يركع امامه حسب تقاليد الكاثوليك . ولما همّ البابا بوضع تاج عرش فرنسا على رأسه اسرع نابليون واخذه منه ثم ادار ظهره للبابا ووضع التاج بنفسه على رأسه ثم وضع التاج — هو بنفسه ايضاً — على رأس زوجته جوزفين التي رفعها الى مقام امبراطورة .

أليس هو القائل :

" J'ai voulu l'empire de monde, et qui ne l'aurait pas voulu à ma place? Le monde m'invitait à le régir. Souverains et sujets se précipitaient à l'envi sous mon sceptre."

وكان يقول دائماً :

" Je tiens mon sceptre de Dieu "

وفي هذا يقول الجنرال هانس فون سيكت Hans von Seekt وهو من اشهر رجال الحرب في المانيا ان معظم الرجال العظام الذين اشتهروا في الازمان الغابرة نسبوا اعمالهم الخارقة للعادة الى توفيق رباني : خذ مثلا اسكندر الاكبر فانه طلب من الاغريق ان يقدسوا شخصه ويقيموا له شعائر دينية . وطلب مثل ذلك من المصريين والاشوريين والايرانيين والافغانيين والهنود الذين غزا بلادهم واخضعهم لسلطانه وثل عروش ملوكهم وامرائهم . وحذا حذوه من بعده خلفاؤه البطالسة . فان بطليموس الثاني امر قدماء المصريين بتنزيل ابيه بطليموس الاول وامه برنيس Bérénice منزلة الآلهة باسم les dieux Soter . ولما ماتت اخته ارسينويه الثانية Arsinoe — وكانت في الوقت نفسه زوجته — الهها باسم (الالهة فيلادلف) ثم انتهز الفرصة ورفع نفسه معها — وهو لا يزال حياً يرزق — الى مرتبة الالوهية les dieux Adelphes . وجاءت بعده كليوباترة ملكة مصر الشهيرة واقتدت به . وجاء بعدهم يوليوس قيصر وفعل مثل ما فعلوا . . . وهكذا .

وشارلمان Charlemagne — ومعناها شارل الاعظم Carolus Magnus — الذى

يونانية كثيرة منتشرة فى كثير من انحاء القطر المصرى . وفدت عليها فى خلال القرن

بسط سلطانه على فرنسا وبلجيكا وهولندا والنمسا والمجر وبافاريا والمانيا الغربية والمانيا الجنوبيـة وعلى جزء كبير من ايطاليا وبويع امبراطوراً على غربي اوروبا ونصّب اولاده الثلاثة ملوكا على فرنسا وعلى ايطاليا وعلى المانيا ارغم البابا في خلال سنة ١١٦٥ على المناداة به « قديسا » . وجاءت جامعة باريس في سنة ١٤٨٧ واختارت القديس شارلمان St. Charlemagne حاميا لها ووليا عليها . وشارلمان هذا عاصر هارون الرشيد وتولى الملك ٤٦ سنة وحارب ٥٣ مرة في اسبانيا وايطاليا وفي الحدود الغربية لمملكته — بلاد السكس وبافاريا والدانمارك . ولما بلغ ذروة المجد رفع نفسه الى مقام « القديسين » .

وكثير من ملوك اوربا فشا فيهم هذا الزهو وهذا الغرور فكان الواحد منهم يلقب نفسه " rex regam " اى ملك الملوك

ومثلهم اباطرة ايران قد اتخذوا لانفسهم لقب شاهنشاه اى ملك الملوك

وكهنة زاردشت كتبوا واشاعوا وروجوا بأن ملوك ساسان هم من سلالة الاله اورمزد ووضعوا شخص الملك فى مصاف اولياء الله الصالحين

ومثلهم ملوك الحبشة يصف الواحد منهم نفسه بأنه (ملك الملوك)

— واخلاوس Achille الذى خلّد هوميروس ذكراه في الالياذة المشهورة عبده الناس في ذلك الوقت كما يعبدون الله .

— وروى هيرودوت ابو التاريخ انه رأى في آسيا الصغرى آثاراً مصرية قديمة عليها نقوش وصف فيها رمسيس الثانى نفسه بأنه (ملك الملوك وسيد السادات) وعندما كان يذهب رمسيس الى المعبد كان يلجم الملوك الذين وقعوا فى اسره اربعة اربعة لجر مركبته من قصره الى المعبد ومن المعبد الى قصره .

— وتجد الامبراطور الرومانى جوستينين Justinien (وهو من اصل مقدونى ايضا) يكتب في كتاب له (هل يوجد ما هو اكبر عظمة واطهر قداسة من الجلالة الملوكية) وعندما كان يمر امام الشعب كان الناس يجثون امامه . يركعون ثلاث مرات ويقبّلون رجليه . وكان يصف نفسه بانه (الامبراطور — الكاهن الذي اصطفاه الله وجعله فى مصاف الملائكة)

وسرت هذه الروح من جيل الى جيل ومن عصر الى عصر .

فتجد المعز لدين الله الفاطمى في الرسالة التي وجهها الى الحسن الاعصم زعيم القرامطة يتسم بسمة النبوّة ويسبغ على الامامة الفاطمية لونا من القداسة وينوّه بخواصّها وجلالتها المقدسة ومقدرتها الروحية الخارقة وكونها امامة الدنيا والدين معا .

قارن بين غرور هؤلاء الاباطرة والملوك وبين تواضع النبي عليه السلام وتواضع الخلفاء الراشدين من بعده — في الوقت الذي بلغوا فيه ذروة المجد الديني والسياسى والحربي .

— كان النبي عليه السلام يكره ان تقبّل يداه مخافة ان تجري العادة بهذا بين الناس فتحمل بينهم على محل الذلة والخضوع . قال ابوهريرة رضى الله عنه « دخلت السوق مع النبي صلى الله عليه

السابع قبل الميلاد . وكان فيها من بلاد اليونان كثير ممن استقدمهم الفراعنة واستخدموهم جنوداً . وكان فيها فوق هذا وذاك مدينة يونانية بحتة هي نقراطيس (كشف آثارها العلامة الأثرى فلندرز بيترى فى خلال سنة ١٨٨٤ ويقول انها واقعة على الضفة اليمنى من قناة قديمة تبعد عشرة أميال غرب فرع رشيد) أسسها اليونانيون فى عهد بسماتيك الأول فرعون مصر الذى طرد الغزاة وأعان استقلال مصر . كما كانت توجد جالية يونانية كبيرة أيضاً فى ممفيس عاصمة القطر .

تأسيس الاسكندرية

ألمع درة فى تاج الاسكندر -وهى عظمة عظماته- تأسيسه مدينة الاسكندرية . وقد بناها على مقربة من بلدة راكوتيس القديمة (بين جزيرة فاروس التى فيها فنار الاسكندرية ورأس التين الآن وبحيرة مريوط . ويسميها مؤرخو العرب « راقوده») وقدوفق الاسكندر فى اختيار موقع الاسكندرية.[1] لان موقعها صحى وهواءها نقى

وسلم فاشترى سراويل وقال للوازن : زنوارجح. فوثب الوازن الى يد رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبلها فجذب يده وقال : هذا تفعله الاعاجم بملوكها ولست بملك . انما انا رجل منكم . ثم أخذ السراويل فذهبت لأحمله فقال : صاحب الشيء احق بشيئه ان يحمله »

وقال عليه السلام ايضاً« انما انا عبد. آكل كما يأكل العبد واجلس كما يجلس العبد »

(١) وهى ثالث مدينة أسسها الاسكندر وسماها باسمه . الاولى الاسكندروبوليس Alexandropolis والثانية الاسكندرونة Alexandrette التى ضمها الترك الى بلادهم فى سنة ١٩٣٩ على أثر اتفاق عقدوه مع فرنسا . وقد اقتدى الاسكندر بأبيه فيليب فى تسمية بعض البلاد باسمه تخليداً لذكراه . الم يؤسس أبوه مدينة سماها باسمه Philippes وقد اشتهرت فيما بعد اذ فيها قهر أنطوان وأوكتاف جيش بروتوس Brutus وكاسيوس Cassius اللذين اغتالا يوليوس قيصر Jules César . وفى هذه المدينة ايضاً نشر القديس بولس تعاليم الانجيل لأول مرة فى أوروبا .

وتوجد فى ايطاليا مدينة اسمها (الاسكندرية) وسبب تسميتها بهذا الاسم أن فردريك الاول أمبراطور المانيا اراد أخضاع ملك ايطاليا وبسط نفوذه الامبراطورى عليها فزحف عليها بجيش جرار ودخل روما حيث بايعه البابا أمبراطورا فى كنيسة القديس بطرس المشهورة (فى ١٨ فبراير سنة ١١٥٥) الا ان اهالى روما ثاروا عليه فقبض على زعيمهم أرنو Arnaud de Brescia وشنقه. ولم يكتف بشنقه بل أمر باحراق جثته والقاها فى نهر الـ (Tibre) ولما عاد فردريك الى بلاده عقد مجمعاً فى مدينة بزانسون Besançon فى سنة ١١٥٨ وفيه حضر مندوبان من قبل البابا . وفى اثناء الاجتماع حصلت مشادة بين الكردينال رولان أحد مندوبي البابا

يأتيه من البحر ومن الصحارى الغربية . وجميع المؤرخين والسياح الذين زاروها أشادوا

والامبراطور. فقال الكردينال للامبراطور (ممن تستمد سلطتك ؟ اليس من البابا) فلما سمع احد الاشراف هذا الكلام همَّ بضرب الكردينال بسيفه . الا ان الامبراطور أمسك بذراعه واكتفى بان أمر بطرد مندوبي البابا من بلاده ونوى غزو أيطاليا من جديد لتأييد سلطانه. فجيش جيشا من ٥٠٠٠٠ مقاتل زحف به على ايطاليا واستولى على البلاد المهمة وأخضعها لسلطانه. الا ان مدينة ميلانو عصت. فحاصرها سنتين ونصف سنة ثم سامت جوعا فاصدر الامبراطور أمراً الى الاهالى بأخلائها وضرب لهم مهلة أسبوعا ثم دمرها من اولها الى آخرها وجعل عاليها سافلها. حدث في اثناء هذه الفترة أن مات البابا فاجتمع الكرادلة وانتخبوا الكردينال رولان (الذى ناوأ الامبراطور) بابا . فاستوى على كرسي البابوية بأسم (اسكندر) الثالث . فالتف جميع الايطاليين حوله. وهو عقد محالفة مع ملك (صقلية) ومع جمهورية (البندقية) والثلاثة قاوموا الالمان. ولما اراد فردريك الزحف على ايطاليا من جديد ظهر الطاعون بين جنده فانقلب راجعا الى بلاده وخلصت ايطاليا من جبروته وأعاد الايطاليون بناء مدينة (ميلانو) . واعترافا بفضل البابا وشجاعته أسسوا على ضفة تانارو Tanaro احد روافد نهر البو (Pô) مدينة محصنة اسموها (اسكندرية) باسم البابا (اسكندر) الثالث . أزاء اتحاد حكومة البابا وحكومة البندقية وتضامنهما اضطر الامبراطور فردريك الى طلب الصلح. ولاظهار حسن نياته سافر الى ايطاليا ودخل مدينة ميلانو حيث استقبله اهلها بحفاوة عظيمة وليظهروا له ولاءهم استبدلوا اسم (الاسكندرية) باسم (القيصرية) Césarée ولكن بعد وفاته ابطلوا اسم القيصرية واعادوا اليها اسم (الاسكندرية) باسم البابا (اسكندر) الثالث ولا يزال اسمها معروفا عاصمة بلاد(أثيوبيا) واسكندرية ايطاليا هذه مشهورة في النوبة وما يليها —

والنمسا في يونيه سنة ١٨٠٠ وبها الامراء والنبلاء ووجوه البلد يقصدون معبد آمون Le Piémont وبلاد ميلانو ذاته كما كان يستلهم ويستوحى معبد جوبيتر امون سيوه . منشيو Mincio . وقد امضى من المدنية والحضارة مبلغا عظيما وكان لها جيش قوى يبلغ ٢٥٠٠٠٠ Desaix والجنرال كالى على عرشها ٤٥ ملكا وجاء وقت غزت أثيوبيا بلاد مصر واستعمرتها سنة ١٨٠٠ وفي هذا يقول هيرودت أبو التاريخ (استوى على عرش مصر من عهد مينا أول نفسه حتى الى طوطوميس الرابع ٣٣٠ ملكا منهم ١٨ من ملوك أثيوبيا) .

القاهرة كان في بلاد أثيوبيا مدن كبيرة ومعابد كثيرة . وكان لها قوانين ومحاكم وأدارات وأنظمة لى انها بلغت من المدنية شاوا بعيدا . وكان لاهالى أثيوبيا كتابة خاصة أشبه بالكتابة ١٧٩٩ الهيروغليفية .

الجنرال م وكان للكهنة سلطة واسعة مطلقة لا حدّ لها . يولون من يشاءون ويعزلون من يشاءون . و يودور الصقلى أن الكهنة كانوا يختارون الملوك من رجالهم . وبمجرد ما يقع اختيارهم على اعلن انهم يجمعون الكبراء والعظماء في حفلة دينية ويعلنون ان (جوبيتير آمون) أوحى اليهم ان ضاختاروا فلانا ليتولى الملك . وفى الحال يخرون للاذقان سجداً امام الملك الجديد ويقيمون له الشعائر الدينية كأنه اله .

وكان من عاداتهم في قضائهم ما كانوا يحكمون على احد بالاعدام حتى ولو كانت جنايته تستوجب الاعدام . كانوا يرسلون الى المجرم رسولا من قبل القاضى يسلمه اشارة الموت وبمجرد ما يراها

بجودة هوائها وصحة مناخهـــا . منهم ديودور الصقلى Diodore وسترابون Strabon
وأميين مارســـلين Ammien Marcelin وكنت كورس Quinte-Curce و بابن Pline .
حتى ان كثيراً من أطباء الأقدمين كانوا يشيرون على المرضى بالســـل بالاقامة فيها
(راجع صحيفة ٣ من كتاب الأستاذ برشيا مدير المتحف اليونانى الرومانى بالاسكندرية).
وشهد بهذا مثلهم المقريزى المؤرخ المشهور (سنة ١٤٤١ ميلادية) / وتدل التقارير
الرسمية والاحصاءات السنوية التى تنشرها الحـكومة المصرية على صحة هذه الشهادات.
إذ ان وفيات الاسكندرية أقل من وفيات المدن المصرية الأخرى .

وقد ندب الاسكندر أ كبر مهندسيه-واسمه دينوكرات Dinocrates - من أهالى
جزيرة رودس - لتخطيط المدينة . وتولى الاسكندر بنفسه تعيين مواقع الشوارع والمعابد
والأسواق والملاهي . ثم حصنها تحصيناً قوياً بدلالة وثيقة رسمية هيروغليفية عثر عليها
حديثاً يرجع عهدها الى سنة ٣١١ قبل الميلاد . ذكرت الاسكندرية وسمتها(قلعة ملك
الوجهين القبلى والبحرى ابن رع ومحبوب آمون) الى أن قيل فى هذه الوثيقة(وهذه القلعة
وسلم فاشترى سراويل بحر الروم وكان اسمها قديماً راكوتيس Racotis) وكان فى نيسة
يقبّلها لجذب يده وقال : هذه مركزاً للتجارة بين آسيا واوربا وافريقيا.
السراويل فذهبت لأحمله فقال : صاحب الشيء احق بشيئه
وقال عليه السلام ايضاً انما انا عبد. آكل كما يأكل العبد رومين من سراة نقراطس
(١) وهى ثالث مدينة أسسها الاسكندر وسماها باسمه . (١) وتم تأسيس الاسكندرية
والثانية الاسكندرونة Alexandrette التى ضمها ال Alexandropolis
١٩٣٩ على أثر اتفاق عقدوه مع فرنسا . وقـد اقتدى الاسكندر بأبيه فيليب وقد زارها كثير من
البلاد باسمه تخليداً لذكراه . الم يؤسس أبوه مدينة سماها باسمه Philippes وقد اشتهر Domitien
اذ فيها قهر أنطوان وأوكتاف جيش بروتوس Brutus وكاسيوس Cassius اللذين اغتالا
يوليوس قيصر Jules César . وفي هذه المدينة ايضاً نشر القديس بولس تعاليم الانجيـــل لأول
مرة فى أوروبا .

وتوجد في ايطاليـا مدينة اسمها (الاسكندرية) وسبب تسميتها بهذا الاسم أن فردريك
الاول أمبراطور المانيا اراد أخضاع ملك ايطاليا وبسط نفوذه الامبراطورى عليها فزحف عليها
بجيش جرار ودخل روما حيث بايعه البابا أمبراطورا في كنيسة القديس بطرس المشهورة (في
١٨ فبراير سنة ١١٥٥) الا ان اهالى روما ثاروا عليه فقبض على زعيمهم أرنو Arnaud
de Brescia وشنقه.ولم يكتف بشنقه بل أمر باحراق جثته والقاها فى نهر الـ (Tibre) ولما عاد
فردريك الى بلاده عقد مجمعا في مدينة بيزانسون Besançon في سنة ١١٥٨ وفيه حضر مندوبان
من قبـل البابا . وفي اثناء الاجتماع حصلت مشادة بين الـكردينال رولان أحد مندوبي البابا

ولتخطيط وتجميل مدينة الاسكندرية استقدم الاسكندر من بلاد اليونان كثيراً من المهندسين ومن المعماريين ومن الفنانين ومن مهرة الصناع وكل من له بسطة فى علم أو فن/ وبينما كان الاسكندر يعمل فى تأسيس مدينة الاسكندرية ورد له نبأ استيلاء أسطوله على جزر الأرخبيل اليونانى مثل جزيرة تندوس Tenédos وجزيرة لسبوس Lesbos وجزيرة خيوس Chios وجزيرة Cos ولما مثل أسرى جزيرة تيندوس أمامه أمر باعتقالهم وأرسلهم إلى اسوان فى جزيرة فيله .

استولى الاسكندر على مصر وكان عمره ٢٤ سنة فقط . أراد الاسكندر أن يزور واحة سيوه[1] ليستوحى آمون معبود المصريين ويستلهمه . وليسمه الكهنة

---

(١) كانت لهـا شهرة كبيرة فى عهد الفراعنة وفي عهـد الاغريق دلت عليها الآثار القديمة التي عثروا عليها في « جبل الموتى » في خلال سنة ١٩٤٠ وجبل الموتى هذا يبعد عن بلدة سيوه بنحو ١٥٠٠ متر . وتجد واحة سيوه مذكورة في اشعـار الاغريق وفي كتب مؤرخيهم وحج اليهـا كثيرون من اهالى برقة ومن اهالى قرطاجة (تونس) ومن اهـالى اتينا ومن اهالى اسبارطة يستلهمون وحى امون كما فعل الاسكندر

ويوجد « لجوبيتير آمون » معبد آخر مشهور قائم فى مدينة مروا عاصمة بلاد(أثيوبيا) وهى البلاد الواقعة فى أعالى النيل ومنها بلاد النوبة وما يليها —

كان الحجاج والسيـاح والامراء والنبلاء ووجوه البـلد يقصدون معبـد آمون هذا ويستوحونه ويستلهمونه كما كان يُستلهم ويُستوحى معبد جوبيتر امون سيوه .

وكانت بلاد(أثيوبيا) قد بلغت من المدنية والحضارة مبلغا عظيما وكان لها جيش قوى يبلغ ٢٥٠٠٠٠و مقاتل . وقـد استوت على عرشها ٤٥ ملكة وجاء وقت غزت أثيوبيا بلاد مصر واستعمرتها وضمتها اليها . وفي هذا يقول هيرودت أبو التاريخ (استوى على عرش مصر من عهد مينا أول ملوك مصر الى طوطوميس الرابع ٣٣٠ ملـكا منهم ١٨ من ملوك أثيوبيا) .

كان في بلاد أثيوبيا مدن كبيرة ومعابد كثيرة . وكان لها قوانين ومحاكم وأدارات وأنظمة تدل على انها بلغت من المدنية شاوا بعيـدا . وكان لاهالى أثيوبيا كتابة خاصة أشبه بالكتابة الهيروغليفيـة .

وكان للكهنة سلطة واسعة مطلقة لا حد لها . يولون من يشاءون ويعزلون من يشاءون . يقول ديودور الصقلى أن الـكهنة كانوا يختارون الملوك من رجالهم . وبمجرد ما يقع اختيارهم على واحد منهم يجمعون الـكبراء والعظماء في حفلة دينيـة ويعلنون ان (جوبيتير آمون) أوحى اليهم بأن يختاروا فلاناً ليتولى الملك . وفى الحال يخرون للاذقان سجداً امام الملك الجديد ويقيمون له شعائر أدينية كأنه اله .

ومن عادتهم فى قضائهم ما كانوا يحكمون على احد بالاعدام حتى ولو كانت جنايته تستوجب الاعدام . كانوا يرسلون الى المجرم رسولا من قبل القاضى يسلمه اشارة الموت وبمجرد ما يراها

ابن آمون . سافر من راكوتيس فى محاذاة شاطىء البحر الأبيض . وقد صحبه فى هذه الرحلة بطليموس (الذى استوى على عرش مصر فيما بعد) وكاليستين مؤرخ غزواته . وفى اثناء الرحلة التى بوفود حضرت اليه من برقة (ليبيا) قدمت اليه هدايا كثيرة عربوناً لولائهم واخلاصهم ودعته لزيارة ليبيا . ولما وصل إلى مدينة باريتونيوم Parœtonion (مرسى مطروح الآن - والعرب يسمونها البرطوم وهو تحريف لاسم باريتونيوم) - اتجه جنوباً نحو واحة سيوه التى تبعد عنها مسيرة ١٢ يوماً[1] . كانت الرحلة شاقة جداً . وزادها مشقة نفاد الماء الذى جلبه الاسكندر على الجمال . ومصادفة سفر الحملة فى الشهور الواقعة فى صميم الحر . ثم هبوب عاصفة هوجاء من ريح سموم ذرّت الرمال فى وجه الجند لدرجة يئسوا معها من النجاة . وبينما الاسكندر وجنوده على هذه الحالة من اليأس . واذا بمطر غزير يهطل عليهم فاستبشروا خيراً . وزادوا استبشاراً بظهور غرابين فى سماء الصحراء (وقيل ثعبانين) فاستبشر الاسكندر خيراً بظهورهما . وأمر القافلة بالمسير فى اتجاه الغرابين . فساروا حثيثاً إلى أن رأوا على بعد أشجارَ النخيل والزيتون التى كانت بالواحة . ولما دخلوها وجدوا عيون ماء وفيرة - منها العين المقدسة وعين الشمس - كما وجدوا بحيرات عدة . وبمجرد وصول الاسكندر قصد معبد آمون

المجرم يدخل داره ويقتل نفسه . والمجرم الذى لا يقتل نفسه بنفسه كان يجلب العار على نفسه وعلى أهله . يروى ان أماً وثبت على ابنها وخنقته خنقاً لأنه حاول الهروب ليتخلص من الانتحار .

وكذا بالنسبة الى الملوك . فان الكهنة اذا ما ارادوا التخلص من ملك أرسلوا اليه رسولا ينذره بأن الآلهة ساخطون عليه ويطلبون منه أن ينتحر فكان يطيع الامر طاعة عمياء . لأن اوامر الآلهة التي يوحون بها الى الكهنة كانت اوامر باتة لا تقبل نقضاً ولا ابراماً .

(١) وهذا الطريق هو الذى اتبعه الخديوي عباس عندما زار واحة سيوة فى سنة ١٩٠٥ - وهو هو الطريق الذى اتبعه ايضاً المغفور له الملك فؤاد الاول عندما زار سيوة في سنة ١٩٢٧ — وقد وصف الدكتور مأمون عبد السلام رحلته الى واحة سيوة في سنة ١٩٢٧ في مقالات عدة نشرها في الاهرام وفى مجلة الاثنين . وقد جاء فيها ان معبد آمون اندثر ولم يبق منه الا بضعة احجار . لأن رجال الحكومة في عهد عباس الاول هدموا المعبد واستعملوا حجارته في بناء مركز الحكومة . ولعل أوفى وصف لواحة سيوة والطرق الموصلة اليها هو الوصف المنشور فى مجلة الجيش المصرى في عدد نوفمبر سنة ١٩٣٨ بقلم حضرة اليوزباشى رفعت الجوهرى مأمور مركز مرسى مطروح . وقد ألم بتاريخ واحة سيوة في العهد المصري القديم (غزو الفرس وعصر الاسكندر) وفي العهد الروماني وفي العهد العربي وفى عهد محمد على باشا الكبير وفى عهد السنوسي وفي عهد الخديوي عباس وفي عهد الملك فؤاد وفي عهد جلالة الملك فاروق . فليرجع اليه من يريد المزيد من البيان . وطول الطريق من مرسى مطروح إلى سيوة ٣٠٠ كيلو متر (٣٠٢ بالضبط) تقطعها السيارات فى عشر ساعات ويقطعها الهجين فى خمسة ايام

الذى كان قائماً على ربوة اسمهـا الآن (يغورمى) وكان معبد آمون سيوه فرعاً من معبد آمون الـكرنك .

راع الـكهنة حضور الاسكندر المقدونى إلى واحة سيوه . وراعهم تجشمه المشاق الهـائلة للوصول اليها . ولا سيما انه لم يسبق ان فرعوناً من فراعنة مصر حج الى سيوه[1] . ولما رأى الـكهنة الاسكندر وجنده هرعوا اليه واستقبلوه استقبـالاً رائعاً وأدخلوه المعبـد . ثم تقدم اليه كبير الكهنة – وكان شيخاً فانياً يجيد اللغة اليونانيـة – وأحضر معه المعبود آمون وحيا الاسكندر باسم (ابن آمون) . ثم أدخله وحده داخل حجرة فى المعبد . وفيها استوحي الاسكندر آمون رع . فأوحى اليه بما أوحى . وتقبل الاسكندر وحيه واستبشر . وذاع خبر الوحى وطبق الآفاق . واعتقد الناس ان الإله آمون أخذ ابنه الاسكندر فى رعايته وعنايتـه وكتب له النصر فى جميع فتوحاته وغزواته . . قد جاء المستقبل مصدقاً ومؤيداً لنبوءة آمون . ممـا حمل الاسكندر على

---

(١) لما غزا الفرس ديار مصر اراد قمبيز فى سنة ٥٢٥ قبل الميـلاد ان يستولى على واحة سيوه وان يهدم معبد امون . فسير عليها حملة قوية مؤلفة من ٥٠٠٠٠ مقاتل . ولكن طول الطريق وهبوب الذاريات ونفاد الماء حالت دون وصول جنده فهلكوا على بكرة ابيهم ولم يصل جندى واحد الى سيوه .

— فى فبراير سنة ١٨٢٠ جرد محمد على باشا الـكبير حملة عسكرية لاحتلال واحة سيوه الفها من ١٣٠٠ جنـدى رأس عليهم حسن باشا الشماشرجى فاحتلت سيوه وضمتها الى مصر .

وقد صحب هذه الحملة العـالم الفرنـاوى فريدريك كايو Frédéric Cailliaud الذى تخصص فى علم المعادن وفي علم طبقات الارض . وبعد أن عاد من رحلته ندبه محمد على باشا الكبير لـكشف مناجم الزمرد التى كان الفراعنة يستغلونها من جبل زاباره Zabarah . سافر إليها من ادفو واتجه الى شاطىء البحر الاحمر فعثر عليها في طريقه ووجدها كما تركها البطالـة . وقد زار أيضاً الواحة الخارجة وعثر فيها على معابد أثرية لم يرها أحد من قبل . ثم رافق الحملة التى جردها محمد على باشا الـكبير لفتح الـسودان فزار حلفـا ودنقلة ومروا وواصل سيره الى ان وصل الى سنّار . وقد التقى في طيبه (الاقصر) بمحمد على باشا الـكبير كما التقى في اسوان بسليمان باشا الفرنـساوى ألف عن رحلاته هذه مؤلفات عدّة وصف فيها معابد بلاد النوبة وآثار الاقصر والعرابة المدفونة كما نقل صورة من جدول فراعنة مصر في معبد رمسيس الثانى بالعرابة المدفونة . وهذا الجدول — الفريد فى نوعه — كان اشتراه مسيو ميمو Mimaut قنصل فرنـسا ثم باعه للانجليز في سنة ١٨٣٧ وهو يزين الآن المتحف البريطانى بلندن .

وقد رممت مصلحة الآثار المصرية المعبد الذى كان شيده دارا فى واحة الخارجه . وكانت على وشك تجديد معبد امون في واحة سيوه ولكن الحرب حالت دون ذلك .

أن يوصى بدفنه بعد موته فى واحة سيوه فى حضن أبيه المعبود آمون . وقد كتب الاسكندر إلى امه (اولمبياس) كتاباً قص عليها فيه رحلته إلى واحة سيوه .

وها نص الحديث الذى دار بين كبير الكهنة والاسكندر على ما رواه بعض المؤرخين :

كبير الكهنة : السلام عليك يا بنىّ . تقبل هذا اللقب من الاله آمون .

الاسكندر : أتقبل هذا الاسم يا أبتِ ومن الآن سأسمى نفسى ابن آمون رع

كبير الكهنة : تعال . أنت ابنى من صلبى . أحبك حباً جماً سيبقى ما دام رع . وسيبقى ملكك وعزك ما دام هورو

الاسكندر : أسأل الاله رع أن يبسط سلطانى على المعمورة كلها وعلى الناس كافة

وبعد أن انتهت رحلة واحة سيوه زايلها الاسكندر إلى منفيس من طريق واحة قارة ومنخفض القطارة . فوصل اليها بعد مسيرة ١٨ يوماً . وفيها وجد وفوداً كثيرة وفدت من بلاد اليونان ومن تراقيا لتقدم له هدايا وشعائر الولاء والاخلاص . وقد أرسل اليه نائبه أنتيباتير Antipater الذى أقامه مقامه فى مقدونيا ٤٠٠ من مشاة اليونان الصناديد و ٥٠٠ من فرسان تراقيا البواسل .

وقد انتهز الاسكندر فرصة وجوده فى مصر وأرسل بعثة علمية إلى بلاد السودان لتكشف منابع النيل وتدرس أسباب فيضان النيل وتحاريقه . سافرت البعثة وبحثت وحققت ودققت . فاهتدت إلى ان سبب فيضان النيل هبوط أمطار غزيرة فى بلاد الحبشة . وقد سر أرسطاطاليس بنتيجة أبحاث البعثة . لأن علماء اليونان وغيرهم كانوا يجهلون سر هذه الظاهرة الطبيعية .

واسكندر الأكبر هو الذى أمر بحفر ترعة الاسكندرية ليوصل اليها المياه من النيل . لأن الماء القليل الذى كان يحصل عليه أهالى ضيعة راكوتيس - موضع كوم الشقافة الآن وهى الضيعة التى شيدت عليها مدينة الاسكندرية - ما كانت تكفى لسد حاجة سكان المدينة الجديدة . فأمر الاسكندر بحفر ترعة كبيرة تأخذ من فرع النيل الكانوبى عند مدينة شيديا - النشو البحرى الآن - راجع صحيفتى ٩ و١٥ من كتاب « تاريخ خليج الاسكندرية القديم » للأستاذ عبد الجليل عمر سالم - أما ترعة

المحمودية الموجودة الآن فأنشأها محمد على باشا الكبير وسماها باسم السلطان محمود وهى تأخذ مياهها من فرع رشيد على مسافة ربع فرسخ من فوه . وقد استخدم محمد على باشا لحفرها ٣١٣ ألف عامل .

وبعد موت الاسكندر - وفى زمن بطليموس فيلادلف - بُنى فنار الاسكندرية الذى عد أحدى عجائب الدنيا . وقد بناه المهندس سوسترات Sostrate وبلغت تكاليف بنائه ١٩٢,٠٠٠ جنيه ذهب . وكلمة Phare (فنار) مشتقة من اسم جزيرة (فاروس) - رأس التين الآن - حيث شيد فيها الفنار .

أقام الاسكندر فى مصر ستة أشهر[1] وقبل أن يغادرها نصَّب اثنين من المصريين

---

(١) فكر الاسكندر في اثناء وجوده فى مصر في نقل عاصمة ملكه من مدينة بيللا (مقدونيا) الى الاسكندرية (مصر) . ولكن عدم اتمام تشييد مدينة الاسكندرية واضطراره الى مغادرة مصر لمحاربة الفرس حالا دون تنفيذ نيته .

ومسألة نقل عواصم البلاد من مكان الى مكان لها سوابق فى التاريخ . فقد نقلت عاصمة روسيا من لينينجراد الى موسكو . ونقلت عاصمة تركيا من استانبول الى انقرة . ونقلت عاصمة الهند في سنة ١٩١١ من كلكوتا الى دلهي . وقديماً نقلت عاصمة مصر من طيبة الى تل العمارنة (في عهد أمينوفيس الرابع) ثم الى ممفيس ثم الى الاسكندرية ثم الى القاهرة . وفي خلال سنة ١٨٩١ — بعد الثورة الفرنساوية بسنتين — فكر الفرنساويون الخوارج — لاستمالة المقاطعات الجنوبية من فرنسا اليهم — في نقل عاصمة فرنسا من باريس الى ليون . ونقلت عاصمة ايطاليا من ميلانو — وكان اتخذها نابليون عاصمة لايطاليا — الى تورينو Turin ثم من تورينو الى فلورنسا ثم الى روما بعد ما نادى البرلمان الايطالي بفيكتور اعانوئيل ملكاً على ايطاليا في ١٤ مارس سنة ١٨٦١ . ولعلّ أهم حادثة في تاريخ نقل العواصم كان نقل عاصمة الامبراطورية الرومانيّة فى سنة ٣٣٠ بعد ميلاد المسيح من روما — مدينة ريموس Remus وروموليس Romulus الى بزانطه — التى سميت القسطنطينية باسم الامبراطور قسطنطين الذى اتخذها عاصمة لامبراطوريته — وقد دامت حفلات الافراح ابتهاجاً بهذا النقل أربعة أيام بلياليها لم يُر ولم يُسمع بأبهج وأروع منها . لأن الامبراطور قسطنطين لبث خمس سنوات يبذل مجهوداً جباراً لتجميل وتوسيع المدينة وقد استخدم لتحقيق اغراضه ٤٠,٠٠٠ عامل . فشيّد القصور الفخمة والمباني الكثيرة والكنائس الجديدة وشقّ الشوارع وبنى الارصفة وأقام أقواس النصر والتماثيل . ولزيادة تجميلها نقل اليها آثاراً كثيرة من روما ومن الاسكندرية ومن أثينا ومن أنطاكيا كما نقل اليها آثاراً كثيرة من مدن آسيا الصغرى حتى جعل القسطنطينية أجمل مدينة فى الشرق . ومن الكنائس الجميلة التى شيدها كنيسة الرسل وقد جعلها مدفناً للامبراطرة ولعلّ أهمها وأفخمها كنيسة آيا صوفيا المشهورة .

ولعل اغرب من هذا كله نقل مصر من آسيا إلى أفريقيا إذ كانت مصر في قديم الزمان معدودة جزءاً من آسيا ثم نقلت من اسيا وادخلت ضمن بلاد افريقيا — راجع كتاب المؤرخ Le Bas فى التاريخ القديم جزء اول صحيفة ٤٧ .

- وهما بتيزيس Pétisis و دولواسبس Doloaspis - على المصالح المدنيـــة فى القطر . ونصب يونانياً اسمهأبولونيوس Appolonios حا كماً على منطقة الحـــدود الغربية (ليبيا) ويونانياً مصرياً من مدينة نقراطيس اسمه كليومين Cléomène على منطقة الحدود الشرقية (بلاد العرب) وعين اثنين من الضباط المقدونيين مساعدين للحا كين المصريين .

ولما برح الاسكندر مصر قصد توا فينيقيا (فلسطين الآن) وأقام فى صور . وفى أثناء زحفه وصل اليه خبر وفاة ستاتيرا زوجة دارا فحزن عليها وأمر بان تكون حفلة جنازتها من الفخر ومن روع ما يكون. علم وهو فى صور أن دارا ملك الفرس يجهز جيشاً جراراً فى بابل . قدره بعض المؤرخين بستمائة الف جنـدى من المشاة واربعين الفاً من الفرسان مزودين بمائتى مركبة حربية . واختار لملاقاة الاسكندر سهول اربل Arbèle على الضفة اليسرى من الدجلة .زحف الاسكندر بجيشهوكان مؤلفاً من ٥٠٠٠٠ مقاتل (١) من بلدة

(١) يذكرني تلاحم جيش جرار عدد المقاتلة فيه ٦٠٠٠٠ بجيش عدد المقاتلة فيه ٥٠٠٠ — أى أقل من العشر — بكلمة مأثورة عن أحد الضباط الفرنساويين شان جارنيه Changarnier عند ماقاتل الفرنساويون مغاربة الجزائر فى خلال سنة ١٨٣٦ أذ حدث أن أحاطت قوة كبيرة من المغاربة بقـوة صغيرة من الفرنـويين . فظن الفرنسيون أن قائدهم سيأمرهم بالتقهقر أمام عدو يتفوق عليهم كثيراً فى العدد . الا ان القائد قام فيهم خطيبا وقال « انظروا امامكم. هم ٦٠٠٠ وانتم ٣٠٠ . فالقوتان متعادلتان . هلموا »

وتذكرني هذه الحادثة بحادثة أخرى مثلها . ذلك ان دارا الاول ملك الفرس كان أراد أخضاع الاغريق فهزمه الاغريق في ثلاث وقائع فاغتاظ وحقد على الاغريق وآلى على نفسه ان يثأر لنفسه ويسحقهم سحقاً . وبلغ من حقده أن اوصى خادمه بان يذكره كل يوم قبل تناول الطعام بالاغريق ليزيد حقده حقداً وكراهيته كراهة. فكان يقول له الخادم: (يا سيد الأنام . تذكر ما فعله الاغريق بك وبجيشك) . الا ان المنية عاجلت دارا قبل ان يأخذ بثأره . ولما خلفه كزريس الأول Xersés I حاول تنفيذ نية سلفه بغزو بلاد اليونان بجيش جرار فقابله الاغريق بعزم صادق وشجاعة نادرة . ومع انهم كانوا أقل عدداً منه بنسبة ١ الى ١٠ فأنهم هزموه أربع مرات شر هزيمة ٣ مرات منها فى البحر (واقعة سلامين Salamine وواقعة ميكال Mycale وواقعة اورى ميدون Eurymédon) وفى البحر في واقعة بلاتيه Platée. فلما فشل ثار عليه جنده وقتلوه . وكان اهم عوامل انتصار الاغريق — وهم القلة — على الفرس — وهم الـكثرة — صمود الاغريق للفرس فى مضيق الترموبيل Thermopyles . فأن ٣٠٠ من جنود مدينة سبارطا (الاغريق) قاوموا وهم تحت أمرة ملكهم ليونيداس Léonidas جيش الفرس وأوقفوا زحفه عدة ايام تمكن فيها الاغريق من تعبئة جميع جنودهم . هلكوا جميعاً ولـكنهم أنقذوا وطنهم ومكنوا مواطنيهم من كسر شوكة الفرس . ولتخليد ذكرى هذه البطولة الرائعة وهذه التضحية الهائلة أقيم لهم أثر نقشت عليه العبارة الآتية: (ياعابر هذا الطريق . أذهب وخبـر بسبارطة بان أبناءها ضحوا حياتهم هنا أطاعة لامرها)



دخول اسكندر مدينة بابل

نصيبين ثم بمدينة نينوى (امام الموصل) واستمر زاحفاً إلى أن التقى بجيش الفرس فى جوجاميل (شمال أربل) وفى أول مايو سنة ٣٣١ قبل الميلاد نشبت المعركة بين الجيشين بأشد ما يكون من العنف والاستبسال دكت منها الأرض دكاً . ولما رأى دارا ان الاسكندر يتولى قيادة الفياق الذى صوبه نحوه أوجس فى نفسه خيفة وفر من الميدان وترك جنوده أشتاتاً فبطش بهم الاسكندر تلك البطشة الكبرى التى جعلتهم حصيداً خامدين [1].

اقتفى الاسكندر أثر دارا . ولكن دارا كان أسرع وهرول الى بلاد الكرد فلم يتمكن الاسكندر من أسره . ولما بلغ الاسكندر مدينة أربل [2] وجد فيها كنوز دارا وكمية هائلة من ذخائر الحرب فاستولى عليها كلها . ولما تقمص الولاية والامارة واستتب له الأمر لقب نفسه (ملك آسيا). ثم سار بجيشه إلى أن وصل إلى بابل [3] .وقبل أن يدخلها مثل بين يديه حاكم القلعة والكهنة وأعيان ووجوه المدينة وقدموا له الطاعة وبايعوه (ملكاً على بابل) وبهذا انسلخت بابل من حكم الفرس . كما انسلخت مصر من قبل . ولكسب عطف رعاياه الجدد أمر الاسكندر بتجديد وتعمير جميع المعابد التى دمرها الفرس . وعلى الأخص معبد مردك .

---

(١) ومن الغريب ان بعض مؤرخى العرب كانوا يؤرخون الحوادث الكبيرة بتاريخ انتصار الاسكندر على دارا . نجد مثلا المقريزى يقول فى كتاب (امتاع الاسماع) صحيفة ٤ ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ولد (سنة احدى وثمانين وثمانمائة لغلبة الاسكندر ابن فيلبس المجدونى على دارا وهى سنة الف وثلاثمائة وستة عشرة لابتداء ملك بختنصر . . . » وفى الصحيفة ٤٤ يقول وقيل دخل صلى الله عليه وسلم (المدينة سنة اربع وخمسين من عام الفيل وهو اليوم العشرون من ايلول سنة ثلاث وثلاثين وتسعمائة للاسكندر وهو الرابع من تيرماه . . . » وبدء تاريخ العام الهجرى بالنسبة الى السنة الميلادية يقع فى يوم ٢٥ يونيه سنة ٦٢٢ .

(٢) فيها ولد القاضى بن خلكان ونسبه هو شمس الدين ابو العباس احمد بن محمد ابن ابراهيم بن ابى بكر الاربلى الشافعى . وهو من بيت كبير باربل من مدن العراق على الشاطىء الشرقى من نهر دجلة . قال عن نفسه فى كتاب وفيات الاعيان انه ولد يوم الخميس حادى عشر ربيع الآخر سنة ٦٠٨ بمدينة اربل . وان والده كان يتولى التدريس بمدرسة الملك المعظم وتوفى فى سنة ٦١٠ من الهجرة . وقد خرج من اربل سنة ٦٢٦ من الهجرة ودخل حلب واقام بها .

واربل — او اربيل — اسمها مشتق من الكلمة الاشورية اربا ايلو ومعناها مدينة الآلهة الاربعة . وقد ساعدت السلطان صلاح الدين الايوبى فى حربه مع الصليبيين واشتركت معه فى موقعة حطين التى انتصر فيها عليهم

(٣) وصفها بوسويه Bossuet اكبر خطباء رجال الدين بفرنسا بكلمة جامعة قال فيها:

"Babylone semblait née pour commander à toute la terre" .

ومعنا : كأن بابل خلقت لتحكم على العالم بأسره

أقام الاسكندر شهراً فى بابل ثم زحف بجيشه نحو الشرق . وفى اثناء زحفه مرَّ على مدينة (الرّى) حيث أقام تسعة أيام (وقد شيد فيهـا سلويكوس الذى خلف اسكندر الأكبر - وكان أول ملوك عائلة السلو يكوسيين - قصوراً فخمة وصارت الرّى فى عهده مدينة زاهرة . إلا ان المغول غزوها فى خلال سنة ١٢٢١ ودمروها وجعلوا عاليها سافلها . وقد فتحها العرب فى السنة الثانية والعشرين من الهجرة - سنـة ٦٤٣ ميلادية - فى عهد سيدنا عمر ابن الخطاب . فسار المسلمون تحت قيادة نعيم لقتال الفرس فهزموهم وأسروا قائد الفرس اسفندياز . و بعد أن فتح العرب «الرى» بسطوا سلطانهم على طبرستان وجرجان وما اليها . والرى بلد من بلاد الديلم من العراق العجمى على بعد خمسة كيلو مترات من طهران وكانت مدينة من أمهات البلاد . قال الاصطخرى انها كانت اكبر من اصبهان

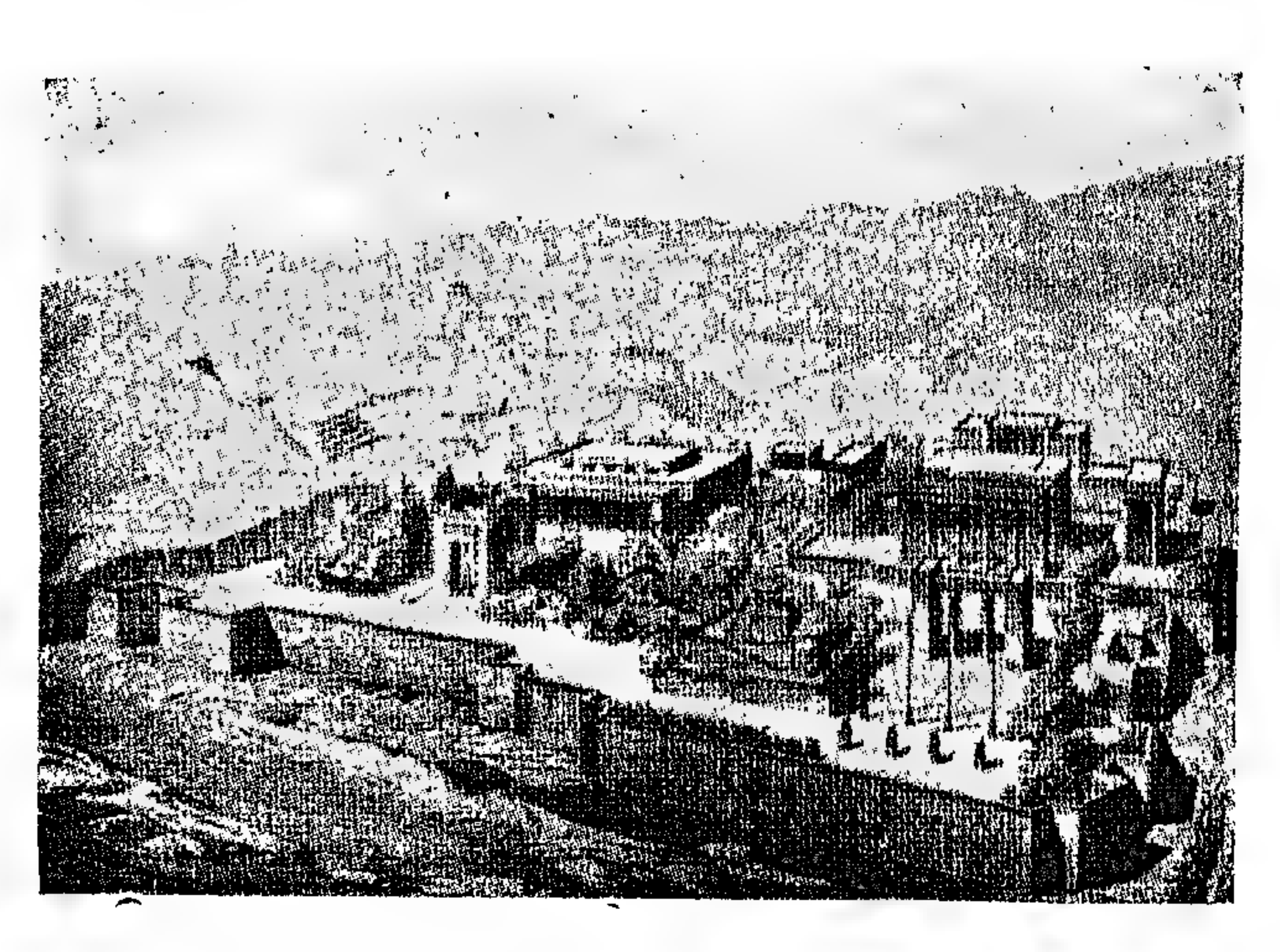
و بعد مسيرة ٢٠ يوماً وصل الاسكندر إلى مدينة « سوس » Suze [1] حاضرة الأخمينيين (و بالفارسية هخامنشى) وفيها وجد الخزائن عامرة بسبائك وافرة من الذهب والفضة قوّمها المؤرخون بار بعمائة مليون من جنيهات اليوم .

و بعد ما استولى الاسكندر على «سوس » زحف واستمر زاحفاً إلى أن عبر نهر الأراكس Araxe (واسمه الآن الكر أو الكور) ووالى سيره إلى أن بلغ بازارجاد [2]

---

(١) فى عهد سيدنا عمر ابن الخطاب وفى السنة الحادية والعشرين من الهجرة فتح العرب «سوس» وكان فى سوس جسد النبى دانيال وقيل ان اسمه « قاضى الله » . وفى معجم البلدان بخت نصر هو الذي نقل جثمان النبي دانيال الي سوس لما فتح بيت المقدس . وقد سهل للعرب فتح السوس انتصارهم في موقعة نهاوند . ونهاوند هذه كانت مدينة عظيمة بينها و بين همذان ثلاثة ايام . وكان عدد جيش المسلمين في موقعة نهاوند ٣٠،٠٠٠ تحت امرة النعمان وعدد الفرس ١٥٠،٠٠٠ تحت قيادة الفيرزان قتل منهم في ساحة الحرب ٣٠،٠٠٠ وفر الباقون الى الجبال المجاورة وهنالك قتل منهم ٨٠،٠٠٠ وفر الفيزران إلى همذان . ومما ماورد في تاريخ الطبرى عن هذه الموقعة : (وحمل النعمان وحمل الناس وراية النعمان تنقض نحوهم انقضاض العقاب . والنعمان معلم ببياض القباء والقلنسوة . فاقتتلوا بالسيوف قتالا شديداً ولم يسمع السامعون بوقعة يوم قط كانت اشد منها فقتلوا فيها من اهل فارس فيما بين الزوال والاعتام ما طبق ارض المعركة وما يزلق الناس والدواب فيه واصيب فرسان من فرسان المسلمين فى الزلق في الدماء . فزلق فرس النعمان في الدماء فصرعه واصيب النعمان حين زلق به فرسه وصرع) وكان المسلمون يسمون فتح نهاوند «فتح الفتوح» لانه لم يقم للفرس بعد هذه الواقعة قائمة . (وبعد ذلك استولى المسلمون على همذان).

(٢) وبازرجاد هذه فيها قبر قورش Cyrus ملك الفرس ومحلها الآن مدينة فازا Fasa حيث توجد آثار قديمة فى الحدود الفاصلة بين ولاية فارس وولاية كارمان .



قصر الملك دارا والملك كزركسيس فى برسبوليس

(الآن مشاد مراب) . وكان كسرى الأول ملك الفرس اتخذها مركزاً وشيد فيها القصور الفخمة . ومنها تابع سيره إلى أن وصل إلى برسبوليس Persépolis[1] (ويسميها العرب اصطخر واسمها الآن تخت جمشيد على مقربة من شيراز[2] . ويفصلها نهر الكور

---

(١) وبرسبوليس هذه واقعة فى هضبة تسمى الآن مردشت يجرى من تحتها نهر الآركس (الكور او بندمير) . أسسها قورش Cyrus ملك الفرس واتخذها الساسانيون مُقاماً لهم . كما اتخذها امراء العرب من بعدهم مقراً لحكمهم . واسمها الافرنجي أو الاغريقي « برسبوليس » معناه مدينة الفرس أما اسمها الفارسي تخت جمشيد فمعناه عرش جمشيد والفرس يسمون الخرائب الباقية من آثارها تشيل مينار ومعناها « الاربعون عموداً » .

(٢) ولد ابن سينا في خلال سنة ٣٧٠ من الهجرة بجوار شيراز

وشيراز هى مسقط رأس السعدي (مشرف الدين سعدي بن مصلح الدين عبد الله) وحافظ من فحول شعراء الفرس . حافظ ولد فى سنة ١٨٤ ١ وتوفي في سنة ١٢٨٢ . وقد وصفه أحد الكتاب الفرنسويين بكلمة جامعة قال فيها

" La plus noble figure de ce qu'on peut appeler l'humanisme persan."

وهو صاحب الالياذة الفارسية (كلستان) وصاحب المنظومة الآخرى (البستان) وقد عاش السعدى فى زمن هولاكو (الذى بعد ما غزا من البلاد ما غزا لقب نفسه « ملك الدنيا » وقد ساح السعدى كثيراً . فزار مكة ١٤ مرة وطاف في مصر وفي الحبشة وفي الاناضول وفي أرمينيا . وقد وصلت به الحال الى انه كان حماراً في الاستانة وحمالا في القدس وكناساً فى انطاكية وطرابلس (فى زمن الصليبين) . وقد اشتراه ثرىٌ من حلب بمائة دينار وزوجه بنته ولما أعتقه سافر الى تركستان وافغانستان والهند وفيها درس دين البراهمة . قال شيرازى لمصرى « لما كانت شيراز شيراز كانت القاهرة كورة »

والفردوسي — ويسمونه هوميروس الفرس — ولد فى طوس فى خلال سنة ٩٣٢ بجوار مدينة مشهد . وهو الذى نظم الالياذة الفارسية الاخرى التى يسمونها « الشاهنامة » من ٦٠٠٠٠ بيت . أتمها في سنة ١٠١٠ بعد مجهود دام ٣٥ سنة وأهداها الى السلطان محمود الغزنوى وضمنها تاريخ الايرانيين والطورانيين والساسانيين وعطف فيها على اسكندر الاكبر . وقد نقلها الى اللغة العربية أحد ادباء الاقدمين (البندارى) وراجعها وضبطها الدكتور عبد الوهاب عزام . وقد توفي الفردوسي معمراً فى سنة ١٠٢٠ ودفن فى طوس وقد احتفل بمرور ١٠٠٠ سنة على ميلاده وشيد له بهذه المناسبة قبر فخم . ويوجد فى طهران شارع كبير اسمه « شارع الفردوسي » ومثله الامام محمد احمد الغزالي فقد ولد في طوس هو ايضاً فى سنة ٤٥٠ من الهجرة (١٠٥٨ ميلادية) . اما عمر الخيام فولد في نيسابور فى اقليم خراسان وعلى بعد ٧٣ كيلو متراً من مشهد . وقد دمرها الاسكندر ثم عمرها سابور الاول . واتخذها السلجوقيون عاصمة لهم . اما عمر الخيام فقد ولد فى نيسابور فى سنة ١٠٤٠ وتوفى فيها في سنة ١١٢٤ (سنة ٥١٧ من الهجرة) وهو صاحب « الرباعيات » المشهورة . وقد ترجمت الى اللغة الانجليزية والى اللغة الفرنساوية . وعلى ذكر قبور العظماء نقول : على مقربة من بغداد توجد « الاعظمية » حيث يوجد قبر الامام « الاعظم » ابى حنيفه النعمان ولهذا سميت « بالاعظمية »

وبلاد الفرس الآن مقاطعة من ايران . فيها مدينة برسبوليس وبازارجاد وشاهبور وفيروز آباد (بلد الفيروزآبادى) .

أو الكر Araxe) وكانت من أجمل مدن العالم فى ذلك الوقت وقد وصفها أحد الكتاب فقال انها كانت :

" l'une des grandes merveilles classiques de la terre "

وكان ملك الفرس اكزركس Xerxés (وبالفارسية خشايارت) قد شيد فيها قصوراً فخمة ومبانى غاية فى الأبهة . فلينتقم الاسكندر منه — لأن سلفه كزركسيس سبق أن أحرق مدينة اثينا Athènes وكثيراً من المدن اليونانية — أمر باحراق مدينة برسبوليس من أولها إلى آخرها جزاءً وفاقاً ونكالاً لما بين يديها وما خلفها . فأحرقها وتركها قاعاً صفصفاً لا دار فيها ولا ديار . قاصداً بذلك أن يمحو من الوجود ذكر ملك الفرس أكزركس . وقبل أن يحرقها عمل بقول من قال (من عزّ بزّ) أى من غلَب أخذ السَلَب . فسلب جميع الأموال التى كان جمعها فيها ملوك الفرس . وكانت قيمتها تبلغ فى ذلك الوقت ١٢٠,٠٠٠ تالنت talents أى ما يعادل ٢٨ مليون جنيه انجليزى ذهباً . واستولى أيضاً فى مدينة بازارجاد Pasargade على أموال مكنوزة قدرت بمبلغ ٢,٠٠٠,٠٠٠ جنيه ذهباً .

وفى ربيع سنة ٣٣٠ زحف الاسكندر بجيشه واستولى على آخر حاضرة للفرس هى مدينة أكباتان (ومحلها الآن همذان ومنها بديع الزمان الهمذانى ومهران الهمذانى) [1] .

أراد الاسكندر أن يقطع دابر دارا . فعزم على مطاردته إلى أن يقبض عليه . إلا أن بسوس Bessus حاكم ولاية باكتريان (بخارى) — وهو الذى غصب فيما بعد عرش الفرس وسمى نفسه أرتاكزركس Artaxersès (وبالفارسية أرتخشيرشا . وقد ذكر فى الشاهنامة باسم اردشير) اعتقله وقبل أن يدركه الاسكندر قتله . فلما وصل الاسكندر الى باكتريان لم يجد امامه إلا جثة هامدة . فأمر بدفنه فى برسبوليس فى مدافن آبائه وأجداده باحتفال عظيم يليق بمقامه . ولا تزال آثار قبره موجودة حتى الآن فى تخش رستام (ضواحى برسبوليس) ويصفها مؤرخو الافرنج بقولهم انها كانت :

le Reims ou le Westminster des Achéménides

---

(١) استولى العرب على همذان فى السنة الحادية والعشرين من الهجرة فى عهد خلافة سيدنا عمر بن الخطاب

توفى ابن سينا فى همذان سنة ٤٢٨ من الهجرة (١٠٣٦ ميلادية)

ويقولون عنها أيضاً انها كانت :

" la plus opulente ville qu'il y eût sous le soleil "

أي أغنى مدينة وجدت تحت الشمس.وكان عمر دارا وقت قتله ٥٠ سنة.وقد قتل في شهر يوليه سنة ٣٣٠ . وكان آخر ملوك عائلة الاخمينيين (١) وكان عددهم ١٣ ملكا حكموا ٢٠٩ سنة . وكان مُلكهم يمتد – على حد تعبير احد ملوكهم – من البلاد التي لياليها قَر الى البلاد التي لياليها حر .

---

(١) وليلاحظ ان دارا الذي حاربه الاسكندر هو دارا الثالث وكان اسمه كودومان وهو ليس من سلالة الملوك . أما دارا الاول فهو الذي خلف قمبيز وكان قبل أن يستوي على عرش الفرس حاكماً على مقاطعة هيركاني (مازندران وجرجان اليوم) فلما علم ان قمبيز رجع الى سوريا خائباً من غزو مصر وأن معظم جيشه هلك ادّعى انه سمرديس أخو قمبيز – وكان قمبيز قتل اخاه قبل أن يبارح بلاد العجم لغزو مصر — فلما اتصل بقمبيز خبر اعتلاء سمرديس الكاذب على عَرش العجم انتحر من فرط غيظه . ولما اعتلى سمرديس الكاذب على عرش العجم سمى نفسه دارا الاول . وكان دارا الاول رجلا عاتية طاغية اشتبك مع أعدائه في ١٩ موقعة وبسط سلطانه على بلاد الميديين والعلميين والبابليين والارمن والكورجستان ومازندران وجرجان وبخاري وجميع البلاد الواقعة جنوب بحر قزوين (ومنها المدائن طيسفون Ctésiphon والري Raghés وهمذان) وكان يصف نفسه هكذا (انا دارا . الملك المعظم . ملك الملوك . ملك جميع البلاد التي تتكلم جميع اللغات . ملك البلاد الشاسعة . انا من الاخمينيين . فارسي.من ابناء فارس . ومن اصل آري) وقد زار مصر في خلال سنة ٥١٧ قبل الميلاد وبعدها بسنتين – اي في سنة ٥١٥ – عبر الدردنيل ودخل بلاد تراقيا ووصل الى نهر الدانوب.ولما قفل راجعاً أخضع تراقيا ومقدونيا . وفي سنة ٥١٢ جهز جيشاً غزا به بلاد البنجاب (في الهند) وأنشأ اسطولا ضخماً رأس عليه الاميرال سكيلاكس . فطاف الاسطول سواحل بلاد بلوشستان والخليج الفارسي (كما فعل من بعده نيارك اميرال اسكندر الاكبر) ولما ثارت عليه بلاد اليونان جهز اسطولا من ٦٠٠ سفينة نقلت ٤٠٠٠٠ جندي فارسي انزلتهم في خليج ماراتون Marathon على مقربة من أثينا وفيه التقى جيش الاغريق وكان عدده ٣٠٠٠٠ مقاتل بجيش الفرس فانتصر الاغريق ومزقوا جيش دارا كل ممزق . اراد دارا أن يثأر لنفسه فلبث ثلاث سنوات يجهز جيشا قوياً زوده بجميع معدات القتال . ومن أجل هذا سافر الى مصر ولبث فيها زمناً تم فيه حفر القنال الذي يوصل النيل بالبحر الاحمر وهو القنال الذي افتتحه من قبل سيتي الاول فرعون مصر في خلال سنة ١٣٠٠ قبل الميلاد وواصل به البحر الاحمر بالبحر الابيض . ويوجد بمتحف شركة قنال السويس شواخص حجرية هي الشواخص التي كان دارا قد اقامها تخليداً لذكرى حفر القنال . ولما تم تجهيز الجيش الذي أعده دارا لغزو بلاد اليونان شبت ثورة في مصر . ومات دارا في السنة نفسها فخلفه كزركسيس Xersés ابن اخي (او ابن اخت) قمبيز .

يقول شاعرنا العربي : « ان الطعـام يقوى شهوة النهم » L'appétit vient en mangeant .
فلما رأى الاسكندر أن البلاد التى أخضعها تخضع له بلا مقاومة زحف واجتاز جبـال البرز واستولى على البلاد الواقعة على مقربة من بحر قزوين . فاستولى على بخـارى وتركستان وأفغانستان و بلوخستان . وأسس ثلاث مدن سماها (اسكندرية). الاولى وتسمى الآن هرات Hérat فى مقاطعة خراسان [١] . والثانية فى جنوب هندكوش (وهى الآن قندهار) . والثالثة فى بلاد القوقاز [٢] (وهى المدينة الثالثة عشرة التي

---

(١) فى خلال القرن الثالث عشر سقطت هرات هذه في ايدى جنكزخان . وبعد ١٥٠ سنة غزاها تيمورلنك وجعلها حاضرة احدى مقاطعات سلطنته .

ومن الاقوال المأثورة عن نادرشاه احد ملوك الفرس قوله (ان خراسان سيف العجم ومن ملك هرات ملك قبضة سيف العجم)

ومن طراز تيمورلنك وجنكزخان الطاغية هولاكو الذى بسط هو الاخر سلطانه على بلاد العجم وسوريا والعراق والاناضول وعلى جميع بلاد آسيا وغزا الهند وروسيا واحتل موسكو ونقل عاصمة ملكه الى تبريز ولقب نفسه (ملك الدنيا). وقد تولى من سنة ١٢٥٦ الى سنة ١٢٦٥ .

ولعله قرأ او سمع ان الاسكندر لقب نفسه (ملك آسيا) فاراد ان يسمو عليه فلقب نفسه (ملك الدنيا) . ومن قبـل اقتدت كليوباطرة ملكة مصر بالاسكندر (ملك آسيا) فضمت الى القابها الاصلية لقب (ملكة أفريقيا) . فصارت ملكة مصر وأفريقيا وقبرص وسوريا . وقد حذت حذوهم أرين Iréne أمبراطورة الشرق . أذ ارادت بسط سلطانها على الشرق والغرب معا لتكون (أمبراطورة أوروبا) فانتهزت فرصة تتويج شارلمان Charlemagne فى خلال سنة ٨٠٠ في كنيسة ماري بطرس بروما ومبايعته أمبراطورا على الغرب وجهزت بعثة مؤلفة من وزراء وقوّاد وكهنة ووجوه وأعيان البلد ومن بعض ذوى قرابتها لتعرض على شارلمان أمبراطور الغرب ان يتزوجها لتكون أمبراطورة الشرق والغرب معاً . ومن سخرّية القدر انه بينما كانت تفكر الامبراطورة أيرين فى بسط سلطانها على الشرق والغرب معاً كان أحد وزرائها نيسيفور —— Nicéphore —— قد ائتمر عليها لخلعها وأحلّ نفسه محلها ونصب نفسه فى خلال سنة ٨٠٢ ميلادية أمبراطورا على الشرق فى كنيسة آيا صوفيا المشهورة فى بيزانطة وامام الأمر الواقع غادرت الأمبراطورة أيرين بيزنطة واقامت فى جزيرة الامراء ثم انتقلت الى جزيرة لسبوس Lesbos حيث توفيت .

(٢) ضم الاسكندر جنوب القوقاز (قافقاسيا) والكرج الى امبراطوريته ونصّب يازون حاكماً على كورجستان فحاول يازون أن يغيّر عقيدة أهل البلاد من عبادة الكواكب الى عبادة الاصنام الا ان ثورة شبت وظهر من بين الكرج رجلا اسمه « فارنواز » دعاهم الى الاتحاد وجعل يبث فيهم روح الحرية والاستقلال وحب الوطن ويشعل فى نفوسهم نار الحقد ضد الغاصبين حتى نجح فى دعوته فالتف الناس حوله والف منهم جيشاً جراراً استعان به على طرد الافريق من بلاده ثم بويع ملكا على كورجستان المتحدة

سميت « اسكندرية » باسم الاسكندر) .

انتهز الاسكندر فرصة وجوده فى البلاد الواقعة على مقربة من بحر قزوين وجرد حملة عسكرية علمية لتدرس طبيعة بحر قزوين وتعرف ان كان هذا البحر يتصل بالأوقيانوس أو هو بحر قائم بنفسه فى وسط البلاد المحيطة به .

علم الاسكندر فى آخر صيف سنة ٣٣٠ أن بسوس Bessus نصب نفسه (ملكاً على آسيا) باسم ارتاكزركسيس Artaxersès فوالى الاسكندر مطاردته إلى أن قبض عليه بطليموس أحد قواد الاسكندر (وهو الذى أسس فى مصر بعد موت الاسكندر دولة البطالسة ونودى به ملكاً على مصر[1]) فأمر الاسكندر بجدع انفه وصلم أذنيه ثم أرسله إلى همذان حيث أعدم صلباً . [2]

استمر الاسكندر فى زحفه إلى أن وصل إلى مدينة « سمرقند » و بوصوله إلى نهر ياكزارت (سرداريه الآن) بلغ أقصى حدود بلاد الفرس من جهة الشمال الشرقى،

---

(١) وقد دام حكم البطالسة على مصر ٢٩٣ سنة انتهت بانتهاء حياة كليوبطرة ملكة مصر

(٢) بلاد العجم من البلاد المنكوبة بكثرة غزوها . مثلها كمثل جميع البلاد التي تقع فى مفترق الطرق . غزاها الطورانيون والآريون والمقدونيون والعرب والمغول والترك والروس والافغان . والمدة التى قضتها بلاد العجم تحت حكم الغزاة كانت أطول من المدة التى قضتها تحت حكم الفرس أنفسهم . فى خلال ثلاثة آلاف سنة حكمها الفرس ٨٢٥ سنة فقط وحكمها الاجنبي ٢١٧٥ سنة . وقد سميت بلاد الفرس الآن (ايران) وشعار الايرانيين الآن هو (ايران للايرانيين . نحن ايرانيون . وسنبقى دائماً ايرانيين فى أفكارنا وفي تفكيرنا ولا نقبل اكراهاً فى عقائدنا ولا فى آدابنا) . والحديث عن ايران وكثرة غزوها يسوقنا - والحديث ذو شجون - إلى الكلام على بترول ايران الذى اتجهت اليه انظار العالم وأصبح الآن « عصب الحرب » ففى سنة ١٨١٣ انتزعت روسيا من فتح على شاه معاهدة كلستان وفيها تنازل الشاه عن بلاد الكورج وداغستان وشروان ومجرلى ومنها باكو الغنية بآبار البترول الشهيرة . ووقت عقد هذه المعاهدة لم تكن روسيا ولا غيرها من الدول تقدر اهمية آبار البترول ولما علم قيصر روسيا أن الحان كان يستغل البترول بكمية قليلة من هذه البلاد استشار اعضاء المجمع العلمى فى سان بترسبورج عاصمة روسيا عن ماهية هذا البترول ونفعه فسافروا وعاينوا وحققوا ودققوا ثم رفعوا تقريراً الى القيصر قالوا فيه : (إن البترول سائل معدنى ذو رائحة كريهة لا ينتفع به ابداً) — فتأمل .

وفيها أسس مدينة جديدة سماها اسكندرية القصوى (وهى الآن خودشنت) .[1]

وهنا حدث حادث كانت له أهمية خاصة فى حيـاة الاسكندر . ذلك ان أحد قواد ارتاكزركسيس Artaxersès واسمه الأمير أوكسيارت Oxyarte اعتصم بقلعة حصينة اسمها قلعة ارياماز مشيدة فى وسط البلاد الواقعة بين بخارى وبلاد افغانستان . فلما وصل الاسكندر اليها حاصرها ثم طلب من الأمير التسليم فأبى وتحـداه . فأمر الاسكندر جنده بتسلق جدران القلعة . ووعد من يفوز منهم بمكافأة ماليـة كبيرة . وما هى إلا لحظة حتى وثبت الرجال من اماكنهم كالأسود الضارية وتسلقوا القلعـة فى جوف الليل . ولما يئس المحاصرون من المقـاومة سلموا .

كان من بين الأسرى روكسـان Roxane بنت الأمير أوكسيارت . وكانت ناهدة الثديين . لطيفة الخصر والقدمين . غضة بضة كأنها سبيكة فضة . وكأن عينيها كوكبان دريان . ويقال انها وستاتيرا زوجة دارا كانتا أجمل نساء الفرس . فلما رآها الاسكندر هام بهـا . وأصاب حبها شغاف قلبه . ورغب فى الزواج منها . وقد تمت حفلة زواجه بها فى قلعة خوريين Choriène التي سلمت بعد ما سلمت قلعة ارياماز . وكان زواج الاسكندر بروكسان حسب العوائد والتقاليـد الايرانيـة . ومنهـا انهم استحضروا رغيفاً شطره الاسكندر بسيفه شطرين (ولا تزال هذه العادة متبعة عند أهالى تركستان حتى اليوم)

٨ بعد زواج الاسكندر . و بعد بلوغه ذروة المجد العسكرى . و بعد أن بسط سلطانه على جميع البلاد الواقعة بين البحر الأبيض وحدود الهند . دبرت مؤامرة لاغتياله . وكان من المؤتمرين به ليقتلوه فيلوتاس من أعظم قواده وأبوه بارمينيون أكبر قواده وعمره ٧٠ سنة . حاكمهما الاسكندر أمام مجلس عسكرى . والمجلس حكم عليهما بالاعدام .

وقد حدثت حادثة ثالثة فرح لها قلبه من الحزن . ذلك أن الاسكندر كان أقام

---

(١) « وخودشنت » هذه مشهورة فى التاريخ الحديث بأستيلاء الروس عليها بين سنتى ١٨٦٠ و ١٨٦٤ عند ما غزت تركستان . فبدأت روسيا بأخضاع ولاية خوكند واحتلت مدنها الكبيرة تاشكند وخودشنت (مدينة الاسكندر) ثم طمعت وزحفت واستولت على بخارى وسمرقند وخيوه ومرو (بين بلخ وهرات)



زواج اسكندر بروكسان

حفلة فى سمرقند دعا إليها سماره وخواصه ؛ وكان من بينهم صديقه الحميم كليتوس Clitus (واسكندر مدين له بحياته إذ أنقذه من الموت فى موقعة الجرانيك وهى أول موقعة نشبت بينه و بين جيش دارا) .وفى أثناء الحفلة وكانت الخمور قد لعبت بالرؤوس -والخمر جماع الاثم - تبادل الاسكندر وكليتوس الكلام بشدة وعنف . فاض صدر الاسكندر من الغيظ وظن أن هناك مؤامرة أخرى مدبرة لاغتياله . فثار ثائره وأفرط بيده إلى سيفه ليستله ثم طعن صديقه طعنة أطارت عظامه فضاضاً. ولما تنفس الصبح وأفاق الاسكندر من سكرته وعرف ما جنته يداه انفجر باكياً . وغشيه همّ وغم . لأن موت كليتوس كان ثلمة فى الجيش لا ترتق. اعتكف الاسكندر فى كن بيته لا يكلم الناس ثلاثة أيام وثلاثة ليال سوياً . اضرب فيها عن الأكل والشرب واحتجب عن خلانه وسجرائه .

هذا ولما وصل الاسكندر إلى حدود الهند دفعه زهوه وحب الاستطلاع إلى غزو بلاد الهند . وكان قد سمع الشيء الكثير عن غنى أمرائها . فأراد من جهة اخضاعها لسلطانه ومن جهة أخرى معرفة تلك البلاد النائية التى روى له عنها الرواة كل عجيب وغريب .

وقد اتخذ غزو الهند ذريعة لحث البعثة العلمية التى تصاحبه على درس جغرافية هذه البلاد ودرس نباتاتها وحيواناتها ودياناتها وعاداتهــا وكل ما يهم العلم معرفته عنها . ففي سنة ٣٢٧ قبل الميلاد برح الاسكندر بلاد باختر[1] Bactriane و برفقته زوجته

---

(١) وباختر Bactres هذه يسميها العرب بلخ وهى بلد جلال الدين الرومي ولدفيها فى سنة ١٢٠٣ ميلادية وتوفى في ســنة ١٢٧٢ وهو مؤسس مذهب المولوية وله منظومة شهيرة يبلغ عدد ابياتها ٤٠٠٠٠ ترجمت الى اللغة التركية وطبعت في عهد محمد على باشا الــكبير فى مطبعة بولاق سنة ١٨٢٦ وقد ترجمها الى اللغة الالمانية روزر Roser وطبعت الترجمه في مدينة لايبزج Leipzig في سنة ١٨٤٩

و « بلخ » مشهورة فى التاريخ بحادثة من اغرب الحوادث . ذلك ان نينوس Ninus مؤسس مملكة اشور استعان بالعرب لغزو البلاد الواقعة شرق بلاده وغربها . وبعد ما دوّخ بلاداً كثيرة وغزا ارمينيا صمدت « بلخ » امام جيوشه الجرارة وعجز عن فتحها . فدبرت سيميراميس Sémiramis زوجة اونيس Onnès احد ضباطه وسيلة للاستيلاء على « بلخ » ذلك انها لاحظت ان اهالى بلخ وجهوا همهم للدفاع عن اسوار المدينة واهملوا القلعة المشرفة على المدينة اعتقادا منهم بان القلعة حصينة منيعة امنع من عقاب الجو لانها مبنية على صخرة عالية فاستعملت سيميراميس حيلة للاستيلاء عليها واستولت عليها بالفعل — فاضطر اهالى بلخ الى التسليم . فمن فرط اعجاب الملك بمهارتها واعترافاً بفضلها تزوجها . وبعــد موت الملك

الأميرة روكسان (وقد ولدت له ولداً فى السنة التالية . ولكنه مات وهو صغير) .
وبعد أن اجتاز وادى كابول دارت بين الاسكندر والهنود معارك عدة جرح الاسكندر فى احداها كما جرح بطايموس . وفى أثناء زحفه استولى على قلعة ماساجا Massaga الحصينة . ثم اجتاز وادى (بشاور) واستولى على سلسلة جبال بيرسار ثم اجتاز نهر أورنوس Ornos إلى أن بلغ بلاد البنجاب . ثم عبر نهر الهندوس فى ربيع ٣٢٦ والتقى بأمراء الهند على نهر هيداسب . دارت رحى المعركة بأشد ما يكون من الهول . وفيها انتصر الاسكندر على الهنود انتصاراً مبيناً . وسلم الملك بوروس Porus نفسه إلى الاسكندر[1] . ولما سأله الاسكندر كيف يريد أن يعامل أجابه بأنه يريد أن يعامل معاملة الملوك . فأجابه الاسكندر إلى طلبه . وعامله معاملة الملوك . وكانت هذه المعاملة أساس صداقة متينة بينهما . وقد أسس الاسكندر فى المنطقة التى حصلت فيها الموقعة مدينتين سمى الأولى Nicée (أى المنصورة) والثانية بوسيفالى Bucéphalie باسم جواده المشهور Bucéphale . ولما أراد الاسكندر التوغل فى بلاد الهند تذمر الجند ورفضوا المسير وقالوا ان الحرب أضنتهم وأنهم يودون العودة إلى بلادهم . وكانوا قد قطعوا فى ثمانى سنوات ونصف سنة - من يوم أن زايلوا وطنهم ووصلوا إلى

نينوس — فى سنة ١١٩٦ قبل الميلاد — استوت هى على عرش مملكة بابل ثم طمحت وغزت أرمينيا وجميع البلاد الواقعة على بحر قزوين وعلى بلاد كثيرة من بلاد آسيا الغربية كما مدّت فتوحاتها الى مصر وليبيا وأثيوبيا. وكان في نيتها غزو بلاد الهند ايضاً وقد اشتهرت سيميراميس بالاعمال العظيمة التي عملتها على ضفتي الفرات لتجميل وتوسيع مدينة بابل عاصمة الاشوريين. وبلغت من العظمة والمجد شأواً كبيراً حتى ان فولتير Voltaire فيلسوف فرنسا الشهير لما اراد مدح أمبراطورة روسيا كاترين الثانية زوجة بطرس الاكبر — سمّاها سيميراميس الشمال La Sémiramis du Nord ويروى ان حياتها انتهت بمأساة من افظع المآسى أذ راحت ضحية طمع أبنها نينياس Ninias الذى طمع فى الملك فاغتال امه في خلال سنة ١١٧٩ قبل الميلاد واستوى هو على العرش من بعدها .

(١) كان جيش بوروس مؤلفاً من ٣٠,٠٠٠ مقاتل و ٣٠٠ مركبة يؤيدها ٣٥ فيلا من كبار الفيلة يراها الجندى المقدونى فتتمثل له كأنها قلاع متحركة

الهند ١٨٠٠٠ كيلو متر(١) وزادهم تصميماً على رفض السير أن مطراً لا ينضض استمر يهطل عليهم ٧٠ يوماً حتى أنهك قواهم المادية والمعنوية . ولتخليد ذكرى وصول الاسكندر إلى الهند شيد ١٢ معبداً فى شكل أبراج

ولكسب عطفه ورضاه خطا بعض الجند نحوه وعرّوا أجسامهم وأبانوا له جروحهم وهزالهم . ولما ذكرهم بما غنموه من الأموال والأسلاب والسرارى أجابوه (ومن منا يستطيع جر ما غنمه من الهند إلى مقدونيا) ثم استعطفوه بصفته أباهم وسيدهم وملكهم متضرعين إليه بأن يرأف بهم وأن يشفق على نفسه وعليهم. ثم تقدم أسن قواده سينوس Cenus وقال له «ان لبدنك عليك حقاً. ارحم نفسك وجسمك تركت مقدونيا من زمن مديد أنساك أهلك ووطنك ولغتك. ان ثيابك تستر فى جسمك جروحاً أصابتك من سلاح الفرس ومن سلاح شعوب وقبائل تعد بالمئات . وطئت قدماك أرض آسيا وأنت أكثر شبان مقدونيا جمالاً وقوة. فانظر الآن ماوصل اليه جسمك من نحافة ونحول وهزال» . وقد كهن له الكهنة بسوء المصير إذا أصرَّ على متابعة توغله فى آسيا . لم تؤثر فيه بلاغة ولا ضراعة ولا شفاعة ولا تهديد ولا وعيد. وقال سأغزو بلاد الهند ولو أغزوها وحدي ثم القى بنفسه فى النهر وهو مرتد ملابسه العسكرية وسبح إلى أن بلغ الشاطىء الآخر . فلما رأى جنده ما فعله ملكهم أنصعوا وتبعوه . ولما رأى سينوس أكبر قواده سناً ما فعله اسكندر التفت إلى المقدونيين وقال لهم «هلموا ياأسود مقدونيا. لا يعود اسكندر إلا بكم ومعكم» ثم سقط ميتاً .

عاد الاسكندر أدراجه . ولما وصل إلى نهر أسيزين Acésine واسمه الآن شناب (وهو أحد الروافد الخمسة التى يتألف منها بلاد البنجاب والبنجاب معناها الأنهر الخمسة) وجد عامله هيفستيون Hephestion قد أسس مدينة جديدة سماها (الاسكندرية) وكان تأسيسها بناء على أمر الاسكندر . وفيها استقبل سفراء أمير بلاد كاشمير الذين وفدوا ليهدوا إليه ٣٠ فيلا .

---

(١) طول دائرة الكرة الارضية عند خط الاستواء يبلغ ٠٧٦ر٠٤ كيلو متراً . فطول المسافة التى قطعها الاسكندر وجنوده حتى نهر هيداسب بالهند ـــ ١٨٠٠٠ كيلو متر ـــ يكاد يساوى نصف طول دائرة الكرة الارضية (يضاف اليها المسافة التى قطعها الاسكندر وجنوده بعد زحفهم ووصولهم الى المحيط الهندى ثم عودتهم ووصولهم الى بابل)

كان الاسكندر أراد أن يكشف مصب نهر الهندوس الذى قيل له أنه يصب فى المحيط الهندي . فكلف كراتير Cratère أحد مهندسيه بأن يبنى له أسطولاً كبيراً . فاضطر كراتير أن يسيّر حملات الى جبال هملايا لجلب الأخشاب من أدغالها وغاباتها. وبعد مجهود جبار وعمل شاق وفق لبناء ٨٠٠ سفينة كبيرة وصغيرة موسقة زاداً وذخائر. اختار لها أمهر البحارة من الفينيقيين والمصريين والقبرصيين واليونانيين. ونصب صديقه نيارك الجريدلى Néarque أميراً على هذا الأسطول الضخم. أبحر الأسطول فى نوفمبر سنة ٣٢٦ وقبل ابحار الأسطول صعد الاسكندر وباركه باسم (أبيه آمون) . ثم سار الأسطول على الطائر الميمون . وفى أثناء هذه الرحلة اضطر الاسكندر الى مقاتلة شعوب هندية كثيرة بعضها أولو بأس شديد . الا أن الاسكندر قاتلهم وانتصر عليهم . واستولى على مدن كثيرة منها مدينة البراهمة . وفى احدى هذه الوقائع كاد الاسكندر يلقى حتفه . لأنه أراد أن يبث الحماسة فى روح جنده فتسلق سلماً وصعد على جدار حصن ثم ألقى بنفسه فى داخل الحصن . فلما رآه الهنود عرفوا من لباسه أنه الاسكندر فانهالوا عليه ضرباً وطعناً فأصابته طعنة فى صدره . فخر على الأرض بلا حراك . فلما رآه جنوده قد وقع دبت فيهم روح الحماسة والانتقام فنزلوا وهجموا على الهنود واعملوا فيهم السيف والنار الى أن أفنوهم على بكرة أبيهم هم ونساؤهم وأولادهم. ثم حملوا الاسكندر وأخرجوا الرمح من صدره وعالجوه إلى أن شفى . وبمجرد شفائه واصل السير على نهر شناب إلى أن وصل إلى نقطة تلاقى هذا النهر بنهر الهندوس . وفيها أمر عامله بأن يبنى مدينة جديدة سماها « اسكندرية » تقع فى منتصف الطريق الذى تنتهى إليه هذه الرحلة النهرية .

وفى شهر فبراير سنة ٣٢٥ استأنف الرحلة على نهر الهندوس . وفى خلالها اضطر لمقاتلة البراهمة . وانتهز فرصة خضوع بعض الامارات فغير اسم عاصمتهم وسماها « الاسكندرية » ثم أسس مدناً أخرى كثيرة .

وفى يوليه سنة ٣٢٥ وصل الاسكندر إلى مدينة باتالا الواقعة على رأس دلتا نهر الهندوس (حيدر آباد الآن) وبهذا خضعت له كل البلاد الواقعة على نهر الهندوس من بلاد الكشمير إلى الاوقيانوس الهندى . وقد وفق العلماء الذين كانوا معه فى هذه

الرحلة فدرسوا طبيعة الاراضى وكشفوا ما فيها من معادن - ذهب وفضة وملح - ونباتات وحيوانات . كما كشفوا تخطيط هذه البلاد النائية .

أراد الاسكندر أن يعرف مجرى نهر الهندوس . فجرد تجريدة علمية عسكرية شطرها شطرين . رأس هو شطراً سار بأسطول مؤلف من أسرع السفن فى الفرع الغربى واستصحب معه ٩٠٠٠ مقاتل . وبعد مسيرة بضعة أيام لاحظ هبوط مستوى النهر ثم انسحابه نحو البحر ووقوف السفن . وكانت هذه أول مرة رأى فيها أهل أوروبا هذه الظاهرة الطبيعية - ظاهرة جزر البحر - وزادت دهشتهم لما عادت المياه وارتفعت - ظاهرة المد . بعد ذلك استأنفت السفن المسير إلى أن وصلت إلى الأوقيانوس الهندى . طار الاسكندر فرحاً لما رأى لأول مرة المحيط الهندى . فأمر بذبح الذبائح وتقديم القرابين إلى الآلهة ابتهاجاً وشكراً على هذا التوفيق الكبير . وبعد ذلك عاد الاسكندر إلى باتالا واجتاز الفرع الغربى إلى أن وصل إلى المحيط مرة أخرى . ومنه رجع إلى باتالا (حيدر آباد) .

وفى أواخر أغسطس سنة ٣٢٥ قبل الميلاد بدأت رحلة العودة إلى الوطن . وفى أثناء الرحلة أمر بتأسيس مدينتين سماهما (الاسكندرية) إحداهما فى داخل البلاد والأخرى على شاطىء البحر . ثم دخل فيافى بلوشستان : وكانت فلاة جرداء لا ماء فيها ولا زاد . فقاسى الجند أهوال الحر والظمأ والجوع والعراء . ومات منهم آلاف . واضطروا إلى ذبح الخيل والبغال وأكلها . وكان الاسكندر يواسى المرضى والجرحى ويقوى عزائمهم وكان يسير معهم على قدميه جنباً لجنب . فواصلوا المسير إلى أن بلغوا مدينة بورا Poura (والآن Kélat عاصمة بلوشستان) وفيها لموا شعثهم واستراحوا . ثم واصلوا السير إلى أن بلغوا مدينة اسكندرية (قندهار الآن) ومنها يمم مدينة بازرجان حيث دخلها فى أوائل سنة ٣٢٤ قبل الميلاد . وقد دهش لما علم أن لصوصاً سطوا على قبر كسرى ونهبوا ما فيه وسلبوا جثمانه . بعد ذلك سار حتى وصل إلى مدينة برسبوليس ومنها إلى سوس . وقبل أن يدخل مدينة سوس التقى بالاميرال نيارك . ومنه علم أن الاسطول طاف الخليج الفارسى ووصل إلى مصب نهر الفرات .

وقد فرح الاسكندر فرحاً شديداً بوصول أسطوله سالماً بعد أن أدّى مهمته خير الاداء. ومن فرط فرحه أنعم على نيارك بتاج من الذهب الخالص مكافأة له واعترافاً بجليل أعماله.

حث الاسكندر جنوده المقدونيين على الزواج من الايرانيات : بدأ هو فعقد زواجه بستاتيرا بنت الملك دارا[1] . وزوّج صديقه هفستيون باختها . وفى ليلة واحدة زوج ثمانين من قواده بثمانين أميرة من أميرات الفرس . وكل جندى مقدونى تزوج من فارسية أتحفه بتحفة مالية عظيمة فتهافت الجند على الزواج . ويقال ان عشرة آلاف جندى تزوجوا من ايرانيات فى الفترة التى أقامها الاسكندر وجيشه فى سوس. ثم سرت

---

(١) لزواج الملك القاهر بينت الملك المقهور سوابق فى التاريخ المصرى وسابقة في التاريخ الفرنساوى .

اما سوابق التاريخ المصرى فهى انه بعد ان حارب فرعون مصر رمسيس الثانى الحيثيين في خلال سنة ١٢٩٥ قبل الميلاد وانتصر عليهم في واقعة قاديش (وتجد تفصيل هذه الموقعة منقوشا في معابد لقصر وابو سنبل والرامسيوم)تصالح مع خيتيزار Khitisar ملك الحيثيين وعقد معه معاهدة حددا فيها منطقة نفوذ كل واحد منهما ولتوثيق عروة الصداقة صاهره وتزوج بنته .

وفي عهد أمينوفيس الثالث فرعون مصر — من الاسرة الثامنة عشرة — كثر التزواج بين أسر الفراعنة وأسر ملوك آسيا . فملك بابل كاداشمان Kadashman خطب لابنه أميرة مصرية . وشوطارنه Chouttarna ملك الميتاني Mitanni (مملكة الميتاني تقع في شمال العراق — وارمينيا جزء منها — وكان لهاشأن يذكر قبل ميلاد المسيح بألفى سنة) أرسل بنته جيلوكيبار — ومعها حاشية مؤلفة من ٣١٧ شخصاً — الى أمينوفيس الثالث Aménophis III فرعون مصر ليتزوجها . وابنه دوشراتا Douchratta الذى خلفه أرسل بنته تادوك هيبا Tadouk hipa ليتزوجها أبن أمينوفيس الثالث . وامينوفيس الثالث نفسه امه أميرة من أميرات الميتانى لان اباه طوطميس الرابع صاهر ملك الميتاني .

وأما زيس فرعون مصر فانه بعد ما ناوأه الاغريق تزوج يونانية من برقة أسمها لاديس Ladice ثم رضى عن الاغريق وأقطعهم اراضى واسعة في مصر ومكنهم من تأسيس مدينة يونانية في مصر هي نقراطس Naucratis . وقد اقتدى في هذا بسلفه بساماتيك الذي اقطع الاغريق (Les Ioniens et les Cariens) أراضى واسعة على ضفتي النيل كما ندبهم لتعليم اولاد المصريين اللغة اليونانية . وسليمان الحكيم ملك يهوذا الذى تولى حكم بنى اسرائيل — من سنة ١٠١٩ الى ٩٧٩ قبل ميلاد المسيح — صاهر ملك مصر وتزوج بنته .

اما السابقة الفرنساوية فبعد ان قهر نابليون النمساويين وانتزع منهم بلاداً كثيرة من ايطاليا والنمسا والمانيا وهزمهم فى مارنجو Marengo والم Ulm واسترليتس Austerlitz ولاندشوت Landshut واكمول Eckmuhl وفاجرام Wagram — في ٨ يوليه سنة ١٨٠٩ — تصالح مع امبراطور النمسا وتزوج بنته مارى لويز — في ابريل سنة ١٨١٠ - فاصبحت امبراطورة فرنسا ورزق منها ولداً في ٢٠ مارس سنة ١٨١١ سماه ملك روما Roi de Rome

هذه الروح فى برسبوليس وصور وهمذان فتزوج آلاف من الاغريق من بنات الفرس

وقد وصف المؤرخ إيفيب Ephippe حفلات زواج مائة من الضباط المقدونيين بمائة من بنات الفرس وصفاً رائعاً . ومما رواه أن حفلات الافراح دامت خمسة أيام متوالية جمعت كل ما أخرجته قرائح الاغريق والفرس والهنود من فنون وآلات طرب (بهلوانية وحواة وموسيقى ومطربين ومطربات وروايات مسرحية وسوارخ وذبائح ورقص وغير ذلك)[1] .

وفى صيف سنة ٣٢٤ بعد أن أخذ للسفر أهبته زايل الاسكندر مدينة سوس وبلغ همذان حاضرة الأخمينيين . ومنها انتقل إلى بابل فى ربيع سنة ٣٢٣ . وكان فى نيته الطواف حول بلاد العرب والبحر الأحمر . ثم تجهيز حملة قوية تؤيدها الف سفينة حربية لغزو قرطاجنة (تونس) والبلاد المتاخمة لها وأسبانيا وجزيرة صقلية . ومن أجل هذا أرسل بعثة بحرية علمية أولى وصلت إلى جزائر البحرين فى الخليج الفارسى ثم عادت قبل أن تتم رحلتها . فأرسل الاسكندر بعثة ثانية وصلت إلى جزائر البحرين هى أيضاً ثم عادت . أرسل بعثة ثالثة وأمرها بأن تسير إلى أن تصل إلى هيرونبوليس Heroonpolis (السويس الآن) ولكن البعثة لم تصل إلى نصف الطريق. أرسل

---

(١) في عهد عمر بن الخطاب كانت بلاد العجم فوضى. في غضون اربع سنوات استوى على عرشها ثلاثة عشر ملكا . وقد غزاها العرب وانتصرت جيوش المسلمين على جيوش العجم في عدة وقائع أهمها واقعة القادسية وقد استمرت عدة أيام (يوم أرماث ويوم أغواث ويوم عماث وليلة الهرير) وانتهت بانتصار العرب وقد سهلت لهم فتح « المدائن » ــ في شهر صفر سنة ١٦ من الهجرة ــ والكوفة (ويسميها بعضهم «خد العذراء») ثم موقعة جلولاء (سنة ١٦ من الهجرة ــ ٦٣٧ ميلادية)انتصر فيها المسلمون ايضا وسهلت لهم فتح تكريت والموصل وفتح ماسبذان وفتح قرقيساء والرقة والرهاء من بين الموصل والشام . وفتح الجزيرة وفتح أرمينيا وما إليها . وقد انتشر الاسلام فى هذه البلاد بعد أن كان العجم يعبدون النار وأخذت عبادة النار تتضاءل وبعد زمن لم يبق من عباد النار إلا فئة قليلة في طهران وكرمان ويزد

والمدائن مشهورة في التاريخ باستواء امرأة على عرش الفرس . ذلك انه بعد ان خلع اردشير الثالث تولت الملكة بوران بنت كسرى يزدجرد من ولد شهريار وتوجت في (المدائن) . وهى التى عقدت معاهدة صداقة مع الامبراطور هرقل وردت إليه في ١٤ سبتمبر سنة ٦٢٩ الصليب الحقيق الذى صلب عليه المسيح . وتمت حفلة رده في القدس. ومن هذا التاريخ يحتفل النصارى بعيد رد الصليب فى ١٤ سبتمبر من كل سنة Fête de l'Exaltation de la sainte croix

بعثة رابعة وصلت إلى باب المندب ثم نفد ماؤها فعادت[1] وليسهل المواصلات بين المشرق والمغرب أسس مدينة على مصب نهر الدجلة سماها (الاسكندرية) تكون فرضة بحرية (لعلها شط العرب الآن) تصدر منها حاصلاتها إلى بابل وما اليها . ثم أسس مدينة أخرى على ساحل بلاد العرب سماها الاسكندرية أيضاً . رحّل اليها كثيراً من الأغريق ومن المتطوعين ومن القوم الرحل .

وقد حدث والاسكندر في همذان أن أصيب صديقه الحميم هيفستيون بحمّى خبيثة أودت بحياته فحزن عليه الاسكندر حزناً شديداً . جن جنونه فبقى ثلاثة أيام طريحاً بجوار جثمانه لا يتناول فيها الطعام ومن فرط غضبه أمر بصلب جلوسياس Glaucias الطبيب

---

(١) المصريون سبقوا المقدونيين فى جوب البحار لاستكشاف بلاد افريقيا . ذلك ان فرعون مصر نيخاو ابن بسمانيك الأول — من العائلة السادسة والعشرين التى تولت حكم مصر قبل ميلاد المسيح بـ ٦٠٠ سنة — أراد وصل النيل بالبحر الاحمر فسخر عمالا كثيرين لتنفيذ مشروعه على الرغم من ان الكهنة الذين استلهموا الاله معبودهم قالوا له ان هذا العمل يفيد الاجنبي أكثر مما يفيد المصرى (كما قال تماما محمد على باشا الكبير عند ماعرضوا عليه حفر قنال السويس ليوصل البحر الابيض بالبحر الاحمر) ونصحوه بالعدول عنه فلم يستمع لنصيحتهم . ولما هلك من العمال ١٢٠ ألفاً قبل ان ينتصف العمل عدل عن تنفيذ مشروعه (وهو المشروع الذى أعاده دارا الأول) ثم وجه فكره الى مشروع آخر وهو استكشاف سواحل أفريقيا فجهز أسطولا كبيرا بدأ طوافه من البحر الأحمر ولبث ثلاث سنوات يخوض البحار الى ان عاد الى مصر من بوغاز جبل طارق بعد ان مر على رأس الرجاالصالح . فكشف هذا الطريق قبل ان يكشفه الرحالة البرتغالى فاسكو دى جاما Vasco de Gama

سابقة أخرى : في عهد الملكة هاتشيبسوت Hatshepsout — التى تولت الحكم بعد طوطوميس الثانى وقبل ميلاد المسيح بالف وخمسمائة سنة — أرسلت اسطولا لاستكشاف سواحل أفريقيا الشرقية . فأجتاز الاسطول البحر الاحمر — سبب تسميته بالبحر « الاحمر » وجود طحلب « احمر » بكثرة في قاع شواطئه — من اوله الى آخره ومر ببوغاز باب المندب ثم عاد الى مصر بعد ان استكشف سواحل بلاد الصومال والحبشة وما اليها . وتجد تفصيل هذه الرحلة منقوشاً على جدران الدير البحرى فى القاعة المسماة (قاعة البونت Pount) والبونت هذه كان قديماً أسم بلاد أثيوبيا . وهذه الملكة هى التى تم فى عهدها صنع مسلة الكرنك التى استغرق نحتها ونقلها وأقامتها سبعة شهور .

وبحزم هذه الملكة وعزمها وحسن تصريفها للامور مدة حكمها — وقد دام ١٨ سنة — مهدت لخلفها طوطوميس الثالث سبيل بسط نفوذ مصر على بلاد الحبشة والسودان والنوبة وسوريا والعراق العجمى والعراق العربى وكردستان وأرمينيا فبلغت مصر في عهده ذروة المجد السياسي والعسكرى .

الذى عالجه على نعش الميت (وجلوسياس هـذا كان طبيب الاسكندر الخاص) ولم يكتف بهذا الاثم الفظيع بل ارتكب آثاماً أخرى أفظع منه فأمر بخنق جميع عبيده . وأمر بتدمير مدينة كوسي فهلكت بما فيها ومن فيها. ثم صال على الفيلة التي كانت مهداة اليه وصار يطعنها بخنجره وهى تفر وتزأر . ثم جمع أربعمائة أسد من الأسود الضوارى فى ميدان مسوّر ألقى فيه ٢٫٠٠٠ من الأسرى والعبيد فتلاحموا والأسود وانتهت الملحمة بموت الأسود والعبيـد على بكرة أبيهم. وأبطل الأفراح والمآدب أياماً بطلت فيها الموسيقى وجميع أنواع الطرب . ثم أمر بنقل جثمانه إلى مدينة بابل. ولتخليد ذكراه أمر باقامة أثر فخم له . ومن عجيب أمر الاسكندر وهو في همذان أن أرسل بعثة إلى مصر لتزور واحة سيوه وتستلهم أباه(آمون) فى أمر صديقه هيفستيون ليلهمه إن كان يصح أن يقدسه و يرفعه إلى درجة الأولياء والقديسين أو يكتفى باعتباره بطلاً من الأبطال . سافرت البعثة وعادت وأخبرت الاسكندر أن اباه آمون أجاب بوجوب اعتبار صديقه (بطلاً من الأبطال) فناط الاسكندر بصديقه كليومين Cléomène بأن يشيد له فى اسكندرية مصر معبدين : معبداً فى وسط المدينة ومعبداً فى جزيرة فاروس (رأس التين الآن)

بعد ذلك سار الاسكندر إلى بابل . وفى أثناء سفره التقى بوفود كثيرة حضرت إليه من ليبيا ومن الحبشة ومن قرطاجنة ومن ايطاليا . ومن سائر البلاد التى غزاها لتهدى إليه هدايا وتقدم له شعائر الولاء والاخلاص .

ولما عبر نهر الدجلة التقى برسـل من الكلدان جاءوا ليحذروه من دخول بابل بدعوى أن معبودهم ماردك تنبأ بأن دخول الاسكندر مدينـة بابل سيكون دماراً عليـه . لم يبال الاسكندر بنبوءة معبود الكلدان ودخل بابل . وفيها أقام حفلات كثيرة كان يدعو إليها جنده ووجوه البلد ومياسيرهم . و يوزع عليها الهدايا واللحوم والخمور . وفيها أيضاً وجه همه إلى تجهيز حملة كبيرة لغزو بلاد العرب .

و بينما كان الاسكنـدر يدبر شئون بابل أصابته حمىّ الملاريا . وكانت كثيرة الانتشار فى هذه البقاع - والحمى بريد الموت - فأقعدته وصارت وطأة الحمى تشتد يوماً بعد يوم إلى أن تجلى نهار ١٣ يونيه سنة ٣٢٣ وفيه تنازعته غمرات الموت ففاضت

روحه ولفظ نفسه الأخير. فكان آخر يوم له فى الدنيا وأول يوم من الاخرة. والدنيا أمد والاخرة أبد.

ومن عجيب تاريخ الاسكندر أن حياته كانت كلها توفيقات آتاه الله من كل شىء سبباً. منذ دب إلى أن شب.

مات الاسكندر وعمره ٣٣ سنة. بعد أن تولى الملك ١٣ سنة. وبعد أن غاب عن وطنه عشر سنوات قضاها فى آسيا غزواً وفتحاً وبعد أن ترك ذكرى لا تفنى أبداً. ولا بعد الأبد إن كان بعده بعد. (١)

---

(١) وقع موت الاسكندر وقع الصاعقة على قواده وضباطه وجنوده فحزنوا عليه حزنا كبيراً وكانت جنازته من اروع ومن افخم ما رأى الراؤون. وفى هذا يقول احد المؤرخين P. de Hénaut

"Alexandre était passionnément aimé de ses soldats, non pas seulement à cause des triomphes que leur valait son génie militaire, mais aussi parce qu'il partageait courageusement leurs fatigues et leurs épreuves.

" Un jour, dans un désert où toute l'armée souffrait d'une affreuse soif, un soldat lui apporte dans un casque un peu d'eau recueillie à grand' peine. A Dieu ne plaise, dit Alexandre, que je sois le seul à me rafraichir quand tous mes braves soldats ont soif. Et il refusa l'eau.»

وما ابلغ ما قاله لامارتين Lamartine فى الجزء الخامس من كتابه (تاريخ تركيا Histoire de la Turquie) على اثر وفاة السلطان سليمان القانوني :

"Jamais, depuis les funérailles d'Alexandre, l'âme d'un grand homme n'avait paru, en s'évanouissant, faire évanouir aussi l'âme d'une armée» P. 12"

ولما مات واشنجتون Washington فى ١٤ ديسمبر سنة ١٧٩٩ بعد ما حارب الانجليز وأخرجهم من بلاده واسس جمهورية الولايات المتحدة وتولى رياسة حكومتها ثماني سنوات أجتمع المؤتمر الامريكي وقرر أقامة أثر تخليداً لذكراه كما أوجب على كل أهالي الولايات المتحدة ان تلبس الحداد عليه شهراً كاملا وان تخصص كل ولاية من الولايات المتحدة يوما لبكائه والصلاة على روحه. وبلغ من عظم تقدير الامم والشعوب له وفرط حزنهم عليه ان اقامت انجلترا نفسها (مع انه حاربها وأخرجها من بلاده) حفلات لتأبينه. ورثاه نابليون بونابرت رسميا باسم فرنسا ولم يكتف برثائه بل أمر بأن تنكس الاعلام الفرنساوية في جميع مدن فرنسا وتجلل بشريط أسود حداداً عليه وهكذا تجلت عظمة الرجل بعد مماته أكثر مما تجلت في حياته.

ولما كان الشيء بالشيء يذكر أقول انه في ٢٩ نوفمبر سنة ١٨٢٥ توفي الجنرال الفرنساوى فوا Foy الذى اشترك في حروب فرنسا ابان الثورة الفرنساوية وفي عهد نابليون وأبلى فيها كلها بلاء حسنا وبعد سقوط نابليون كان من أشد أعداء عودة نظام الملكية فى فرنسا وبلغت به الجراءة ان ناوأ شارل العاشر ملك فرنسا مناوأة عنيفة جدا فالتف حوله أنصار كثيرون فلما توفي هرع ١٠٠,٠٠٠ من اهالى باريس والتفوا حول نعشه وشيعوا جثمانه واقاموا مظاهرة حماسية كانت من اروع المظاهرات ولم يكتفوا بذلك بل فتحت جميع مدن فرنسا باب اكتتاب عام وجمعت مليون فرنك (٤٠,٠٠٠ جنيه) قدموها هدية لاولاده الفقراء.

***

ترك الاسكندر امبراطورية شاسعة الأرجاء تمتد من الهند إلى مقدونيا. وبعد موته تنازع قواده السلطان على هذه البلاد الواسعة وانتهى بهم الأمر إلى اقتسامها . فاختص بطليموس Ptolémée بديار مصر[1] . ولاوميدون Laomédon بسوريا . وفيلوتاس Philotas بكليكيا . ومياندر Ménandre بليديا (ولاية ايدين). وليوناتوس Léonnatus بفريجى (خداوندكار) . وبيثون Pithon ببلاد ميديا . وكولنوس Colnos ببلاد سوس . وأرخون Archon بمملكة بابل . وخصصوا لأومين Eumène بلاد سوس وما اليها

وقبل أن يتنازعوا ملكه تنازعوا جثمانه : ففي اليوم الثامن لموت الاسكندر اقتتل بطليموس وبرديكاس للاستيلاء على رفاته . وبينما كان القواد يتنازعون جثمانه كانت زوجته روكسان Roxane أخذت جثمانه خفية وهرّبته إلى دمشق على ظهر جمل . إلا ان حاكم دمشق رفض دخول جثمان اسكندر المدينة. كما رفضت سوس من قبل . كما رفضت همذان من قبل . وفي اليوم الثلاثين لموته فاز بطليموس بالاستيلاء على رفات الاسكندر ونقلها إلى ممفيس بمصر كما ثبت ذلك من كتابة منقوشة على قطعة من المرمر معروفة بأسم « مرمر باريين Parien »[2]

ويقول بوزانياس Pausanias ان جثمان الاسكندر بقي في ممفيس في عهد بطليموس الأول ثم نقله ابنه الى الاسكندرية بعد ٤٠ سنة . ولكن ديودور الصقلي وسترابون وبعض المؤرخين المتقدمين قالوا بان بطليموس الأول هو الذي نقل

---

(١) وبطليموس هذا كان احد قواد الاسكندر. صاحبه في جميع فتوحاته وغزواته في آسيا الصغرى وفي سوريا وفي فلسطين وفي مصر — ورافقه في رحلته لواحة سيوه — كما صاحبه في العراق وفي بلاد العجم والأفغان والهند وفي غيرها. وله فضل انقاذ الاسكندر في حادثتين كاد يلاقي فيهما حتفه . وقد الف كتاباً قيماً عن حروب الاسكندر فصل فيه ما رآه وما سمعه .

(٢) بتوالى الزمن وبكثرة الحفريات تتجلى للمؤرخين نواح عدة من التاريخ القديم . خذ مثلا تاريخ الفراعنة كان مجهولا للمصريين ولأهل الغرب . فكانت الآثار المصرية القديمة المنتشرة في الوجهين البحرى والقبلي وفي بلاد النوبة — من معابد وهياكل ومقابر ومصاطب ومسلات — صامتة صموتا دام الفي سنة متوالية . بقيت صامتة عشرين قرنا الى ان انطقها شامبليون العالم الأثري الفرنساوى فصارت تحدثنا عن تاريخ الحضارة المصرية القديمة من عهد مينا أول ملوك مصر الى آخر الفراعنة ومن آخر الفراعنة الى عهد الأغريق والرومان .

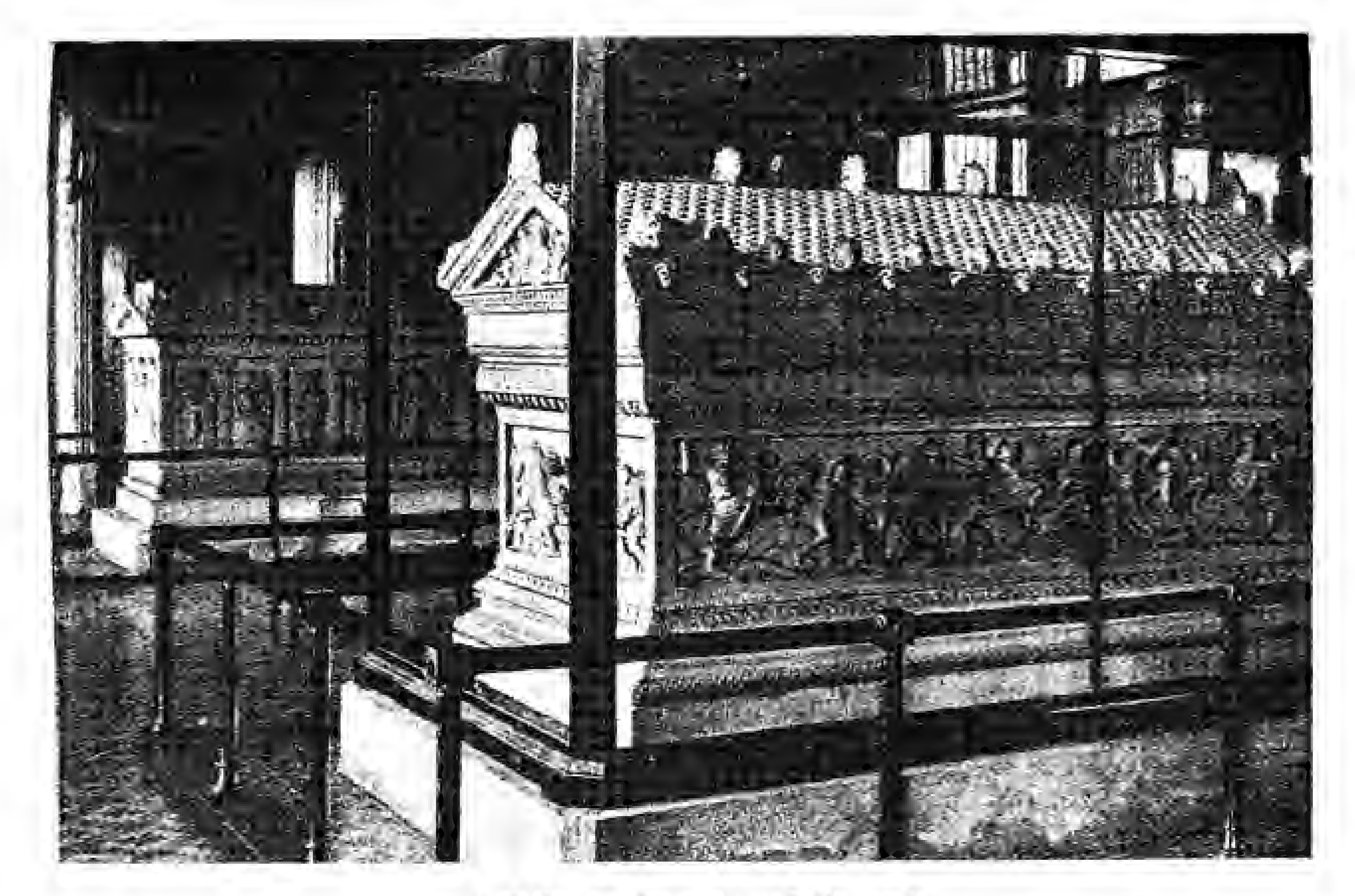
جثمان الاسكندر الى الاسكندرية ودفنه فى البناء المشهور بأسم « سيما » وكان جثمانه لا يزال باقياً فيه الى عهد الرومان .

كانت بيللا Pella عاصمة مقدونيا - ومسقط رأس الاسكندر - أولى بضم رفات الاسكندر . الا ان بطليموس أراد بنقل جثمان الاسكندر الى مصر الدعاية الى مصر بتشويق الناس الى زيارة مصر بزيارة قبر الاسكندر كما أراد أيضاً العمل برغبة الاسكندر الذى أوصى بدفنه في سيوه بجوار أبيه الاله امون .

ولا يدرى الا الله أين يوجد الآن على وجه التحقيق جثمان الاسكندر . الشائع انه فى الاسكندريه اما فى شارع النبى دانيال أو فى كوم الشقافة (محل قرية راكوتيس

كان الفضل لهذا الفتح العلمى العظيم لحملة بونابرت التى غزت مصر في أواخر القرن الثامن عشر عند ما ندب الجنرال بونابرت الضابط بوشار Bouchard لبناء طابية في رشيد — سميت فيما بعد طابية جوليان Fort Julien — فعثر في خلال شهر أغسطس سنة ١٧٩٩ على حجر من البازلت الاسود عليه ثلاث كتابات مختلفة أحداها كتابة يونانية وهذه الكتابة كانت ترجمة مرسوم رفعه الكهنة المصريون في سنة ١٩٢ قبل ميلاد المسيح لتخليد ذكري تتويج بطليموس الخامس أبيفان. وقد نقل هذا الحجر الى القاهرة وأودع المعهد العامى الذى انشأه بونابرت. وعند ما أخرج الانجليز جنود بونابرت من مصر اشترطوا فى الاتفاق الذى عقده الجنرال الانجليزى هونشنسون Hutchinson قائد القوات البريطانية مع الجنرال مينو Menou قائد القوات الفرنساوية ان تكون بعض الآثار المصرية القديمة التى جمعها علماء الحملة — ومنها حجر رشيد هذا — ملكا للحكومة الانجليزية وبالفعل سلم الفرنسيون هذه الآثار الى القائد الانجليزى وهو نقلها الى اندره ولا تزال باقية في المتحف البريطاني British Muséeum حتى اليوم .

وقد وفق شامبليون وكشف سر اللغة الهيرغليفية بعد ان تعلم اللغة القبطية واللغة اليونانية واللغة العبرية واللغة الكلدانية واللغة الصينيه واللغة العربية. وأول الاسماء التى حل طلاسمها وفك رموزها هى اسماء اسكندر الاكبر وبرنيس وقيصر ودموسيين ونيرون وتيبير . وقد زار شامبليون آثار مقابر بني حسن والاشمونين والعرابة المدفونة وأدفو وارمنت والاقصر ووادي الملوك والكرنك والقرنة وقاو وأسنا والكاب ووادى حلفا وأبسمبل. وكان يكد ويجد ويعمل فى هذه الجهات النائية في الليل على ضوء القمر وعلى ضوء مصباح ضئيل وفي النهار تحت اشعة الشمس المحرقة التى كانت تبلغ فى كثير من الاحيان ٥١ درجة. فكان العرق يتصبب من جبينه ويغشى عينيه ويسقط على اوراقه . ومع ذلك لم تثنه المتاعب والمصاعب والحر اللافح عن عزمه على مواصلة كشف أسرار مقابر الفراعنة وأهمها مقابر سيتى ورمسيس وأمنيوفيس وطوطميس وآثار دير المدينة والدير البحري ورمسيوم ومدينة أبو والشيخ عبادة . و بعد هذا الفتح العلمي الكبير طار أسمه وذاع فتحه في أوروبا وفي أمريكا وسمو شامبليون (المصرى) . ومن غريب أمر هذا الرجل انه بدأ وعمره ١٦ سنة بتعلم اللغة القبطية . وبعد سنة قدم الى جمعية الفنون والصنائع فى مدينة جرونوبل بفرنسا رسالة فى جغرافية مصر القبطية . وبعد اربع سنوات — وكان عمره ٢١



ناووس الاسكندر الموجود فى متحف استانبول

القديمة التي شيّد عليها الاسكندر مدينة الاسكندرية) ولا تزال الحفريات التي بدأها الاستاذ بريشيا Brescia والأستاذ أدرياني Adriani وسار فيهـا الأستاذ الن رو Allen Row مدير المتحف اليوناني الروماني بثغر الاسكندرية جارية بهمـة بلدية الاسكندرية . كما ان سموّ الأمير الجليل عمر طوسون خصّص شطراً من ماله ومن وقته ومن علمه الواسع لـكشف قبر الاسكندر

ويوجـد في استانبول ناووس فخم يقال انه الناووس الذي كان فيه جثمان الأسكندر . ولكن لم يثبت هذا القول ثبوتاً يعوّل عليه . والمؤرخون متفقون على ان التابوت الذي أودع فيه جثمان الاسكندر كان مصنوعاً من الذهب الخالص وكان مرصعاً بالأحجار الكريمة وكان يحوي كثيراً من الجوهرات التي غنمها الاسكندرمن بلاد

سنة — نشر كتاباً عن (مصر في عهد الفراعنة). ولما بلغ سن الثانية والثلاثين رفع النقاب عن أسرار اللغة الهيروغليفية وكان ذلك في ٢٧ سبتمبر سنة ١٨٢٢ (أي من مائه وعشرين سنة). وقبل وفاته في ٤ مارس سنة ١٨٣٢ — وعمره ٤٢ سنة — رفع تقريراً عن جميع الآثار المصرية التي شاهدها ووصفها وصفاً علمياً دقيقاً كما وصف جميع المعابد الواقعة على ضفتي النيل بين الشلال الأول والشلال الثاني . والف أجرومية في اللغة الهيروغليفية طبعت ونشرت بعد وفاته بثـلاث سنوات (سنة ١٨٣٥) . وقد لقى شامبليون في حياته من محمد علي باشا الـكبير كل عطف وتقدير .

وقد خلدت فرنسا ذكراه باطلاق اسمه على احد شوارع مدينة باريس وأقامت له تمثالا في مدخل احدى جامعاتها . كما خلدت مصر ذكراه باطلاق اسمه على احد شوارع القاهرة .

ويقول الكاتب الفرنساوي الشهير شاتوبريان Chateaubriand «أن ذكرى شامبليون ستبقى خالدة ما بقيت الآثار المصرية خالدة .»

ومثل التاريخ المصري القديم وكشف نواح عدة منه تاريخ حضارة الامم التي استوطنت شواطىء الدجلة والفرات . فأن كل ماعرف عنها قديماً كان منقولا عن التوراة وعن بعض الرواة الاقدمين. ولـكن لما اتسعت دائرة التنقيب والحفريات وكثرت عثر العلماء على آثار قديمة تعد بالآلاف. فقرأوا ما عليها من النقوش والـكتابات وعرفوا نواحي عدة من تاريخها الذي يرجع عهده الى أربعة الآف سنة قبل ميلاد المسيح. وقد وفق العالم الاثري (ليونارد ولي Leonard Woolley) بواسطة الحفريات التي أجراها في خلال المدة من سنة ١٩٢٠ الى سنة ١٩٢٩ الى معرفة تاريخ أول أسرة من أسرة « أور Our » وطن ابراهيم الخليل. وكشف أيضاً عن بعض آثار يقال انها من آثار الطوفان .

فالتاريخ القديم يتطور ويتسع أفقه امام العلماء بكثرة التنقيب والحفريات وبتوالي الزمن . وما أصدق ماقاله في هذا الصدد مسيو جان كابار البلجيكي Jean Capart من كبار علماء الاثار المصرية

" Les découvertes obligent les auteurs à tenir constamment leur œuvre sur le métier "

والامل معقود على الحفريات الجارية والمستقبلة لمعرفة محل وجود قبر الاسكندر بتابوته وناووسه وحليه وجوهراته .

الفرس من بلاد الهند ومن سائر البلاد التى غزاها . ولا يعلم الا الله أن كانت لاتزال موجودة حتى الآن أم سرقها اللصوص كما سرقوا كثيراً من الجوهرات والتحف والآثار التى كانت فى مقابر الفراعنة . (١)

ومن المآسى التى وقعت بعد موت الاسكندر خصام عنيف قام بين روكسان Roxane وضرتها ستاتيرا Statira . لجأت روكسان إلى أم الاسكندر أوليمپياس Olympias لتحميها من شر ستاتيرا . إلا أن أوليمپياس أمرت بقتلها هى وابنها . كما أمرت بقتل بارسين Barsine محظية ابنها اسكندر هي وابنها . و بعد موت انتيباتير Antipater توالت المآسي فى أفراد عائلة الاسكندر فقتلوا على بكرة ابيهم . وهكذا انقرضت عائلة من شاد أكبر امبراطورية فى العالم كما تلاشت امبراطوريته نفسها .

ذو القرنين

من هو ذو القرنين الذى ورد ذكره فى سورة الكهف :—

« ويسألونك عن ذى القرنين قل سأتلو عليكم منه ذكراً . انا مكنا له فى الأرض وآتيناه من كل شيء سبباً فأتبع سبباً . حتى إذا بلغ مغرب الشمس وجدها تغرب فى عين حمئة ووجد عندها قوماً . قلنا ياذا القرنين اما أن تعذب واما أن تتخذ فيهم حسناً . قال اما من ظلم فسوف نعذبه ثم يرد الى ربه فيعذبه عذاباً نكراً . واما من آمن وعمل صالحاً فله جزاء الحسنى وسنقول له من أمرنا يسراً . ثم أتبع سبباً . حتى إذا بلغ مطلع الشمس وجدها تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها ستراً . كذلك وقد أحطنا بما لديه

---

(١) كان التابوت الذي وضع فيه جثمان اسكندر الأكبر مصنوعا من الذهب الخالص وكان مدفونا في معبد باسكندرية اسمه بانيوم Panéum على مقربة من كوم الدكة الحالى. وبعض المؤرخين رووا أن بطليموس التاسع طمع فى ذهب التابوت فاستبدل التابوت الذهب بتابوت من زجاج . ومعبد البانيوم Panéum هذا استحال هو ايضا فيما بعد الى كنيسة دفن فيها سنت أثاناس St. Athanase . والكنيسة استحالت هى ايضا فيما بعد الى مسجد هو مسجد العطارين الموجود الآن .

خُبراً ثم أتبع سببـاً . حتى أذا بلغ بين السدين وجـد من دونهما قوماً لايكادون يفقهون قولاً . قالوا ياذا القرنين أن يأجوج ومأجوج مفسدون فى الأرض فهل نجعل لك خرجا على أن تجعل بيننا و بينهم سداً . قال ما مكننى فيه ربى خير فأعينونى بقوة أجعل بينكم و بينهم ردماً . . . إلى آخر الآية »

فهل ذو القرنين هذا هو اسكندر الأكبر المقدونى أم هو ملك آخر ؟

انى لا أدرى من لقب اسكندر المقدونى بذى القرنين . لأن وصفه بذى القرنين لم يرد فى كتب المؤرخين الذين عاصروه - مقدونيين كانوا أو يونانيين أو أشوريين أو ايرانيين أو مصريين أو يهود أو غيرهم - ولا فى كتب المؤرخين الذين اتوا من بعده يونانيين كانوا أو فرنساويين أو ايطاليين أو انجليزاً أو المانا أو روساً أو . . . فالقول بأن اسكنـدر المقدونى هو ذو القرنين قول خطأ . ولا أدرى كذلك من ذا الذى قال بأن ذا القرنين الوارد ذكره فى القرآن الكريم اسمه اسكندر أو هو اسكندر المقدونى . كل هذا خاط فى خلط .

على أن ما أرجحه انا هو أنه لما غزا اسكندر المقدونى ديار مصر ودخل ممفيس وبويع فى معبد فتاح Ptah فرعونا على مصر البسه الكهنة القلنسوة الفرعونية Pschent (وتنطق بسكنت) وهى القلنسوة التى اعتاد فراعنـة مصر أن يضعوها على رؤوسهم فى الحفلات الدينية الرسمية . وهذه القلنسوة مكونة من تاجين تاج أبيض وتاج أحمر . فالتاج الابيض رمز سيادة الفراعنة على الوجه القبلى والتاج الاحمر رمز سيادتهم على الوجه البحرى (١) وكذلك فعل الكهنة مع اسكندر لما دخـل معبد جوبيتير آمون Jupiter Ammon فى واحة سيوه ونودى به أبن الآله آمون رع . فلما ظهر اسكندر أمام الملأ فى ممفيس بوصف كونه فرعون مصر وفى واحة سيوه بوصف كونه ابن الآله آمون وعلى رأسه تاجان (وكان شكل التاج يشبه علامة الاستفهام الأفرنجية وهى أشبه

---

(١) "Le pschent, mitre symbolisant l'union des deux royaumes de Haute et Basse Egypte. Il était composé de deux coiffure emboitées : l'une rouge et basse, couronne de la Basse—Egypte, l'autre, blanche et haute, couronne de la Haute —Egypte."

شيء بقرن) لقبوه بذى القرنين بمعنى ذى التاجين — انظر الى الرسم الذى يمثل محراب معبد دندره بقنا — . [1]

فالقول بأن ذا القرنين الذى ورد ذكره فى القرآن الكريم هو اسكندر المقدونى قول خطأ . ووصف اسكندر المقدونى بذى القرنين خطأ آخر اللهم الا اذا كان المراد بذى القرنين ذا التاجين .

والبطالسة اقتدوا بمليكهم اسكندر . فكان كل من يستوى منهم على عرش مصر يتوج فى ممفيس فى معبد فتاح Ptah وفى الحفلات الرسمية الدينية التى كانت تقام أجلالا لايزيس Isis وسيرابيس Sérapis كان بطليموس يظهر أمام الملأ مرتديا لباس قدماء الفراعنة وعلى رأسه القلنسوة الفرعونية .

على انه من باب المزيد فى البيان والتبيين نورد هنا أقوال بعض المجتهدين والمفسرين:

* * *

كتب إلينا حضرة العالم صاحب الفضيلة الأستاذ الشيخ أحمد محمد شاكر القاضى بمحكمة مصر الشرعية يقول :

« حضرة صاحب العزة الأستاذ الجليل عزيز بك خانكى

« بعد واجب التحية والسلام : تشرفت بخطابكم فى السؤال عن ذى القرنين ويأجوج ومأجوج . أما ذو القرنين فانه اختلف فيه كثيراً بين المؤرخين المتقدمين حتى لقد ظن بعضهم وشاع عند كثير من العامة أنه الاسكندر المقدونى . بل ورد ذلك فى حديث لا أصل له بل هو حديث منكر شاذ . واليقين من الأدلة التاريخية والعلمية أن الاسكندر ليس ذا القرنين . لأن الاسكندر كان وثنيا وذو القرنين وصفه فى القرآن يدل على أنه كان رجلا مؤمناً صالحاً يعبد الله وحده . بل قد يفهم من بعض الآيات أنه كان يوحى إليه . وقد نص على أنه ليس الأسكندر المحققون من العلماء وفى

---

(١) وهاك ما قاله بهذا المعنى ايضا الكاتب الروائى الشهير اسكندر دوماس Alexandre Dumas فى كتابه القوقاز Le Caucase

"Voyez les médailles d'Alexandre, où comme fils de Jupiter Ammon, il porte les cornes paternelles et l'explication de ce nom de Zoul-Karnain vous sera donnée. — Page 12."

مقدمتهم شيخ الاسلام ابن تيمية فى منهاج السنة (ج.١ص ١١٤) والحافظ العلامة ابن كثير فى تفسيره (ج.٥.ص ٣٢٢ - ٣٢٣) من طبعة المنار . والمؤلف نفسه فى تاريخه المسمى (البداية والنهاية ج ٢ ص١٠٢ وما بعدها) وقد ذكر أقوالاً كثيرة فيه . والراجح عندى أنه (الصعب ابن الحارث الرائشى ذى مرائد بن عمر الهمال ذي مفاح بن عاد ذى شداد بن عامر) إلى آخر نسبه وهو من ملوك اليمن الأقدمين فى عصر ما قبل التاريخ . وقد نص على ذلك العلامة أبو محمد عبد الملك ابن هشام صاحب السيرة فى كتاب (التيجان) الذى رواه عن وهب بن منبه . وهو مطبوع فى حيدر آباد بالهند سنة ١٣٤٧ هـ وأخباره مفصلة فى (ص ٨١ وما بعدها) وكذلك نص عليه العلامة المؤرخ الكبير أبو محمد الهمذانى اليمنى المتوفى سنة ٣٣٤ هـ فى الجزء الثامن من كتابه (الأكليل) الذى طبع فى بغداد سنة ١٩٣١ م بعناية استاذنا العلامة الأب انستانس الكرملى البغدادى . وأخباره مفصلة هناك (ص ٢١٧ وما بعدها) وليس هذا الذى اخترته على سبيل الجزم والقطع بل هو الراجح فقط لأن مدنية اليمن وآثارها لم تكتشف بعد اكتشافاً علمياً ولكن ظواهر التاريخ وما بقى فى أيدينا من أخباره تبعث فى رأينا فكرة عن مدنية العرب والجزيرة أنها منبع المدنيات كلها وأنها أقدم حضارة ظهرت على البسيطة وأنها كانت قبل ذلك بلاداً عامرة بالجنان والأنهار ثم عدت عليها عوادى الزمن فأحالتها صحارى ومجاهل . وأرجح أنا من ذلك أن اللغة العربية أقدم اللغات وأمها وأن اللغات الشرقية كلها أو أكثرها إنما هى فروع أو تحريف عن اللغة العربية . ولو كانت البلاد الاسلامية تنهض نهضة علمية حقيقية لعمرت جزيرة العرب واكتشفت آثارها وأظهرت خفايا الكنوز فيها ولأمكن تحقيق مثل هذه الابحاث التاريخية تحقيقاً علمياً ينفى الخطأ ويظهر الصواب

«وأما يأجوج ومأجوج فان لم يكن هذا الوصف منطبقاً على بلاد الصين فلاأدرى شيئاً عن تحقيقها . ولعل أستاذنا العلامة الكبير الشيخ عبد الوهاب النجار وكيل جمعية الشبان المسلمين يستطيع أن يفيدكم فى هذا الموضوع بأوثق مما أستطيع . والتوفيق من الله

وأرجو أن تقبلوا منى خالص التحية والسلام . . . » الجمعة ٢٣ رمضان سنة ١٣٥٩ - ٢٥ اكتوبر سنة ١٩٤٠ احمد محمد شاكر القاضى الشرعى

وكتب الينا حضرة الاستاذ الجليل محمد فريد وجدى يقول :

مصر فى ٢٣ / ١٠ / ١٩٤٠

حضرة صاحب العزة الأصولى الكبير عزيز خانكى بك

تحية طيبة مباركة . وبعد فقد تشرفت بكتاب منكم تسألون به رأيي فى أمرى ذى القرنين ويأجوج ومأجوج . وانى أشكر لعزتكم حسن ظنكم بى . وأجيبكم :

أوافق عزتكم فى أن ماورد بسورة الكهف عن ذى القرنين لا ينطبق أكثره على الأسكندر المقدوني . وأن لاذكر فى التاريخ عن يأجوج ومأجوج وسدهم . وفى الكتاب الكريم أخبار أخرى غامضة . يصرح القرآن نفسه بغموضها . وينهى عن الخوض فيها والتنازع عليها كما فى هذه الآية : « هو الذى أنزل عليك الكتاب منه آيات (محكمات) هن أم الكتاب . وأخرى (متشابهات) فأما الذين فى قلوبهم زيغ فيتبعون ماتشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله . وما يعلم تأويله إلا الله »

«أضيفوا الى هذا أن الاسلام أمر ذويه بالتثبت فى القول . وعدم الخلط والخبط فيما يعلمون وما لا يعلمون : « يثبت الله الذى آمنوا بالقول الثابت » . « ولا تقف ما ليس لك به علم » . « وقل رب زدنى علما »

«وأمرهم باقامة سلطان العقل فى كل ما يعرض للبحث وجعله مناط التكليف . فلم يجد المسلمون أسلم لأنفسهم وأحوط لدينهم من طريق انتهجوه منذ قيامهم الى جماعة . وهى أن يتناولوا مايعن لهم من المعارف مستقلةً عن الدين . لا مطبقةً عليه . ولا مقيدةً به . لأنه اطلق لهم وجوب التعلم اطلاقاً . ولم يقيد العلم إلا بأن يكون حقاً . لا خيالا ولا ظنا « وأن الظن لا يغنى من الحق شيئاً » . وما كادوا يدونون لهم علما للأصول حتى توجوه بهذه القاعدة التى تعتبر من أجل المفاخر فى عهد كان الناس قاطبة دائنين لمبدأ الحرفية فى الدين الا وهى : « إذا تعارض حكم العقل ونص الكتاب وجب تأويل نص الكتاب حتى ينطبق على حكم العقل » ذلك لأن العقل مناط التكليف فى الاسلام كما قدمنا . لا الأقوال المأثورة . ولا الآراء الموروثة .

«لهذا السبب لم يستهول المسلمون فى أى عهد من عهودهم ما يجدونه فى كتابهم من الأمور التى تحار فيها العقول . وتختلف فيها الأفهام . فكان أسهل شيء عندهم أن

يعتبروها من متشابه القرآن . تاركين حلها الى حين أو الى الأبد . ويمضون فى اقتباس المعلومات من مصادرها مستفيدين مما هدوا اليه من وسائل التحقيق والتمحيص . وليس يخفى عليكم انهم أخذوا جميع ما وقع لهم من كتب العلم وترجموها وزادوا مادتها . ولم تحدث فيهم منازعات تذكر من التناقض بين العلم والدين . الأمر الذى أشعل النار فى العالم الغربى أكثر من ألف سنة

« فان عدتم فسألتمونى بعد هذا التفصيل عن حقيقة رأيى فى ذى القرنين ويأجوج ومأجوج أجبتكم بأنى لم أحصل عنهما علما يحسن نشره . وهما فى نظرى من متشابه القرآن الذى لا يضر المسلم أن يجهله بل امر أن لايجعله موضوع نزاع بينه وبين الناظرين. وتفضلوا بقبول احترامى الفائق وشكرى الجزيل » محمد فريد وجدى

روح البيان

وورد فى الصحيفة ٦٢٤ من الجزء الثالث من كتاب تفسير القرآن المسمى بروح البيان للأستاذ الشيخ اسماعيل حقى افندى ما يأتى حرفياً :

« (ويسألونك عن ذى القرنين) هم اليهود سألوه على وجه الامتحان عن رجل طواف بلغ شرق الأرض وغربها أو سأل قريش بتلقينهم وصيغة الاستقبال للدلالة على استمرارهم على ذلك الى ورود الجواب وهو ذو القرنين الأكبر واسمه اسكندر ابن فيلقوس اليونانى ملك الدنيا بأسرها . كما قال مجاهد ملك الأرض أربعة : مؤمنان وكافران . فالمؤمنان سليمان وذو القرنين والكافران نمرود وبختنصر . وفى مشكاة الأنوار شدّاد بن عاد بدل بختنصر وكان ذو القرنين بعد نمرود فى عهد ابراهيم عليه السلام على ما يأتى ولكنه عاش طويلاً ألفاً وستمائة سنة على ما قالوا . وفى تفسير الشيخ وكان بعد ثمود وكان الخضر على مقدمة جيشه بمنزلة المستشار الذى هو من الملك بمنزلة الوزير . قال ابن كثير والصحيح انه ما كان نبياً ولا مَلَكاً وانما كان ملكاً صالحاً عادلاً ملك الأقاليم وقهر أهلها من الملوك وغيرهم وانقادت له البلاد. مات بمدينة شهر زور بعد ما خرج من الظلمة ودفن فيها . وفى التبيان مدّة دوران ذى القرنين فى الدنيا خمسمائة . ولما فرغ من بناء السد رجع إلى بيت المقدس ومات به . وانما سمّى بذى القرنين لأنه بلغ قرنى الشمس أى جانبيها مشرقها ومغربها . كما لقب أردشير واضع

النرد بطويل اليدين لنفوذ أمره حيث أراد . وفى القاموس لما دعاهم إلى الله ضربوه على قرنه الأيمن فمات فأحيـاه الله ثم دعاهم فضربوه على قرنه الأيسر فمات ثم أحياه الله . كما سمى على بن أبي طالب رضى الله عنـه بذى القرنين لمـا كان شجتان فى قرنى رأسـه أحداهما من عمرو بن ودّ والثانية من ابن ملجم لعنه الله . وفى قصص الأنبياء وكان قد رأى فى منامه انه دنا من الشمس حتى أخذ بقرنيها فى شرقهـا وغربهـا فلما قص رؤياه على قومه سموه به . وقال الأمام السيوطى رحمـه الله فى الأوائل أول من لبس العمامة ذو القرنين وذلك انه طلع له فى رأسه قرنان كالظلفين يتحركان فلبسها من أجل ذلك ثم انه دخل الحمـام ومعه كاتبه فوضع العمامة وقال لكاتبه هذا أمر لم يطلع عليه غيرك فان سمعت به من أحد قتلتك . فخرج الكاتب من الحمام فأخذه كهيئة الموت فأتى الصحراء فوضع فمه فى الأرض ثم نادى : ألا ان للملك قرنين فأنبت الله من كلمته قصبتين فمر بهما راع فقطعهما واتخذهما مزماراً فكان اذا زمر خرج من القصبتين ألا ان للملك قرنين فانتشر ذلك فى المدينة . فقال ذو القرنين هذا أمر أراد الله ان يبديه . وأما ذو القرنين الثانى وهو اسكندر الرومى الذى يؤرخ بأيامه الروم فكان متأخراً عن الأول بدهر طويل أكثر من الفى سنة كان هذا قبل المسيح عليه السلام بنحو من ثلثمائة سنة . وكان وزيره ارسطاطاليس الفيلسوف. وهو الذى حارب دارا وأذل ملوك الفرس ووطىء أرضهم وكان كافراً عاش ستا وثلاثين سنة . فالمراد بذى القرنين فى القرآن هو الأول دون الثانى. وقد غلط كثير من العلماء فى الفرق بينهما فظنوا أن المذكور فى الاية هو الرومى سامحهم الله تعالى »

وذكر العينى فى شرحه عن البخارى صحيفة رقم ٢٣٣ جزء ١٥ أن ذا القرنين المذكور فى القرآن المذكور فى السنة الناس بالاسكندر ليس الاسكندر اليونانى فانه مشرك ووزيره أنسطاطانيس -كذا- والاسكندر المؤمن الذى ذكره الله فى القرآن اسمه عبد الله ابن الضحاك ابن معد قاله ابن عباس . ونسب هذا القول أيضاً إلى على ابن أبي طالب رضى الله تعالى عنه . وقيل اسمه مسعد ابن عبد الله وذكر له نسباً ينتهى إلى سبأ ابن قحطان . وقد جاء فى حديث أنه من حمير وأمه رومية وكان يقال له ابن الفيلسوف لعقله وقال وهب ابن منبه اسمه الاسكندر .

ثم قال العيني ومن هنا يشارك الاسكندر اليوناني في الاسم . وكثير من الناس يخطئون في هذا و يزعمون ان الاسكندر المذكور في القرآن هو الاسكندر اليوناني [1] وهوزعم فاسد . لأن الاسكندر اليوناني الذي بنى الاسكندرية كافر مشرك وذو القرنين عبد صالح ملك الأرض شرقاً وغرباً حتى ذهب جماعة الى نبوته. واختلفوا في الزمن الذي وجد فيه فقيل بعد نوح وقيل بعد اسحق وقيل بين عيسى ومحمد والأصح أنه كان في أيام الخليل ابراهيم عليه السلام واجتمع به في الشام وقيل بمكة وسمى بذى القرنين قيل لأنه بلغ قطرى الأرض المشرق والمغرب . وقيل لأنه ملك فارس والروم . وقيل كان ذا ضفيرتين من شعر . والعرب تسمي الخصلة من الشعر قرنا . وقيل غير ذلك . انتهى من العيني باختصار

وجاء في صفحة ٩٤ من كتاب (مصر في قيصرية الاسكندر المقدوني) للاستاذ اسماعيل مظهر ماياتي :

« الذي نعرفه أن ذا القرنين الذي ذكر في القرآن الكريم عربي يمني وليس الاسكندر المقدوني . وأذكر أني اطلعت مرة أن ملكا من ملوك حمير يسمى الصعب ويلقب بذى القرنين وذلك في كتاب التيجان لابن هشام وبرواية وهب بن منبه . ولما كنت غير متحقق من ذلك كتبت للأستاذ « ا . ه . ر . جب A. H. R. Gibb » كتاباً أستوضحه فيه هذا الأمر فأجاب حفظه الله بما يأتي :

---

(١) ووقع في هذا الخطأ المؤرخ الفرنساوى جورج راديه Georges Radet اذ قال في صفحة ٤٢٠ من كتابه « اسكندر الاكبر » " Dans le Coran, une des surates investit d'une mission divine l'Homme aux deux cornes" Zoul-Quarnaïn : Iskander est devenu un précurseur de Mahomet..."

وبهذا المعنى ايضا ما قاله العالم فيلكن المؤرخ الالماني :

"Dans le Coran aussi, Alexandre poursuit son existence, car le Dhoul-Karnaïn (celui qui a deux cornes) dont il est question dans la dix-huitième Soura, désigne "Iskender"; c'est sans doute un souvenir du fils d'Ammon, orné des deux cornes de son père" V. Alexandre le Grand, par Ulrich Wilcken - Page 327.

« أظن الكلمة التي تعنيها في شأن ذي القرنين والتبع الصعب هو ما كتب الأستاذ « نكلسون Nicholson » في كتاب « تاريخ أدب العرب » ص ١٧ ولا أعرف من ذكر ذلك من مؤلفي العرب غير اليمنيين مثل نشوان بن سعيد الحميري في كتاب « شمس العلوم » وقد قال هذا ما نصه : « الصعب اسم ذي القرنين السيار . قال لبيد :

لو كان حي بالحياة مخلداً في الدهر خلده أبو يكسوم
والصعب ذو القرنين أصبح ثاوياً بالحنو في جدث هناك مقيم

« وعن علي ابن أبي طالب وابن عمه عبد الله بن عباد (رضي الله عنهما) أن ذا القرنين السيار هو الصعب بن عبد الله بن مالك بن زيد بن سدد بن حمير الأصغر وقد أوضحت في كتاب « القاف » أن ذا القرنين الذي بنى سد يأجوج ومأجوج هو تبع الأقرن » ا . هـ

وقرأنا في كتاب الأستاذ أبن القاسم المدرس بالمعهد الازهر (في ترجمة الشيخ السبكي) ما يأتي :

(ذو القرنين) كان ملكا عادلا لا نبياً على الصحيح . قال أبو الطفيل : سئل علي رضي الله عنه عن ذي القرنين أكان نبياً أم ملكا ؟ قال لم يكن نبياً ولا ملكا ولكن كان عبداً احب الله واحبه الله . وناصح الله فناصحه الله . أخرجه البغوي وسفيان بن عيينة في جامعه بسند صحيح . قال الحافظ في الفتح . وقد أثنى الله عليه بالعدل . وانه بلغ المشارق والمغارب وملك الأقاليم وسار في أهلها بالعدالة التامة والسلطان المؤيد . قال بن عباس : كان ذو القرنين ملكا صالحا أثنى الله عليه في كتابه . وكان منصورا وكان الخضر وزيره . وذكر الأزرقي وغيره أنه أسلم على يدي ابراهيم الخليل وطاف معه الكعبة المكرمة (واختلف في اسمه) والصحيح انه اسكندر بن فيلبش بن بطريوس . وهو باني الاسكندرية وسماها بأسمه . ولقب بذي القرنين لأنه بلغ قرني الشمس مشرقها ومغربها . وقيل لأنه كان له ذؤابتان حسنتان . »

وسأل سائل المرحوم توفيق حبيب « الصحاف العجوز » عن ذي القرنين . وها السؤال والجواب :

« كنت أعتقد أن اسكندر الأكبر المقدوني هو اسكندر ذو القرنين ولكنني عثرت في مطالعاتي على ما غيّر اعتقادي و بدل ظني . واليك بعض ما دعا إلى حيرتي :

١ - يقال أن ذا القرنين ملك من ملوك حمير وهم من العرب العاربة . وكان ملكا جباراً

٢ - أن لفظة « ذو » عربية فليس لها علاقة بذلك العاهل اليوناني

« سئل ابن عباس ، رضي الله عنه ، عن ذي القرنين ممن كان ؟ فقال من حمير وآتاه من كل شيء سبباً ، فبلغ قرني الشمس ، ورأس الارض ، و بنى السد على يأجوج ومأجوج ، وقيل له . فالاسكندر ؟ قال : كان رجلا صالحاً رومياً حكيما ، بنى على الارض في أفريقية مناراً ، وأخذ رومه ، و إلى بحر العرب ، وأكثر من عمل الآثار الخ

« وقال النعمان بن المنذر

« فمن ذا يعاودنا من الناس معشراً كراماً فذو القرنين منا وحاتم

« وفيه يقول ابن أبي ذئب الخزاعي :

« ومن ذا الذي بالخافقين تغربا واصعد في كل البلاد وصوبا

« فقرناً لقرن الشمس شرقاً ومغرباً وفي روم يأجوج بني ثم نصبا

« وذلك ذو القرنين تفخر حمير بعسكر قيل ليس يحصى فيحسبا

« وقال الأمام فخر الدين الرازي في تفسير القرآن الكريم :

« ومما يعترض به على من قال أن الاسكندر هو ذو القرنين أن معلم الاسكندر كان ارسطاطاليس ، يأمره يأتمر وينهيه ينتهي . واعتقاد ارسطاطاليس مشهور . وذو القرنين نبي . فكيف يقتدي نبي بأمر كافر ؟ - في هذا إشكال »

وقال الجاحظ في كتاب الحيوان : « ان ذا القرنين كانت أمه آدمية وأبوه من الملائكة [١] . ولذلك لما سمع عمر بن الخطاب رضي الله عنه رجلا ينادي رجلا ، يا ذا القرنين ، قال أفرغتم من السماء الانبياء فارتفعتم الى أسماء الملائكة »

---

(١) وتجد هذه الاسطورة متواترة ايضاً في كتب التاريخ . يقول المؤرخ لوبا Le Bas في الصحيفة ٢٤٢ من الجزء الاول من كتابه « التاريخ القديم »

"On dit que sa mère Olympias eut, la veille de ses noces, une

« وفي ذي القرنين أقاويل كثيرة تثبت أن ذا القرنين ملك من ملوك العرب العاربة . فهل نسلم بهذه الاقوال والدلائل عليها واضحة ، والاثبات بينة بأن الاسكندر وذا القرنين رجلان ؟ أم نصبر إلى أن ينجدنا أهل البحث والاضطلاع بمثل هذه المباحث تصحيحاً للأخطاء وإزالة للريب ؟ ا . ا . ز

---

vision extraordinaire. Elle songea que la foudre était tombée dans son sein, et qu'il en était sorti des flammes qui se répandirent au loin."

ويقول احد مؤرخي الاسكندر « جورج راديه » Georges Radet في الصحيفة ١١ من كتابه « اسكندر الاكبر »

"La nuit qui précède l'entrée des époux dans la chambre nuptiale, Olympias rêve qu'un éclair, suivi d'un coup de tonnerre, la frappe au sein. Vierge, elle conçoit, immatériellement, au passage de cette lumière fulgurante, un fils, dont, physiquement, après la consommation des noces, Philippe reste le procréateur. D'ores et déjà, Alexandre est un homme-dieu. Toute sa destinée consiste à réaliser historiquement le mystère de cette divine origine."

اليس من الغريب ان يتوافق كلام الجاحظ وماراوه مؤرخو الاسكندر .

مثل هذه الخرافات كانت شائعة في الزمن الغابر ولا سيما عند الاغريق والفرس والميديين والهنود . ها مثال منها :

كان الميديون قد أخضعوا بلاد فارس وبسطوا سلطانهم عليهم فترة من الزمان الى أن برز من بينهم قورش Cyrus . وبعد أن شق عصا الطاعة قاتل الميديين وطردهم ثم استوى على عرش بلاد فارس وبلاد ميديا معاً ولما استتب له الامر قاتل كريزوس Crésus ملك الميديين وحاصره في مدينة سرت Sardes فانتصر عليه وبسط سلطانه على آسيا الصغرى كلها . ثم زحف على تركستان وأفغانستان وغزاها . ثم وجه جيوشه غرباً واستولى على بابل وبهذا امتد سلطانه على بلاد واسعة يحدها نهر السند شرقاً وبرزخ السويس غرباً (وترك مصر فغزاها ابنه قمبيز) ولما اراد غزو بلاد اسكوتيه Scythes جنوب روسيا قتل . وبالنظر لفتوحاته الواسعة وانتصاراته الكثيرة تعددت الاقاويل عن أصله وفصله . فزعموا أن استياج Astiage ملك ميديا كان زوج بنته ماندان Maudane من احد اشراف الفرس وفي ذات ليلة رأى في منامه ان حفيده (ابن بنته ماندان) خلعه وخلفه على العرش . فتربص الى ان وضعت بنته ولداً فامر بنزعه من أمه وسلمه لاحد الحراس واسمه هارباج Harpage وأمره بان يقتله . الا ان هارباج رأف بالولد ولم يقتله واكتفى بان تركه في جبل سحيق فالتقطه الرعاة . ولما ترعرع الولد ظهرت عليه أمارات الامارة ثم اتصل خبره بجده ملك ميديا استياج فامر بان يؤتى له بالولد ولما مثل بين يديه رق قلبه وأخذ الولد ورباه . ولما رهق عينه حاكماً على فارس . ولما قويت شوكة الولد خلع جده استياج واستوى على العرش مكانه ....

فكان جواب « الصحافى العجوز »

« هذا « شكل قديم للبيع »

« فأما أن هناك إثنين يلقبان بذى القرنين ، فأمر لا يختلف فيه إثنان

« وإما أن الاسكندر هو غير ذى القرنين ، فرأى غير صحيح

«وأما أن الاسكندر شىء وذا القرنين شىء آخر،فكذلك حديث بعيد عن الصواب

«والملك العربى،الذى يشير اليه الكاتب الحائر، هو المنذر الثالث من ملوك العرب (حكم من سنة ٥١٣ الى سنة ٥٦٣ للميلاد) وكان من اعظم الملوك قوة وبأسا حارب الرومان غير مرة وغزا بلادهم ، ونال منهم الغنائم وسبي السبي وكان حليفاً لملك الفرس ، ظفر بصحبته بقائد الرومان بليزار . واراده ذو نواس الحميرى على اغتصاب النصارى ، فامتنع عن ذلك وعاش المنذر الى زمان كسرى انوشروان ولقبه معاصروه ومؤرخوه بذى القرنين

«أما الاسكندر ، فانه بعد ان فتح مصر وأنشأ مدينة الاسكندرية الهم ان يزور معبد الاله آمون فى واحة سيوه فتلقاه كهانها بالترحيب واكثروا من تمليقه حتى كاد ان ينكر انه ابن فيلبس المقدونى ولبس تاجا ذا قرنين على مثال تماثيل آمون . ورسم بهذا الزى على الهياكل والبرابى والمسلات

« وربما كانت هذه الدعوى والرسوم والصور هى التى دعت بعض مفسرى القرآن وشراحه وبعض علماء الادب والتاريخ العربى الى توهم ان ذا القرنين نبى وقول الجاحظ ان ام الاسكندر ادمية وأباه آله

« ونظر كتاب العرب الى موضوع القرنين من الوجهة التاريخية والادبية فقال أبو الفرج المالطى :

« ومن جملة ملوك اليونانيين الاسكندر ابن فيليقوس المقدونى ، الذى اجمع ملوك الارض طرا على الطاعة لسلطانه وملك ست سنين بعد قتله داريوس وكان قد ملك قبل ذلك ستا اخرى وفتح بلاداً كثيرة ، حتى بلغ ملكه الى اقصى الهند وأوائل حدود الصين وسمي ذا القرنين لبلوغه قرنى الشمس وهما المشرق والمغرب »

وقال الاب لويس شيخو فى شرح « مجانى الادب » :

« وسمى ذو القرنين ، لبلوغه قرنى الشمس وهما المشرق والمغرب وقيل سمى بذلك لانه كان فى رأسه شبه قرنين أو ذؤابتين وقيل لانه ملك فارس والروم والارجح انه لقب بذلك لعظم اقتداره وسطوته ، لان القرنين كناية عن السلطان كما يرى ذلك فى الكتب القديمة لاسيما الصحف المقدسة

هذا ماوصل اليه « علم » الصحافى العجوز و « العلم » الغزير الفياض عند استاذنا الشيخ عبد الوهاب النجار . وفوق كل ذى علم عليم والله اعلم .-راجع عدد الاهرام ١٨ سبتمبر سنة ١٩٣٣ « صحافى عجوز »

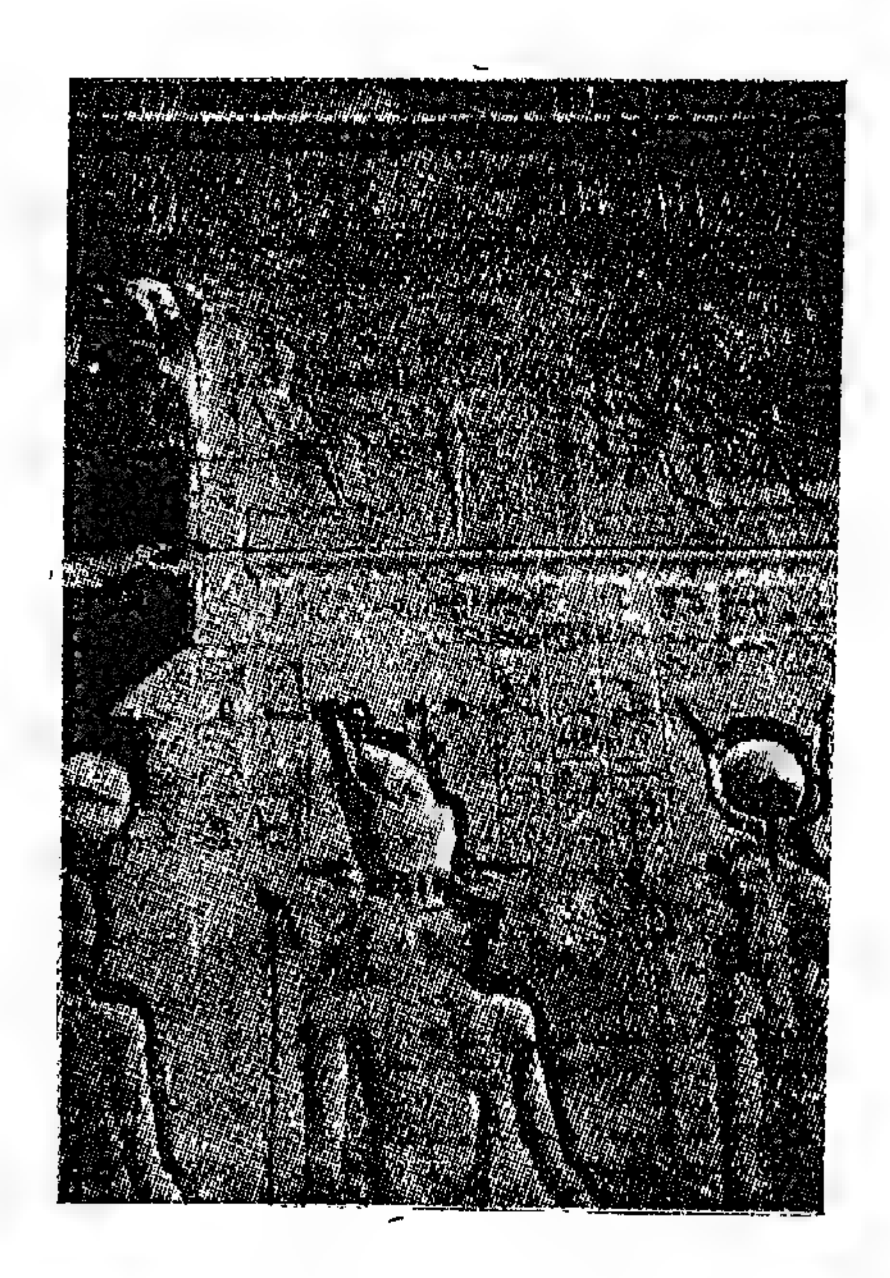
عن يأجوج ومأجوج

فى مجلة الثقافة عدد ١٢ نوفمبر سنة ١٩٤٠ بحث بقلم العلامة الأب انستاس مارى الكرملى جاء فيه :

(والذى اعرفه ان يأجوج ومأجوج هم الأسكوتيون أو الأشكوزيون أو السقوثيون أى ال Scythes . وأسم بلادهم اسكوتية أو اشكوزيه وسماها الهمداني فى كتابه – صفة جزيرة العرب – سقونيا –)

أرأيت هذا الخلاف الكبير بين المفسرين والمؤرخين . إذ بينما يقول بعضهم أن ذا القرنين الوارد ذكره فى القرآن الكريم اسمه اسكندر وأنه هو هو اسكندر المقدونى يقول البعض الآخر – وهم المحققون – أن ذا القرنين الوارد ذكره فى القرآن الكريم ليس اسمه اسكندر وليس هو اسكندر المقدونى . وبينما نرى البعض يقول أن ذا القرنين الوارد ذكره فى القرآن الكريم هو ملك (بفتح اللام) نرى البعض الآخر يقول انه ملِك (بكسر اللام) . وبينما نرى البعض يقول بأنه نبىّ مؤمن بالله يقول البعض الآخر بأنه ملك كافر .

ثم نراهم مختلفين أيضاً فى معرفة من هو « ذلك الغير » (غير اسكندر المقدونى) فيقول البعض أنه (الصعب ابن الحارث) من ملوك اليمن الأقدمين. و يقول البعض



محراب فى معبد دندره

معابد اسوان ودندره وادفو من أهم آثار البطالسة

راجع ذيل صحيفتى ٥٩ و ٦٠

الآخر أنه (عبد الله ابن الضحاك) . ويقول البعض الأخير أنه (مسعد ابن عبد الله) ومنهم من قال بأنه (المنذر) من ملوك العرب . ثم نراهم غير متفقين فى صحة اسم اسكندر المقدونى فيقول بعضهم أنه (ابن فيلقوس اليونانى) ويقول البعض الاخر انه (بن فيلبش بن بطريوس) وأنه (مؤمن) وأنه عاصر (ابراهيم عليه السلام) وأنه (عاش ١٦٠٠ سنة) وأن (الخضر كان مستشاره ووزيره) وأنه (كان ملكا صالحاً عادلاً) وأنه (مات فى مدينة شهر زور ودفن فيها) ويقول البعض الآخر أنه (أقام فى بيت المقدس ومات به) . ومنهم من سمى معلم اسكندر (أنسطاطانيس) ومنهم من سماه (ارسطاطاليس) - وهو الأصح -

الخلاصة ان الوارد ذكره فى القرآن هو - بالتأكيد - غير اسكندر المقدونى . اما من هو فالعلم عند الله - وصدق حضرة الأستاذ محمد فريد وجدى عند ماقال بأن القرآن الكريم فيه آيات (محكمات) وآيات (متشابهات) تعجز أفهامنا عن ادراك كنهها .

حكم التاريخ

ما حكم التاريخ فى اسكندر الأكبر . هل حياته كانت حسنات أو كانت سيئات أو كانت بين بين ؟

ذهب المؤرخون فى تقدير اسكندر الأكبر مذاهب شتى . بعضهم رفعه الى أعلى عليين و بعضهم ردّه الى أسفل سافلين والبعض الأخير قال أن له حسنات وله سيئات وحسناته يذهبن سيئاته . صدق من قال لا يخلو الانسان من مادح وقادح وللناس بعدد رؤوسهم آراء . Autant de têtes, autant d'avis. Tot capita, tot sensus

ولنعدّد هنا حسناته ونعدّد سيئاته ونرو ما قاله المادحون وما قاله القادحون ثم نترك للقارىء الحكم .

كان لأسكندر معلمان والمعلمان كانا أبرع رجال العصر الذى نشأ فيه :

— أبوه فيليب الذى عدّ فى زمانه - وعدّ بحق - أعظم رجال الحرب

- ومعلّمه أرسطاطاليس الذى عدّ فى زمانه - وعدّ بحق - أعظم رجال العلم والفلسفة.
أبوه فيليب اشتهر بدارسة الحروب وممارسة القتــال حتى انه فى خلال خمس سنوات انتصر على أعدائه تسع مرات فى تسع وقائع . وكان فوق هذا من أعظم رجال السياسة . كان يجمع فى قبضة يده زمام السياسة مع زمام الحرب.أحبط تألب الدول المجاورة التى كانت متحالفة ومتحفزّة لغزو مقدونيا . احبط تألبها بمناورات سياسية فى غاية البراعة استخدم فيها ذهبه ومكره ودهاءه فتمكن من التفريق بين الدول المتحالفة ففشلت فيما نوت فأنقذ وطنه من أخطار مدلهمة كانت تنذر بأشد الويلات [1] ولبراعته فى الحرب وفى السياسة بايعه بنو وطنه ملكا عليهم وكان عمره لا يزيد على ٢٤ سنة

حارب غربًا الألبانيين Illyriens وبسط نفوذه على بلاد أبيروس Epire

وحارب شرقًا أهل تراقيا Thrace ثم انتهى بضم أبيروس وتراقيا الى مقدونيا .

وحارب شمالا الى أن وصل الى نهر الدانوب .

وحارب جنوبًا فغزا جميع البلاد الواقعة على شاطىء البحر ومنها مدينة ستاجير Stagyre مسقط راس ارسطو . وبسط سلطانه على تساليا Thessalie فأصبح صاحب الكلمة النافذة على بلاد البلقان من أقصاها شمالا الى أقصاها جنوبًا .

وكان فى نيته غزو بيزانطة (القسطنطينية سابقًا وأستانبول الآن) كما كان فى نيته طرد الفرس من جميع البلاد اليونانية فى أوروبا وفى آسيا إلا أن المنية عاجلته فى حياته اشرك « ابنه اسكندر » فى فتوحاته وفى غزواته . وأحرز اسكندر نصرًا كبيرًا فى واقعة كيرونيه Chéronée التى ذاع فيها صيته فى جميــع الأمصار والأقطار .

---

(١) ويقول المؤرخ الالمانى فيلكن Ulrich Wilcken :

" On comprend du reste que Philippe, maitre en diplomatie, ait gardé pour lui et tenu secrets, autant que possible, tous ces projets et plans d'aveuir. Mais puisqu'il voulait les réaliser, il avait besoin d'une armée fortement préparée. Sans doute il sut obtenir beaucoup de choses, soit des Barbares, soit des Grecs, par la corruption, mais c'est à sa bonne épée qu'il doit le plus clair de sa réussite. Sa réorganisation de l'armée macédonienne est une oeuvre absolument géniale." P. 41

أهم ما اشتهر به فيليب تنظيم الجيش المقدونى وتدريبه على أحسن النظم الحربية وجعله فى أرفع مستوى ؛ وهو الذى ابتكر نظام الفيالق الكثيفة المعروفة باسم Phalange [1] وهو النظام الذى أخذه عنه كبار رجال الحرب مثل يوليوس قيصر ونابليون وعمل به أبنه اسكندر حتى قيل أن هذه الفيالق هى التى مهدت لاسكندر سبل انتصاره فى جميع حروبه مع الفرس ومع الهنود ومع غيرهم. قال المؤرخ الالمانى فيلكن :

"Phillppe est le premier créateur de la fameuse phalange macédonienne." P. 43 Wilken

وقال فى صحيفة ١٦ :

"C'est son illustre père, Philippe, qui a le plus fortement travaillé pour lui. Alexandre lui doit non seulement l'instrument de ses victoires, l'incomparable armée macédonienne, mais encore la liquidation de la question grecque par la création de la Ligue corinthienne et le projet d'une guerre de revanche de toute l'Hellade contre les Perses." P. 16

ثم زاد فقال :

"sans Philippe, qui est également une grande figure de l'histoire, nous ne pouvons pas concevoir Alexandre." P. 16

وختم بقوله :

"La phalange macédonienne fut l'instrument des victoires d'Alexandre."

وهذا النظام هو الذى عمل به أيضاً فردريك الثاني ملك بروسيا كما عمل به ويعمل به الى الآن رجال الحرب فى المانيا

وفيليب ايضاً هو الذى ابتكر نظام المربعات carré الذى أخذه عنه نابليون وطبقه فى

---

(١) كل فيلق يتألف من ١٦٫٠٠٠ مقاتل يحمل كل منهم سيفاً قصيراً وحربة . وكل فيلق مقسوم الى وحدات صغيرة كل وحدة منها لها واجهة من ٥٠ مقاتلا في عمق ١٥ وبهذه الكثافة تسير الفيالق كأنها قلاع متحركة :

"La phalange macédonienne au IV siècle av. J. C. se composait de 16,000 hommes armés d'une épée courte et d'une sarisse, et, elle était divisée en petites phalanges de 50 hommes de front sur 15 de profondeur."

واقعة الاهرام ضد المماليك. كما طبقه محمد على باشا فى حروبه مع الوهابيين فى جزيرة العرب

وفيليب ابتكر أيضاً أساليب حربية عدة فى فن حصار المدن والقلاع .

وفى هذا الصدد يقول فيلكن ايضاً :

" Dans l'art des sièges également, Philippe a fait époque. P. 43"

ولفيليب ايضاً فضل ابتكار النظرية التى توجب تحطيم قوة العدو تحطيما تاماً بلا شفقه ولا هوادة

قال فيلكن :

" En stratégie aussi, Philippe a opéré une révolution, car il fut le premier - à moins qu'on ne doive attribuer cette conception déjà à Epaminondas - à réaliser tout à fait consciemment la stratégie qui vise à la destruction complète de l'adversaire, la stratégie d'écrasement, comme l'appelle l'ouvrage classique de notre général von Clausewitz (De la Guerre)." P. 43 (1)

ولنبوغه فى الحرب وفى السياسة كثر منافسوه وكثر حساده وتعرضت حياته للخطار غير مرة .

— أنقذه ابنه اسكندر من الموت فى إحدى الوقائع التى حارب فيها فى شمال مقدونيا.

---

(١) سبب رجوعنا الى آراء المؤرخ الالماني فيلكن Wilcken هو ان فيلكن هذا من أكبر الثقات — أن لم يكن اكبرهم — في دراسة اوراق البردى الافريقية . وفى هذا يقول العالم السويسرى فيكتور مارتان Victor Martin ان فيلكن (هو العالم الوحيد في العالم كله الذي درس جميع اوراق البردي اليونانية التى نشرت حتى الآن ويزيد عددها على عشرة الآف)

(Mr. Wilcken est peut-être le seul savant au monde qui ait pris connaissance de tous les papyrus grecs publiés jusqu'ici et dont le nombre dépasse dix mille.)

ودراسة اوراق البردي صارت علما من العلوم الخاصة اسمه Papyrologie ويسمون علماء البردى papyrologues

وكلمة papyrus مشتقة من الكلمة اللاتينية papyrus ومن الكلمة اليونانية papuros .

والبردى نبات كان ينبت قديما على شواطىء النيل وفي مستنقعات الدلتا . وكان قدماء المصريين يستعملون اوراقه للكتابة عليها . وقد اندثر نبات البردي من القطر المصرى ولا ينبت الآن الا في بعض مناطق من ايطاليا وفى بلاد الجابون Gabon

ومن كلمة papyrus اشتقت كلمة papier الفرنساوية وكلمة paper الانجليزية وكلمة papier الالمانية

— وفى حصار مدينة أمفيبوليس Amphipolis صوّب أحد اعدائه سهماً أصاب عينه اليمنى ففقأها . وقد وجد منقوشاً على السهم الكلمة الآتية : (خذها يافيليب فى عينك اليمنى) .

— وكان من أشد أعدائه ديموستين Démosthène خطيب اليونان السلاّق الشهير . وقد خطب ضده خطباً كثيرة حماسية لاذاعة اشتهرت فى التاريخ وفى الأدب باسم فيليبيك Philippiques ولكن فيليب انتصر عليه .

— ونصبّته بلاد اليونان قائداً عاماً على جيوشها وفوّضت اليه محاربة الفرس وطردهم من جميع البلاد اليونانية ومن جميع المدن والثغور التى استعمرها مواطنوه الأغريق فى آسيا وفى أفريقيا .

— وعلاوة على نبوغه فى الحرب وفى السياسة كان محباً للعلوم والفنون . استدعى الى بيللا Pella عاصمة ملكه كثيراً من مهرة الصناع والفنانين الأغريق وطائفة كبيرة من الفلاسفة والعلماء والشعراء ليزين بهم بيالا

هذا هو أبو اسكندر الأكبر .وهو كما ترى عبقرى فى فن الحرب وفى السياسة لا يجاريه فى زمانه أحد . وقد صدق المؤرخ الألمانى فيلكن Wilken عند ما وصفه بكلمة جامعة مانعة قال فيها : أن فيليب من أعظم الملوك الذين ذكرهم التاريخ : —

" Philippe nous apparait comme l'un des plus grands souverains de l'histoire. P. 39."

أما ارسطاطاليس معلم اسكندر الأكبر فكان باجماع الآراء من أكبر فلاسفة الدهر قديماً وحديثاً

يقول العرب أن العصا من العصيّة . ومن شابه أباه فما ظلم . والولد سر أبيه [١] وحسب فيليب أن يكون أبا الاسكندر . وحسب الأسكندر أن يكون ابن

---

(١) واذا جاز لنا ان نستعير من فيكتور هوجو Victor Hugo شاعر فرنسا الاكبر قوله عن نابليون بونابرت :

" Déjà Napoléon perçait sous Bonaparte "

كان لنا ان نقول عن الاسكندر :

" Déjà Alexandre perçait sous Philippe !"

فيليب . وكما أن أرسطو فاق معلمه أفلاطون كذلك فاق اسكندر أباه فيليب . واذا كان فيليب انشأ مملكة فاسكندر أسس امبراطورية . واذا كانت فتوحات فيليب قصرت على أوروبا ففتوحات اسكندر شملت أوروبا وآسيا وأفريقيا . واذا كان فيليب قد غزا جمهوريات ودولا صغيرة فالأسكندر غزا عشرات الممالك منها مملكة الفرس وكانت تعد فى ذلك العهد أكبر وأوسع وأقوى وأغنى مملكة فى العالم .

وعلى هذا فاذا تجابّ الأب والابن فى العبقرية فعبقرية اسكندر تجبّ عبقرية فيليب مائة مرة أو تزيد .

غزوات حربية : حارب اسكندر قبل أن يستوى على عرش مقدونيا وانتصر . - بدأ حياته الحربية وعمره ١٧ سنة فانتصر فى واقعة كيرونيه Chéronée المشهورة وحارب بعد أن تولى الملك فانتصر . وكانت غزواته وفتوحاته سلسلة انتصارات فى بلاد اليونان وفى الاناضول وفى سوريا وفى فلسطين وفى مصر وفى العراق وفى بابل وفى بلاد فارس وفى بلاد أفغانستان وتركستان وداغستان و بلوشستان وفى بخارى وفى الهند الى أن وصل الى المحيط الهادى [١]. ومن غريب أمره أن فتوحاته وغزواته كانت سلسلة انتصارات قهر فيها أعداءه وخصومه ولم يقهره أحد [٢] Il portait la victoire là où il portait son épée كانت حياة اسكندر كلها توفيقات [٣] وقد آتاه الله من كل شىء سبباً منذ دبّ الى أن شبّ .

---

(١) تذكرنى وقفة الاسكندر على شاطىء المحيط الهادي بعد ان اجتاز كل هذه البلاد المترامية الاطراف بوقفة عقبة بن نافع على شاطىء المحيط الاطلسي في اقصى المغرب بعد ان اجتاز البلاد المترامية الاطراف فى شمال افريقيا اذ قال : (والله لو علمت وراءه ارضا لسرت غازيا فى سبيل الله) .

(٢) وشبيه بالاسكندر امنحت الاول فرعون مصر ورأس الاسرة الثانية عشرة . قال فى اخريات ايامه « اني لم اتراجع امام اعدائى من يوم ان ولدت . »

(٣) تذكرنى حياة اسكندر التى كانت كلها توفيقات بحياة يوسف الثاني Joseph II امبراطور النمسا (ابن الامبراطورة ماري تيريز Marie Thérèse) التى كانت مقرونة من بدايتها الي نهايتها بالخيبة والفشل سواء في حروبه او في سياسته حتى انه من فرط حزنه اوصى بأن يكتب على قبره (هذا قبر يوسف الذى كتب له الفشل فى جميع مشروعاته)

"Ci - git, Joseph . qui fut malheureux dans toutes ses entreprises"

لم تستطع اية قلعة أو اية مدينة لا ترام أن تصمد أمام قوته القاهرة . فلا صمدت مدينة سرت Sardes الحصينة . ولا صور Tyr الحصينة. ولا غزة Gaza الحصينة. ولا قلعة أرياماز Ariamaze . ولا قلعة خوريين Choriéne . ولا قلعة ماساجا Massaga حتى صح أن يقال فيه ما قيــل فى المارشال فوبان Vauban أكبر رجال الحرب فى عهد لويس الرابع عشر ملك فرنسا :

" Ville investie par Vauban, ville prise ; ville défendue par Vauban , ville imprenable. "

- واسكندر الأكبر هو الذى ابتدع الحرب الخاطفة وكان هذا سر فوزه فى كل غزواته وفتوحاته . أضرب لك مثلا واحداً على السرعة الخاطفة التى كانت سر انتصاره على ملوك وأمراء آسيا . لما شبت الثورة فى بلاد بخارى وحاصر الثوار الحامية المقدونية فى سمرقند أرسل اسكندر قوة كبيرة من جيشه لتشتيت القوة الايرانية وفك الحصار عن الحامية . رفع الحصار مؤقتاً ولـكن الايرانيين عادوا وهجموا على جنود القوة المقدونية وأبادوها عن آخرها . ثم ضربوا الحصار مرة ثانية على سمرقند وأسرع قائد القوة الايرانية وطلب نجدات من البلاد المجاورة . فلما علم الاسكندر بذلك وكان مرابطاً على نهر سرداريه خف فى الحال مسرعاً وقطع ٢٩٠ كيلو متراً فى ثلاثة أيام وبضع ساعات إلى أن وصل إلى سمرقند . وبمجرد ما علم قائد القوة الايرانيــة بقدومه هرب قبل أن يصل إليه المدد وقبل أن يتهيأ للقتال .

هذه السرعة الهائلة فى ضرب العدو قبل أن يستعد كانت دائماً سياسة الاسكندر فى جميع حروبه مع الأغريق ومع الفرس ومع الأفغان ومع الكرد ومع الهنود .

ولما أراد القبض على بسوس Bessus (الذى غدر بالملك دارا واغتاله) أنفذ بطليموس Ptolémée ليأتى له به حياً أو ميتاً وبطليموس قطع فى أربعة أيام مســيرة عشرة أيام وتمكن من القبض على بسوس وأتى به الى الاسكندر مكبلاً بالحديد .

وقد أخذ عنه هذا الضرب من فنون الحرب مشاهير قواد الرومان مثل يوليوس قيصر Jules César وبومبيه Pompée وأنطوان Antoine وأوكتاف Octave . كما أخذه عنه وعنهم فريدريك الثانى Fréderic II ملك بروسيــا وتورين Turenne وكونديه

Condé من مشاهير رجال الحرب فى فرنسا وأخذه عنهم جميعا نابليون بونابرت Napoléon وفى هذا الصدد يقول أحد حكام البلاد التى غزاها بونابرت في ايطاليا وصفا لسرعة زحف جنوده (الفرنساويون لا يمشون مشيا بل يركضون ركضا " les français ne marchent pas, ils courent ") ومن يطالع تاريخ نابليون يجده كان مغرماً بمطالعة الكتب التى وضعت فى حياة اسكندر الأكبر

وهذا الضرب من الحرب هو الذى حبذه واستعمله قواد الحرب فى المانيا وسموه الحرب الصاعقة Blitz Krieg

انتصر اسكندر فى جميع غزواته :

– على الرغم من أنه غاب عن وطنه – مقدونيا – عشر سنوات كاملة . جاس فى خلالها بلاداً واسعة فى أوروبا وفى أفريقيا وفى آسيا وقطع زهاء ٢٤٫٠٠٠ كيلو متر . واجتاز سهولا فسيحة واودية عميقة وجبالا شاهقة وفيافى وفلاة جرداء لا زاد فيها ولا ماء ولا دار ولا ديار . مثل صحارى ليبيا بين مرسى مطروح وسيوه . وبين سيوه وممفيس ويبلغ طولها ٦٠٠ كيلو متر وزيادة . ومثل فيافى بلوشستان التى اضطر فيها هو وجنوده الى ذبح الخيول والبغال وأكلها . وكثيراً ما بات هو وجنده على الطوى . وباتوا فى الفلوات بين ريح صرّ وليل قرّ ومرض قتال ومطر هطال. اذ نزل عليه وعلى جنوده فى الهند مطر لا يغضغض استمر ٧٠ يوماً .

– ومع أن عمره لم يطل أكثر من ٣٣ سنة[1] ومدة حكمه لم تزد على ١٤ سنة[2]. منها عشر سنوات أسس فيها أكبر امبراطورية عرفها التاريخ لا تغيب عنها الشمس

(١) لم يبدأ المسيح نشر دعوته الا بعد ما بلغت سنه ٣٣ سنة . والنبي (ص) بدأ رسالته وسنه ٤٠ سنة .

(٢) ولمناسبة الكلام على عمر اسكندر ومدة حكمه نقول :

— عاش بيبي الاول Pépi I من اسرة الفراعنة الرابعة مائة سنة ونيفاً وحكم ٩٤ سنة.
— وعاش لويس الرابع عشر Louis XIV ملك فرنسا ٧٧ سنة وحكم ٧٢ سنة .
— وعاش فرنسوا جوزيف Francois Joseph امبراطور النمسا والمجر ٨٦ سنة وحكم ٦٨ سنة .
— وعاش رمسيس الثانى Ramsès II فرعون مصر ٨٠ سنة وحكم ٦٧ سنة .
— وعاش اوكتاف الذى صار فيما بعد الامبراطور اغسطس ٦٧ سنة وحكم ٤٤ سنة.
— وعاشت الملكة فيكتوريا la reine Victoria ٨٢ سنة وحكمت ٦٤ سنة .

تمتد من الهند وافغانستان شرقاً الى مقدونيا وصحارى ليبيا غرباً. ومن مصب نهر الدانوب شمالاً الى مصب نهر النيل جنوباً[1]. وكان هو بنفسه يدير دفة سفينة هذه الامبراطورية

— وعاش جورج الثالث ملك انجلترا ٨٢ سنة وحكم ٦٠ سنة
— وحكم مينا الاول رأس اسرة الفراعنة الاولى ٦٠ سنة .
— وعاش فيليب اوجست ملك فرنسا Philippe Auguste ٥٧ سنة وحكم ٤٣ سنة
— وهنرى الرابع من ملوك المانيا Dynastie franconienne حكم ٦٠ سنة
— وادوارد الثالث من ملوك انجلترا حكم ٥٠ سنة (من سنة ١٣٢٧ الى سنة ١٣٧٧)
— والامير اورخان بن الامير عثمان (مؤسس سلطنة آل عثمان) عاش ٧٥ سنة وحكم ٤٠ سنة
— وشارلمان Charlemagne عاش ٧٠ سنة وحكم ٤٦ سنة
— والامبراطور جوستينيان Justinien عاش ٨٧ سنة وحكم ٣٨ سنة .
— والامبراطور فريدريك الثالث النمساوى Fréderic III حكم ٥٣ سنة (من سنة ١٤٤٠ الى سنة ١٤٩٣)
— وبطرس الاكبر قيصر روسيا عاش ٥٣ سنة وحكم ٣٦ سنة
— وعاش تيمورلانك Tamerlan ٧١ سنة وحكم ٣٦ سنة .
— وعاش السلطان سليمان القانوني ٧١ سنة وحكم ٤٦ سنة
— وعاش جنكزخان Gengiskhan ٧٢ سنة وحكم ٢٥ سنة .
— وعاش السلطان عبد الحميد ٧٦ سنة وحكم ٤٢ سنة
— وعاش محمد على باشا ٧٩ سنة وحكم ٤٣ سنة .

ولما كان الشيء بالشيء يذكر نقول ان من الغريب ان يعمر رمسيس الثانى ٨٥ سنة مع انه اسرف في الزواج اسرافا لم يرو التاريخ مثله. اذ انه تزوج نساء كثيرات رزق منهن ١٦٢ ولدا وبنتا . منهم ١١١ ذكراً و ٥١ بنتاً واغرب من ذلك انه تزوج ثلاثا من اخواته وثلاثا من بناته . اما اخواته فهن : نوفرى تارى Nofritari وايزيت نوفريت Isit Nofrit وهنت مارى Hentmaré وبناته هن : بانوت انت Banout-ant وميريت آمون Mirit-amon ونبيت تاوي Nibit-taoui

ومثله فى كثرة النسل السلطان سليمان الثانى القانوني فانه على الرغم من حروبه الكثيرة التى بلغ عددها ١٤ — قد خلف ١٢٠ ولداً — ذكراً وأنثى — وقد تصادف انه كان لديه في وقت واحد ٤٠ رضيعاً .

ومثلهما تيمور لنك فانه ترك ٥٣ ولداً — ذكراً وأنثى — عدا من مات من أولاده وبناته في حياته وهم كثر

(١) وجنكزخان كان — مثل الاسكندر — من اكبر الغزاة . اذ غزا ثلاثة ارباع آسيا مع ان حكمه لم يطل اكثر من ٢٥ سنة (وجنكز كلمة موغولية معناها : الاكبر وخان معناها : ملك او امير او قائد) . وقبل وفاة جنكزخان وزع امبراطوريته على اولاده . وكانت

لواسعــة . ولا يدرى إلاّ الله ما ذا تكون سعة هذه الامبراطورية لو عمّر الاسكندر عشر سنوات أخرى .

— ولم يقتد بغيره من الملوك الذين كانوا ينزوون فى عقر دارهم وينفذون قوادهم ليتولوا قيادة الجيوش . بل تولى هو نفسه قيادة جيوشه وحارب بنفسه كنفر بسيط . وكثيراً ما القى بنفسه فى ساحة الوغى وعرّض نفسه للخطر والموت . ألم يلتحم بمتريدات Mithridate — صهر دارا وأحد قواده — فى واقعة الجرانيك ؟ إذ ترجل متريدات وهجم على الاسكندر ليقتله فأسرع الاسكندر وضربه بسيفه ضربة ألقته على الارض صريعاً . ولما رأى أخو متريدات ما حل بأخيه صال على الاسكندر وضربه ببلطة أصابت خوذته وشطرتها شطرين ، فتلقى الاسكندر الضربة بقلب جرىء ثم صال على الرجل وطعنه طعنة نجلاء خرّ منها ميتاً . ولما رأى أمير ليديا — من أتباع دارا — ما حلّ بزميليه رفع سيفه ليضرب الاسكندر إلا أن كليتوس الأسود — أحد ضباط اسكندر — أسرع وضرب أمير ليديا ضربة أطارت عظامه فضاضا . وكاد الاسكندر يلاقى حتفه أيضاً أمام مدينة غزة عند ما همّ اعرابى من أتباع باتيس Battis بطعن الاسكندر بسكين فانثنى الاسكندر وانحنى وطاشت طعنة الاعرابى ثم اسرع الاسكندر وطعن الاعرابى طعنة ألقته على الارض قتيلاً . ولم يكد الاسكندر ينجو من طعنة الاعرابى حتى أصابه فى كتفه شواظ من نار جرحه جرحاً بليغاً . وفى واقعة اربل تولى الاسكندر قيادة الفيلق الذى صوّبه نحو دارا فلما رآه دارا فرّ من الميدان وترك جنوده أشتاتاً ، وفى احدى الوقائع التى قاتل فيها اسكندر ملوك الهند كاد يلقى منيته إذ أراد أن يبثّ الحماسة فى روح جنده فتسلق سلماً وصعد على جدار حصن ثم نادى جنده قائلا هلموا

امبراطوريته تمتد من شواطىء البحر الاسود الى المحيط الهادى ومن شمال آسيا الى نهر السند. فاعطى ابنه اوكتاى Octai بلاد المغول وشمال الصين وجزءاً من سيبيريا وجميع البلاد الواقعة على شاطىء المحيط . ونال ابنه طولى Tuli بلاد العجم وخراسان والهندستان . واصاب ابنه الثالث زاجاتاي Zagatai تركستان وبخارى وسمرقند وجوكند وخود جند اى جميع البلاد الواقعة بين نهري سيحون وجيحون . وترك لابن ابنه باطوم Batoum باقى امبراطوريته اى انه ترك له ما كان يؤول الى ابيه لو كان حيا .

الى-(١) ثم ألقى بنفسه فى داخل الحصن . فلما رآه الهنود عرفوا من لباسه أنه الاسكندر فانهالوا عليه ضرباً وطعناً وأصابته طعنة فى صدره فخر على الارض بلا حراك . فلما رآه

(١) أروى لك اربع حوادث تشبه حادثة تسلق اسكندر أسوار القلعة وسقوطه ومسارعة جنده لا نقاذه

— في خلال سنة ١٧٩٣ هبت ثورة في بلاد فانديه Vendée (في غرب فرنسا) وكان بين رجال الثورة هنرى Henri de la Rochejaquelein فلما شدد جنود حكومة باريس الخناق على الثوار اشرأب من بينهم هنرى هذا وتقدم الثوار وصاح فيهم :-

" Si j'avance, suivez-moi ; si je recule, tuez-moi ; si je meurs vengez-moi "

فتبعوه وأنقذوه ونصروه

— والثانية - كان ذلك في نوفبر سنة ١٧٩٦ - قبل أن يصبح الجنرال بونابرت Bonaparte الامبراطور نابليون Napoléon - أراد الفرنساويون أن يستولوا على كوبري اركول Pont d'Arcole فصدهم النمساويون. جددوا الهجوم فتجدّد صدّهم . اغتاظ بونابرت فخطف العلم الفرنساوي ولوح به على جنده ودخل الكوبرى وحده فلما رآه الجند تبعوه ، وما كادوا يصلون الى آخر الكوبرى حتى صال عليهم النمساويون وأعملوا فيهم السيف والنار. فتقهقر الفرنساويون بغير نظام وسقط بونابرت في أرض كلها أوحال و بمجرد ما رآه النمساويون قد سقط أسرعوا الى الاحاطة به للقبض عليه فلما رأى الجند ان قائدهم قد سقط صاحوا كلهم هلموا ننقذ قائدنا ثم هبوا كالبرق الخاطف ، وصالوا على النمساويين وشتتوا شملهم وانقذوا بونابرت وانتهت الملحمة بنصر مبين

ولا يفوتنا هنا ان نروى حادثة وقعت لبونابرت فى هذه الوقعة كان لها اثر بليغ فى حياته. ذلك انه فى اثناء ما كانت المدافع النمساوية تحصد الفرنساويين حصداً كان بونابرت في مقدمة من كانت حياتهم فى خطر . وفي اثناء المعمعة راى شاب من ياورانه - هو الكولونيل مويرون le colonel Muiron - النمساويين يصوبون نارهم نحو بونابرت فأسرع وحال بجسمه دون نارهم وتلقى قذيفة كانت موجهة الى بونابرت اردته قتيلا . حفظ بونابرت لهذا الشاب جميله طول حياته. ولتخليد ذكراه اطلق اسمه على احدى السفن الحربية الفرنساوية . وعندما وقع نابليون في اسر الانجليز وركب السفينة الحربية الانجليزية بلروفون Bellérophon ترك اسمه الضخم « نابليون » ولقبه الضخم « الامبراطور » وسمى نفسه « الكولونيل مويرون » ليجدد دائماً في نفسه ذكرى هذا الشاب البطل الذى افتداه بحياته .

— والثالثة . حدث انه في خلال سنة ١٨٠٩ نشبت حرب ضروس بين جيوش نابليون وجيوش النمسا —وكانت تحت قيادة الارشيدوق شارل Charles —حول مدينة راتزبون Ratisbonne فيها جرح نابليون في رجله فتقدم المارشال لان Lannes واراد ان يتسلق اسوار المدينة . إلا ان الجند ترددوا في متابعته فأخذ المارشال «لان» سلماً ووضعه على السور وصاح على الجند سأريكم ان مارشالكم لا يزال جندياً والقى بنفسه داخل اسوار المدينة . فلما

جنده قد سقط دبت فيهم روح الحماسة والانتقام فنزلوا وهجموا على الهنود واعملوا فيهم السيف والنار الى أن أفنوهم على بكرة أبيهم ثم حملوا الاسكندر وأخرجوا الرمح من صدره وعالجوه الى أن شفي . وفى مناوشات عنيفة فى بلاد الهند أنقذه بطايموس من الموت عند ما خاطر الاسكندر بنفسه لمنازلة الهنود .

— ولبراعته فى الفنون الحربية انتخبته بلاد اليونان قائداً عاماً على الجيوش كلها خلفاً لأبيه فيليب.

رآه الضباط والجنود سارعوا الى اللحاق به . فتسلقوا الاسوار واستولوا على المدينة واسروا ٨٠٠٠ جندي نمساوي . وبهذه الجراة انتصر الفرنساويون على النمساويين انتصاراً مبينا ثم زحفوا ودخلوا فينا Vienne عاصمة النمسا في ١٢ مايو سنة ١٨٠٩

ومن طريف ما يرويه المؤرخون عن حادثة من قبيل هذه الحوادث أنه فى خلال القرن الثانى عشر نشب قتال بين لويس السادس Louis VI le Gros ملك فرنسا وبين هنري الاول ملك انجلترا . وفي أثناء الملحمة وقع نظر جندى انجليزي على ملك فرنسا فهجم عليه وأمسك بلجام حصانه وصاح « أخذنا الملك أخذنا الملك » " le roi est pris! le roi est pris " فأجابه الملك على الفور « ان كنت تعرف لعبة الشطرنج لعرفت ان الملك لا يؤخذ ابدا . الملك يكش او يموت ». " si tu savais jouer aux échecs, tu saurais que le roi ne se prend pas" ثم رفع سيفه وهوى به على رأس الجندى فتركه شفعا وقبلها كان وترا .

الرابعة — الحادثة الرابعة مستقاة من تاريخ العرب فى غزوة أحد . اذ انه لما قتل أشراف قريش ببدر وأصيبوا بمصيبة لم يصابوا بمثلها وراس فيهم أبو سفيان بن حرب لذهاب أكابرهم أخذ يؤلب على النبي وعلى المسلمين فجمع قريبا من ثلاثة آلاف من قريش ثم أقبل بهم نحو المدينة فنزل قريبا من جبل أحد بمكان يقال له عينين . التحم الفريقان المسلمون والمشركون وكانت الدولة أول نهار للمسلمين على الكفار وولى الكفار مدبرين . فلما رأى رماة المسلمين هزيمة المشركين تركوا مركزهم الذى أمرهم النبي بحفظه وقالوا يا قوم الغنيمة الغنيمة فذكرهم أميرهم عهد النبي فلم يسمعوا وظنوا أن ليس للمشركين رجعة فذهبوا في طلب الغنيمة وأخلوا الثغر وكر فرسان المشركين فوجدوا الثغر خاليا قد خلا من الرماة فجازوا منه وتمكنوا حتى أقبل آخرهم فأحاطوا بالمسلمين وقاتلوهم فجرحوا وجه النبي وكسروا رباعيته اليمنى وهشموا البيضة على رأسه ورموه بالحجارة حتي وقع لشقه وسقط في حفرة من الحفر التى كان أبو عامر الفاسق يكيد بها المسلمين فجحشت ركبتاه وشج فى جبهته وأدميت شفتاه ودميت وجنتاه وسال الدم من شجته التى فى جبهته حتى أخضل الدم لحيته وأدركه المشركون يريدون قتله فخالدونه نفر من المسلمين حتى قتلوا ثم جالدهم طلحة حتى أجهضهم عنه وترس أبو دجانه بظهره عليه والنبل يقع فيه وهو يتحرك وصرخ أحد المشركين بأعلى صوته قتل محمد قتل محمد ووقع ذلك في قلوب كثير من المسلمين وفر أكثرهم . بعد ذلك تكاثر المسلمون واعملوا السيف في المشركين الى أن قتلوا منهم خلقا كثيراً وانتصروا عليهم انتصاراً مبينا .

هذه شواهد على أن الاسكندر كان يشترك فى القتال بنفسه اشتراكاً فعلياً مع قواده ومع جنوده

فكان بعقله يضع الخطط الاستراتيجية والتكتيكية بصفته القائد الأعلى وبجسمه يشترك فى القتال والنزال مثل اصغر نفر فى الجيش

فتوحات علمية

وقد طبع اسكندر غزاوته الحربية بطابع علمى . إذ أن ارسطاطاليس لبث يعلمه ويربيه ثلاث سنوات كاملة فلقنه الأدب اليونانى وعلمه الفلسفة والتاريخ ومبادىء الطب. فحفظ الاسكندر كثيراً من الشعر اليونانى ولا سيما الالياذة المشهورة . ولما أشرب حب الأدب والعلم والفلسفة والطب اتسع أفق تفكيره وزاد حبه للاستطلاع والاستكشاف .

– لذا تراه قبل محاربة الفرس قد عكف على درس تاريخ الفرس وآدابهم وعلومهم وطباعهم وأخلاقهم ودياناتهم وجغرافية بلادهم. وكان كلما قابل سفيراً أو رسولا أو سائحاً من الفرس يستدرجه الى التحدث اليه عن بلاد فارس وعن نظمها السياسية والادارية والمالية والحربية . وبهذه الوسيلة عرف كل ما يهم قائد حربى أن يعرفه عن البلاد التى ينوى غزوها .

– وتراه أيضاً قد ضمّ إلى الجيش الذى اعدّه لغزو بلاد الفرس وافتتح البلاد الأخرى جمهرة من الفلاسفة ومن العلماء ومن المؤرخين ومن الشعراء ومن المهندسين ومن الفنانين ومن الصنّاع لدرس البلاد التى نوى غزوها وفتحها ودرس طبيعة أراضيها وسهولها وجبالها وأنهارها وأستكشاف أحوالها الزراعية والتجارية والاقتصادية والصناعية والعلمية . وناط باثنين من المؤرخين تدوين تاريخ حروبه وغزواته . وقد اقتدى به بعد ۲٫۱۰۰ سنة نابليون بونابرت عند ما غزا مصر فى يوليه سنة ۱۷۹۸

– استخدم هؤلاء المهندسين والفنانين فى تأسيس اسكندرية مصر كما استخدمهم

فى تأسيس مدن كثيرة أخرى فى أوروبا وفى أفريقيا وفى آسيا سماها كلها باسمه [1] .

---

(١) لم يؤسس ملك مدناً بمقدار ما أسست كاتارينه الثانيـة امبراطورة روسيا Catherine II . فى مدة الاربعة والثلاثين سنة التى تولت فيها الحكم (من سنة ١٧٦٢ الى سنة ١٧٩٢) اسست وبنت وشيدت ٢٠٠ مدينة أطلقت اسمها على معظمها منها : Ekaterinebourg و Ekaterinoslav و . . . و . . . والمدينة الاولى هي التى قتل فيها البلشفيك القيصر نيقولا الثانى وزوجتـه وأولاده فى ليلة ١٦ يوليه سنة ١٩١٨ عقب انهيار روسيا فى الحرب العالمية الكبرى (سنة ١٩١٤ — ١٩١٨)

هذا وقد وضع العلماء لاصل تسمية البلاد والمدن علماً سموه توبونيمى Toponymie يعرّف سبب تسمية البلاد والمدن كما يبين مصدر اشتقاق الاسماء اما من طبيعة الارض أو من ديانة السكان أو من صناعتهم أو من اسم مؤسسها أو من اسم مكتشفها او من موقعها . وما ابلغ ما قاله احد العلماء فى وصف هذا العلم بأنه :

"C'est toute l'histoire d'une contrée qui revit dans l'histoire d'un mot"

— خذ مثلا قارة امريكا فانها سميت باسم مكتشفها امريك Amérie الذي كشف هذه البلاد فى سنة ١٤٩٧ قبل ان يصل اليها كريستوف كولومب Christophe Colomb بسنة

— وولاية فرجنيا Virginie (من ضمن الولايات المتحدة بأميركا) سميت بهـذا الاسم تيمنا باسم Elisabeth ملكة انجلترا التى كانوا يسمونها La Reine-Vierge وهى التى عاش فى عصرها وليم شكسبير شاعر انجلترا الاكبر (فى القرن السادس عشر)

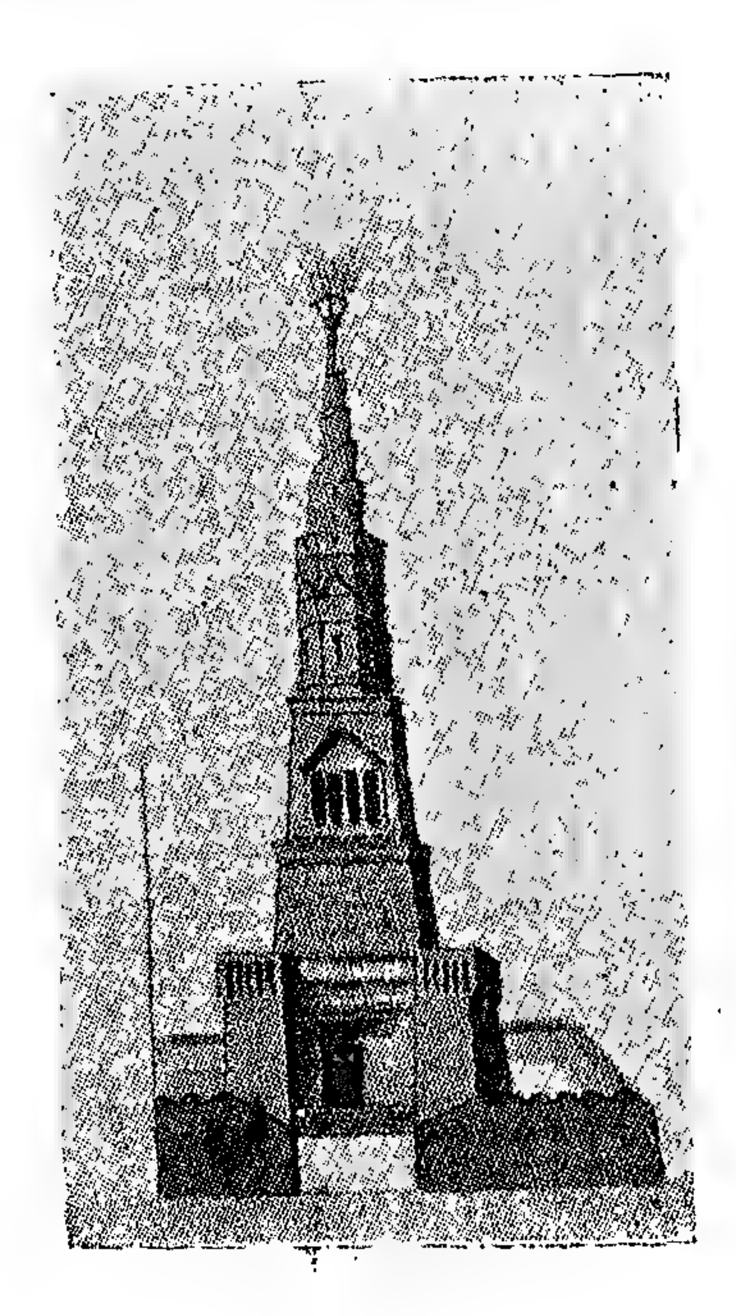
— وولاية لويزيان Louisiane (من الولايات المتحدة بامريكا) اكتشفها الفرنساويون فى النصف الاخير من القرن السابع عشر وسموها باسم لويز الرابع عشر Louis XIV ملك فرنسا. وصارت من مستعمرات فرنسا ثم اشترتها الولايات المتحدة الامريكية من بونابرت Bonaparte فى سنة ١٨٠٣

— وروديسيا Rhodesia سميت باسم سسل رود Cecil Rhodes وكان الحاكم بامره فى جنوب افريقيـا غزاها من البوير Boers ثم ضمتها انجلترا الى املاكهـا فى سنة ١٩٠٠ وسسل رود هذا هو الذى سموه (نابليون الكاب le Napoléon du Cap) كما سموه «المارد رود le Colosse Rhodes» .

— وجمهورية بوليفيا Bolivie كانت فى الاصل جزءاً من بلاد بيرو Pérou وكانت من املاك اسبانيا ثم شبت ثورة تزعمها الجنرال بوليفار Bolivar عاونه فيها الجنرال سكر Sucre ولما هزما الجيش الاسبانى اعلنا استقلال جزءاً كبيراً من بلاد البيرو وسموه بوليفيا على اسم الجنرال بوليفار ثم اتخذوا عاصمة لبوليفيا سموها «سكر» باسم الجنرال سكر Sucre .

— ومدينة روما Rome اسمها مشتق من اسم مؤسسيها رومولوس Romulus وتوأمه Rémus

— ومدينة «قيصريه Césarée» اسمها مشتق من اسم يوليوس قيصر Jules César اذ فيهـا انتصر يوليوس قيصر على فارناس Pharnace ملك البسفور . وهـذا النصر مشهور بالكلمات الثلاثة التى أرسلها يوليوس قيصر الى أصـدقائه فى روما والى كليوباتره فى مصر وبهـا أنبأهم بخبر انتصاره السريع على عدوّه حيث قال وصلت ورأيت وانتصرت "Veni, vidi, vici"



فنار الاسكندرية
نقلا عن مدالية صنعت فى عهد بطليموس الثانى
والفنار من صنع « سوستراتSostrate »
المهندس المعمارى

وروى المؤرخ ليبانيوس Libanius أن الأسكندر هو الذى وضع أسس مدينة انطاكية (١) - وقد أحصى أحد المؤرخين عدد المدن التى أسمها اسكندر وسمّاها باسمه فوجدها ٢٠ مدينة فى أوربا وفى آسيا (٢) وفى أفريقيا . وكانت آية آياته اسكندرية مصر التى تبوأت فى عهد بطليموس الأول وبطليموس الثانى وبطليموس الثالث المقام

كان اسم المدينة من قبل « ماجاك » الا انه فى عهد الامبراطور تيبير Tibère استبدلوا اسمها القديم وسموها قيصريه Césarée تخليداً لذكرى يوليوس قيصر .

— وهليوبوليس معناها (مدينة الشمس) والفسطاط (محل الفسطاط الذى كان العرب قد نصبوه في مصر القاهرة قبل زحفهم على الاسكندرية)

— ومدينة نينوى Ninive من اسم مؤسسها الملك نينوس Ninus

— وجبل طارق نسبة الى طارق بن زياد .

(١) قام خلاف في اصل تسمية اسكندرونه Alexandrette وها ما دونه احد المؤرخين في كتاب (سوريا القديمة والحديثة)

" La ville d'Alexandrette est sur l'emplacement même du camp d'Alexandre et de Cyrus, c'est l'endroit qu'avait désigné Alexandre pour construire la ville qui depuis fut appelée Alexandria-cataisson à cause de sa situation V. P. 24. Syrie ancienne et moderne. par Jean Yanosky.

(٢) قال فولتير Voltaire فى قاموسه الفلسفي شرحا وتعليقا على كلمة (الاسكندرية) ما يأتى :

" Plus de vingt villes portent le nom d'Alexandrie, toutes bâties par Alexandre et par ses capitaines, qui devinrent autant de rois. Ces villes sont autant de monuments de gloire, bien supérieurs aux statues que la servitude érigea depuis au pouvoir, mais la seule de ces villes qui ait attiré l'attention de tout l'hémisphère, par sa grandeur et ses richesses, est celle qui devint la capitale de l'Egypte "

"La ville fut toujours très florissante sous les Ptolémées et sous les Romains. Elle ne dégénéra point sous les Arabes; les Mamelucks et les Turcs, qui la conquirent tour à tour avec le reste de l'Egypte, ne la laissèrent point dépérir. Les Turcs même lui conservèrent ses restes de grandeur; elle ne tomba que lorsque le passage du Cap de Bonne-Espérance ouvrit à l'Europe le chemin de l'Inde, et changea le commerce du monde, qu'Alexandre avait changé et qui avait changé plusieurs fois avant Alexandre : — V Alexandrie. Dictionnaire philosophique."

ولم يكتف الاسكندر باطلاق اسمه على المدن فاطلق اسم حصانه بوسيفال Bucéphale على مدينة اسمها فى الهند عند ما قتل الحصان في احدى المعارك.ولعل الامبراطور الرومانى

الاول بين مدن الشرق والغرب وكانت مثابة العلوم والفنون والآداب ومركز التجارة والصناعة في العالم . (١)

كاليجولا Caligula اقتدى بالاسكندر عند ما رقى حصانه Incitatus الى رتبة «قنصل» Consul ولله في خلقه شؤون .

ولمناسبة الكلام على اطلاق أسماء المؤسسين والمكتشفين على القارات والولايات والمدن تخليداً لذكراهم نقول أن فكرة تخليد أو تشريف جلائل الأعمال امتدت الى المدن أيضا . فمدينة فردون Verdun مثلا لها تاريخ مجيد في الدفاع . في خلال سنة ١٧٩٢ أبان الثورة الفرنساوية قاومت مدينة فردون العدو مقاومة عنيفة جداً حتى انه لما طلب منها التسليم رفضت وفضل قائدها القومندان بوربير Baurepaire الانتحار على التسليم . وفي حرب سنة ١٩٧٠ قاومت الالمان مقاومة عنيفة جداً أيضا استحقت عليها تقدير الوطن فجاءت حكومة الدفاع الوطني وأرادت تخليد ذكرى دفاعها وما بذله أهاليها من الضحايا فاصدرت أمراً عاليا أعانت فيه ان هذه المدينة « تستحق تقدير الوطن » وأطلقت اسمها على أحد شوارع مدينة باريس الكبيرة . وفي الحرب العالمية الكبرى الماضية صمدت للالمان مدة عشرة شهور صمودا سهل للفرنساويين ولحلفائهم الانتصار على الالمان . دافعت دفاعا مجيداً حتى قتل فيها زهاء ٤٠٠,٠٠٠ جندى فرنساوى و ٤٠٠,٠٠٠ جندى المانى وكانت ستة آلاف مدفع تدوي فى أرجائها من الجانبين ومع ذلك عجز الالمان عن الاستيلاء عليها . سمعت محاضرة القاها الكاتب الفرنساوى الشهير روبيردى فلير Robert de Flers عندما كنت أصطاف فى مدينة فيتيل Vittel أشار فيها الى دفاع مدينة فردون هذه وعدد الفرنساويين الذين راحوا ضحية الدفاع عنها في سنة ١٩١٦ فقال : (غداً عندما يوضع معجم بلدان فرنسا يكتبون عن فردون هذه انها « مدينة فرنساوية عدد سكانها ١٠٠,٠٠٠ وعدد قتلاها ٤٠٠,٠٠٠) وقد زرتها في صيف سنة ١٩٢١ وزرت استحكاماتها كما زرت القلعتين الشهيرتين دوومون Fort Douaumont وفو Fort Vaux فراعني ما رأيته فيها من اثار الدمار والخراب .

(١) وبهذا المعنى ايضا ما ورد في الخطب التي القيت في المؤتمر الطبي الرابع عشر الذى عقد فى ثغر الاسكندرية فى شهر ديسمبر سنة ١٩٤٢ ونشرت بجريدة الاهرام فى عدد ١٨ ديسمبر سنة ١٩٤٢

ورد في خطبة احمد كامل باشا مدير بلدية الاسكندرية :

« ان الاسكندرية ثغر مصر الباسم ، الذى لا يدانيه ثغر في الاقطار والذى يضرب بامفى السهام في القديم والحديث والذى تحاكي عظمته في عهد بطليموس عظمته في عهد فاروق .

« وكيف لاترحب الاسكندرية بمؤتمر الطب وهى صاحبة الفضل على الطب منذ توفر عليه من ابنائها في العصور الاولى رجال افذاذ امثال هيروفيل وابراز سترات وسواهم ممن استظهروا مكنون الحقائق فى الفيزيولوجيا والتشريح والجراحة وامراض النساء وعلم الكيمياء وغير ذلك من فروع الطب ، والفوا فيها وصنفوا واستودعوا من كل ذلك مكتبة الاسكندرية ذخرا لايفنى واثرا لم تستطع القرون له محوا . تلك الاسكندرية التى ما كاد ينقرض فيها القديم حتى كانت قد استودعت طبها وحكمتها علماء العرب والفرس والسريان . »

وفي خطاب الدكتور على باشا ابراهيم :

« واخيرا واخيرا جداً ، وبعد قرابة الفين وثلاثمائة عام انتزعت الاسكندرية مجدها المسلوب ،

وأخته Tessalonice أسست مدينة على البحر سمتها باسمها Tessalonique وهى « سالونيك » ، و بعد ما انتزعها اليونان من الترك ردوا اليها اسمها الاصلى تسالونيكا

– وارسل بعثة علمية إلى بلاد السودان لكشف منابع النيـل ودرس أسباب فيضانه وتحاريقه . سافرت البعثة وعادت وأخبرت بأن سبب فيضان النيل هطول أمطار غزيرة فى بلاد الحبشـة . وكان الأغريق وغيرهم يجهلون سر هذه الظاهرة الطبيعية .

– واستعان بهم أيضاً لتخطيط وحفر ترعة الاسكندرية ليوصل اليها الماء من النيل

– واستخدمهم لتشييد وتعمير وترميم مدن كثيرة فى بلاد الأناضول وفى سوريا وفى فلسطين وفى مصر وفى فارس وفى بابل وفى بلاد الهنـد . واستخدم فى هذه الأعمال الأسارى والسبايا لأن اسكندر كان بنَّاءً بسليقته (١)

واغتصبت من يد الدهر عزها المغصوب . فلقد نازعت همة « بطليموس » نفسه الى ان يؤسس فيها الجامعة (Muséum) في سنة ٣٠٤ قبـل الميلاد فدعا بدمتريوس فاليروس من اتباع ارسطاطاليس، ليقوم على بناء مؤسسة مثل مؤسسة اثينا . على ان المؤسسة الجديدة برعت نموذجها فى الحجم والفن جميعا ، اذ كان المشرفون عليها والباسطون ايديهم بالانفاق عليها هم البطالسة انفسهم . وناهيكم بالبطالسة اذا جردوا العناية ، ولم يألوا فى البذل جهدا ! »

وفي خطاب الدكتور نجيب باشا محفوظ

« هذه المدينة التي كانت في عهد البطالسة مهد الفلسفة والعلوم والاداب والطب .

« كل هذه المزايا الطبيعية استخدمت لاقصي حد بحكام مصر من بطليموس سوتر (٣٢٣ — ٢٨٥) فقلاديلفوس (من ٢٨٥ — ٢٤٧) فيورجيتيس من (٢٤٧ — ٢٢٢) . فاولهم بدأ يجمع حوله طائفة من مشاهير الفلاسفة والكتاب واوهبهم الطمانينة ورغدا من العيش وسهل لهم القيام بابحاثهم . ثم بوحى من صديقه ديمتريوس الفيلسوف العظيم والسياسى الكبير ، وضع اساس مكتبة الاسكندرية

« اما مدرسه الطب بالذات فقد انشئت بالاسكندريه عام ٣٢٢ قبل الميلاد وكان أول وأعظم اساتذتها هيروفيلوس وايرا زيزتراس ، وكان اولهما البادىء بتشريح جسم الانسان علانية »

(١) — ينطبق عليه قول لامارتين Lamartine فى السلطان محمد الاول :

"Il eut, comme Louis XIV, l'instinct des monuments, cette postérité en reliet que les hommes de gloire aiment à laisser sur la terre après eux comme une perpétuité de leur nom. ". V. Histoire de la Turquie par Lamartine. P. 419. T. 2.

ومثلهما امينوفيس الثالث فرعون مصر فانه ملأ بلاد مصر من منف الى السودان آثارا

- وانتهز فرصة وجوده فى البلاد الواقعة على مقربة من بحر قزوين (بحر الخزر) وأرسل بعثة عسكرية علمية لدرس طبيعة بحر قزوين وطبيعة الأراضى المحيطة به ليتحقق إن كان هذا البحر متصلاً بالمحيط أو هو بحر قائم بنفسه فى وسط البلاد المحيطة به .

— واتخذ غزو الهند ذريعة لدرس جغرافية هذه البلاد ودرس نباتاتها وحيواناتها وديانانها وعاداتها وكل ما يهم العلم معرفته عنها .

- وجرّد تجريدة علمية عسكرية أخرى لتحقيق مجرى نهر السند وتخطيط هذه البلاد النائية . وسار هو بأسطوله ومعه ٩٠٠٠٠ مقاتل فاجتاز نهر السند الى ان وصل الى المحيط الهندى . وفى رحلته هذه رأى لأول مرة ظاهرة المد والجز . ووفق العلماء الذين استصحبهم معه الى درس طبيعة اراضى هذه البلاد وكشف مافيها من معادن - ذهب وفضة وملح - ونباتات وحيوانات

- وناط بالاميرال نيارك استكشاف شواطىء الهند وما يليها من البلاد غرباً فطاف نيارك بأسطوله سواحل الخليج الفارسى ووصل الى مصب نهر الفرات .

- وارسل بعثة بحرية علمية أولى وصلت الى جزائر البحرين فى الخليج الفارسى ولكنها لم تحقق آماله . فأرسل بعثة ثانية وصلت الى جزائر البحرين أيضاً وعادت مثل الرحلة السابقة دون ان تحقق آماله . فارسل بعثة ثالثة أمرها بأن تسير إلى مدينة السويس ولكنها لم تصل إلى نصف الطريق . ثم أرسل بعثة رابعة وصلت إلى باب المندب ثم نفد ماؤها فعادت . (١)

كثيرة : معابد وهياكل ومسلات ومصاطب وغيرها . وهو الذى بنى معبد الاقصر واقام تماثيل ممنون les Colosses de Memnon . ولذا سماه المؤرخون le Batisseur

ومثلهم الامبراطور جوستينيان Justinien فانه اسس مدناً كثيرة وشيد معابد ومعاهد عديدة . (ومنها كنيسة اياصوفيا باستانبول التى صارت جامعاً بعد استيلاء السلطان محمد الفاتح على القسطنطينية

(١) تذكرني هذه الرحلات البحرية الاربعة بالرحلات البحرية الاربعة التى قام بها كريستوف كولومب Christophe Colomb الذى اكتشف أمريكا فى أواخر القرن الخامس عشر وفى اوائل القرن السادس عشر . رحلته الاولى دامت سبعة أشهر ونصف (من ٣ أغسطس ١٤٩٢ الى ١٥ مارس سنة ١٤٩٣) وانتهت باكتشاف جزيرة سان سالفادور San Salvador وجزائر كوبا Cuba وهايتى Haiti ولما عاد الى اسبانيا انعم عليه الملك بلقب اميرال . ورحلته الثانية دامت ثلاث سنوات (من سنة ١٤٩٣ الى سنة ١٤٩٦) وفيها التقى بجزائر دومينيك

- كان غرض اسكندر وصل المشرق بالمغرب بطرق مواصلات برية وبحرية . فأسس مدينة على مصب نهر الدجلة سماها الأسكندرية جعلها فرضة بحرية (لعلها شط العرب الآن) . واسس مدينة أخرى ايضاً على ساحل بلاد العرب سماها بأسمه رحّل اليها كثيراً من الأغريق ومن غير الأغريق .

- وكان قصد الاسكندر مزج الشرقيين بالغربيين لجعلهم أمة واحدة . نشر الثقافة الأغريقية في جميع البلاد التي غزاها . فنقل الفرس وغير الفرس كثيرا من علوم الأغريق ومن فلسفتهم ومن أدبهم ومن فنونهم . ومن بلاد الفرس سرت الثقافة الاغريقية إلى بلاد الصين و إلى الأفغان والهنود والعرب . إذ نقل العرب عن الأغريق كثيراً من العلوم ولا سيما الفلسفة والطب والهندسة وفن المعمار . ويرجع الفضل الأكبر فى نشر الثقافة الأغريقية الى فيلسوفين كبيرين ابن سينا وابن رشد (وابن رشد وضع كتابا قيما على ارسطو وفلسفته) وعند ما دخل العرب اسكندرية مصر وجدوا فيهامعاهد ومدارس عليها الطابع الأغريقي تدرس فيها علوم الأغريق وفلسفة الأغريق . وقد دلت ابحاث العلامة الألماني ارنست هرزفلد Ernst Herzfeld على أن الفن الاسلامى مشتق من الفن الأغريقي ومن الفن البيزنطى ومن الفن الساسانى . وفى هذا يقول العالم الألمانى بيكر C. H. Becker [1]

"Sans Alexandre le Grand, pas de civilisation islamique"

Dominique وجواد لوب la Guadeloupe وبورتوريكو Porto-Rico وجامائيك Jamaïque ورحلته الثالثة دامت سنتين (من سنة ١٤٩٨ الى سنة ١٥٠٠) وفيها كشف بلاد فنزويلا Vénézuela وترينيداد Trinidad ولما عرج على جزيرة دومينيك وجدها في حالة ثورة فاراد ان يقمع الثورة ويعاقب الثائرين فقبض عليه وكبل بالحديد وارسل الى اوروبا فاطلق الملك سراحه . وبعد سنتين (أى فى سنة ١٥٠٢) قام كولومب برحلته الرابعة فمر على برزخ باناما Panama كما مر على هوندوراس Honduras وقد مات فى سنة ١٥٠٦ فى مدينة فالادوليد Valladolid فى حالة فقر

(١) وبهذا المعنى ايضاً ما جاء فى رسالة للدكتور احمد زكى بك نشرتها مجلة الثقافة فى عدد ٢٧ اكتوبر سنة ١٩٤٢ قال فيها :

« ان حضارة العرب فيما عدا الدين واللغة جاءت من مصدرين : الفرس والاغريق وان اردت ثالث فقلت والرومان . فمن هؤلاء أقتبس العرب تفاصيل حكمهم ونظم دواوينهم وعلومهم وفلسفتهم حتى والغناء أقتبسوا أفانينه من أفانين الفرس والاغريق . حتى الدين دخلته شيع ونحل

ومزج الشرقيين بالغربيين وجعلهم أمة واحدة[1] لم يقتصر الاسكندر على نشر

بعض منابعها من بين الفرات ودجلة أو فوق ذلك تبريقا ومنابعها الأخرى من الشمال من أثينا وبيزانطة أو من وراء النيل من الاسكندرية وهي أغريقية بناء ومذاهب فنونا .

« ونحن ان قلنا الرومان فقد قلنا الاغريق في طراز جديد . ونحن أن قلنا الفرس فانما نعني بلاد الفرس التي سطت على الاغريق . ثم سطا عليها الاسكندر باسم الاغريق وباسم الثقافة الاغريقية ففعلت تلك الحروب بها ما تفعل الريح بالحب . تنفضه عن الشجر وتشتت بذوره في بقاع جديدة من الارض ليدوم بها الثمر . ويشتد بتجديد البيئة النسل ويعم الرخاء . فمن عمل الحروب نقل الثقافات . ومن عملها كذلك خلط الثقافات . « وأرسلنا الرياح لواقح » وكذلك هن الحروب .

وبهذه المعنى ايضا ما كتبه فضيلة الشيخ محمد البنا مدير الأدارة الدينية في اهرام ٣٠ نوفبر سنة ١٩٤٢ . قال : وقد تمثلت في المملكة الاسلامية حضارات مختلفة وخاصة في عهد الخليفة الثاني عمر بن الخطاب رضي الله عنه إذ ضمت المملكة الاسلامية حضارة فارس والروم »

ومثلها المؤرخ الفرنساوي ايمون Aimond في كتابه :(Le Moyen Age) صحيفة ١١٣ :

قال عن الفلسفة والعلوم عندالعرب :

" Dans la philosophie et les sciences, les Arabes se firent les disciples des Grecs. Leur maitre était Aristote, dont les ouvrages furent traduits en syriaque, en perse et en arabe par des savants chrétiens. C'est grâce à ces traductions que l'Europe occidentale connut tout d'abord la philosophie grecque. Par là, les Arabes exercèrent une certaine influence sur la civilisation française du Moyen Age.

"Les principaux philosophes de l'Islam furent Avicenne (1037) et surtout Averroès (1198) de Cordoue, auteur d'un commentaire sur Aristote. Les ouvrages d'Avicenne furent étudiés en France à l'Université de Montpellier. Ces deux philosophes furent en même temps des médecins, car chez les Arabes la science était inséparable de la philosophie."

ثم قال عن الفنون :

"Au point de vue architectural, les Arabes furent les disciples des perses et surtout des Grecs de Byzance, auxquels ils empruntèrent la coupole. Leurs principales constructions sont des mosquées et des Palais."

الى ان قال :

"L'Egypte (le Caire), la Tunisie (Kairoun), le Maroc (Fez, Marrakech) possèdent encore de magnifiques mosquées du Moyen Age. En Espagne, on admire à Grenade le palais d'Alhambra et surtout la mosquée (aujourd'hui cathédrale) de Cordoue avec sa forêt de 850 colonnes, formant 19 grandes allées et 35 petites."

(١) لو وفق الاسكندر وجعل جميع الشعوب الذين ضمهم الى ملكه امة واحدة لكانت أمبراطوريته أقوى أمبراطورية عرفها التاريخ . اراد هذا عملا بقاعدة « الاتحاد قوة » ولعل من

الثقافة الأغريقية فى جميع البلاد التى غزاها بل سك لها أيضا عملة واحدة سماها باسمه بقيت طول حياة اسكندر العملة الوحيدة الرسمية التى يعول عليها فى المعاملات . وشوّق المقدونيين واليونانيين من الزواج بايرانيات . فبدأ هو وتزوج من روكسان بنت الأمير أوكسيارت ثم تزوج من ستاتيرا بنت الملك دارا (١) وزوّج صديقه هفستيون بأختها . وفى ليلة واحدة زوّج ثمانين من قواده بثمانين أميرة من أميرات الفرس . وكل

ابلغ الأمثلة على قوة الاتحاد نظام «المانيا» . فان المانيا كانت في القرن الرابع عشر عبارة عن ٤٠٠ دويلة صغيرة ضعيفة (لهذا كانوا يقولون les Allemagnes كما كانوا يقولون les Russies) فاتبعت سياسة الاتحاد تدريجيا الى ان دقت ساعة اتحادها كلها في سنة ١٨٧١ بعد ما قهرت فرنسا في حرب السبعين عن يد بسمرك Bismarck ومولتكيه Moltke واعانت اتحادها وبايعت ملك بروسيا غليوم الاول امبراطوراً على المانيا في ١٨ يناير سنة ١٨٧١ في سراى فرساى Versailles ومن هذا التاريخ صارت من الدول العظمى التى يحسب لها حساب .

والعكس بالعكس :

لما كانت أمبراطورية النمسا والمجر متحدة تضم شعوبا عديدة (من نمساويين والمان ومجر ورومانيين وبوهيميين صقالبة وبولونيين وايطاليين وصرب وسلوفاك و . . .) كانت دولة عظيمة يحسب لها حساب في سياسة العالم . ولكن لما انحلت بعد سنة ١٩١٨ واستقلت البلاد التى كانت تابعة لها من قبل ضعفت ثم تلاشت .

(١) وقد تزوج الاسكندر احدى ملكات الهند تالستريس Thalestris . ورواية المؤرخين عن هذا الزواج تتلخص في أن تالستريس هذه قابلت الأسكندر ومعها ٣٠٠ من نساء مجندات بملابسهن العسكرية وتركت جيشها خلف جبل على مقربة منها . فلما مثلت بين يدى الأسكندر قالت له انها سمعت بما ناله من النصر والجاه والسلطان وانها تريد ان تعاونه بكل ما لها من مال ورجال ليحقق جميع آماله ومآربه وعرضت ان تزوجه من نفسها ليولد لها ولد يخرج من صلب أشجع رجل ومن بطن أشجع امرأة يضن الدهر بمثله شجاعة وبسالة وفروسية» فشكرها الاسكندر وقضى معها ثلاثة عشر يوما صرفها فى الأفراح و«الليالى الملاح» . راجع الفصل الخامس من الكتاب الثالث من الجزء السادس من كتاب مونتين : les Essais de Montaigne.

والى هذه القصة يشير فولتير Voltaire فى البيتين اللذين نظمهما وارسلهما الى كاترينة الثانية Catherine II أمبراطورة روسيا رداً على كتاب كتبته اليه تخبره فيه بعزمها على زيارة بعض بلاد آسيا :

Un voyage en Asie, allez-vous l'entreprendre
Belle et sublime Thalestris
Que ferez-vous dans ce pays
Vous n'y verrez point d'Alexandre

وتعدد الزوجات كان شائعا عند الملوك والاشراف فى الزمن الغابر وقد بقى شائعا الى القرن الثامن عشر . فدوق بيبان Duc Pépin كانت له زوجتان فى آن واحد زوجة اولى اسمها

جندى مقدونى تزوج من فارسية أتحفه بتحفة مالية عظيمة فتهافت الجند على الزواج . ويقال أن عشرة آلاف جندى تزوجوا من ايرانيات فى الفترة التى أقامها الاسكندر وجيشه فى سوس. ثم سرت هذه الروح فى برسبوليس وصور وهمـذان فتزوج آلاف من الاغارقة من بنات الفرس . [(١)]

– وكان فى نيته تجهيز حملة كبيرة لغزو بلاد العرب . كما كان فى نيته بناء ١٠٠٠ سفينة تطوف حول أفريقيا وتمر من جبل طارق ثم تغزو أسبانيا وقرطاجة وايطاليا ولكن المنية عاجلته . ولتحقيق غرضه هذا أمر بجلب الاخشاب والحديد والحبال والاشرعة اللازمة لبناء هذا العدد الهـائل من السفن من لبنان ومن كليكيا ومن قبرص . وبنى لهذا الغرض ترسانة هائلة فى بابل .

– وعلى الرغم من كل هذه الشواغل فانه كان يوجه همه أيضاً الى سن النظامات السياسية والادارية والمالية فى البلاد التى غزاها [(٢)].

– ورد الى بلاد اليونان جميع التحف والآثار التى سلبها الفرس عند ما غزوا بلاد اليونان فى عهد دارا الأول وكزركسيس وارتا كزركسيس وقمبيز ودارا الثالث .

– وعلى الرغم من بلوغ اسكندر اوج المجد وبلوغه كل الحول والطول والسلطان فأنه كان عفيف الطرف . وقعت فى أسره أجمل نساء الفرس والأغريق فلم يتطلع إلى واحدة منهن ولم يلامسها . وكانت منهن ذوات اللواحظ والقدود الفاتنات الفاتكات

بلكترود Plectrude والثانية اسمها البائيد Alpaïde ولكل ولد ذكر . الزوجة الاولى ارادت ان تضمن لأبنها الملك من بعد أبيه فأمرت بسجن ابن ضرتهـا شارل Charles إلا أن الثوار أخرجوه من السجن وولوه . وشارل هذا هو شارل الذى لقب فيما بعد بلقب مارتيل Martel للدلالة على قوته وعلى انه كان يدق اعدائه دقا كما تدق المطرقة الحديد على السندان وهو الذى انتصر على عبد الرحمن قائد جيش العرب فى واقعة بواتييه Poitiers وأخـرجه من فرنسا ومنها ارتد العرب الى بلاد الأندلس .

(١) وسياسة كسب البلاد من طريق التزوج معروفة . وقد اتبعها امراء النمسا حيناً من الزمان وكان شعارهم هو :

"Bella gerant alii, tu felix Austria nube, (que d'autres fassent la guerre; toi, heureuse Autriche, conclus des mariages)

(٢) — الف ارسطاطاليس عدة كتب درس عليها تلميذه الاسكندر من ضمنهـا كتاب سماه « كيف تساس الامم » بسط فيه آراءه في السياسة وفى الاخلاق . وقد وصف احد العلماء ارسطاطاليس هذا بكلمة جامعة مانعة قال فيها :

"Sa vaste érudition n'avait d'autres limites que celles de la Sience."

الساحرات الناحرات . ألم تقع فى أسره زوجة دارا وبناته فعاملهن معاملة الملوك .
ألم يأسر قائده بارمنيون فى دمشق كثيراً من أشراف الفرس بنسائهم وبناتهم ؟
وكان من بين الأسرى بنات أوخوس Ochos (ملك الفرس) وأمهنّ . وبنت
أوكسترِيس (أخو دارا) .وزوجةأرتاباز Artabaze وابنه.وزوجة فارناباز Pharnabaze.
وبنات مانتور Mentor الثلاثة . وزوجة ممنون Memnon وأبنه . وبنت من مدينة
Pydne أسمها أنتيجون Antigone عدّوها فتنة الدنيا بجمالها . ومع ذلك لم يراود واحدة
منهنّ عن نفسها واكتفى بتزويج أنتيجون الجميلة من فيلوتاوس Philotas ابن بارمنيون
- وكان الاسكندر يضع السيف فى موضع السيف والندى فى موضع الندى .
كان يجازى الاحسان بضعفه والاساءة بصفحه . الم يأسر بارمنيون فى دمشق نوّاب
مدن اليونان التى كانت حالفت دارا ضدّه فلم يمسهم بسوء وخلىّ سبيل نائبى طيبه
Thèbes كما أطلق سراح نائب اثينا Athènes . ولما أسر فى واقعة الجرانيك الفين من
اليونانيين الذين جندهم دارا من المدن اليونانية التى كانت خاضعة له لم يقتلهم حسب
أصول الحرب بل ارسلهم الى مقدونيا لتشغيلهم فى مناجم الذهب . ولما حارب أحد
ملوك الهند بوروس Porus وأسره أراد ان يظهر له أعجابه بشجاعته وفروسيته فسأله
كيف تريد ان أعاملك فأجابه الملك الهندى أريد ان اعامل معاملة الملوك فعامله
الاسكندر معاملة الملوك (١) وأكرمه اكراماً عظيماً واستماله اليه وبعد ان كان بوروس
هذا عدواً لدوداً للأسكندر انقلب وصار نصيراً له وحليفاً . ولما مثلت امامه اخت

---

(١) وتذكرني معاملة الاسكندر للملك الهندى بوروس Porus تلك المعاملة الكريمة
معاملة كريمة مثلها — ان لم تكن خيراً منها — عامل بها البرنس نوار Le Prince Noir
الانجليزى الملك جان لوبون Jean le Bon الفرنساوى . ذلك انه في سنة ١٣٥٦ نشب قتال بين
الامير الانجليزى والملك الفرنساوى انتهى بهزيمة الملك الفرنساوي . أصيب الملك الفرنساوى
بجروح بالغة في وجهه ولما أنهكه القتال وعجز عن مواصلته سلم سيفه الى احد قواده الفرنساويين
— كي لا يقع في يد خصومه الانجليز — ثم تقدم الى الامير الانجليزى وسلم نفسه له فاسره .
الا ان الامير الانجليزي اعترافا بشجاعة الملك الفرنساوى وحسن بلائه في القتال اكرمه اكراماً
عظيما حتى انه وقف يخدمه بنفسه عندما قدم له الطعام وابى ان يجلس بجنبه على المائدة قائلا انه
لا يرى نفسه جديرا بان يجلس بجنب ملك اظهر من الشجاعة والبسالة وحسن البلاء ما اظهره
الملك جان

الجنرال تياچين متهمة بقتل أحد ضباطه سألها اسكندر مَن انت اجابته بكل جرأة انا أخت تياچين الذى قاتل اباك فى سبيل حرية بلاد اليونان وقاتلك أنت ايضاً فى واقعة كيرونية وفيها قتل . فاعجاباً بشجاعتها وتقديراً لصراحتها عفا عنها وردَّ اليها اموالها واولادها (١) . وهذا يسير من كثير

---

(١) يذكرني عفو اسكندر عن أخت الجنرال تياجين بعفو المأمون عن ابراهيم بن المهدي . كان ابراهيم بن المهدى ادعى الخلافة لنفسه « بالرى » وأقام مالكا لها سنة واحدة وأحد عشر شهراً واثنى عشر يوماً . فلما علم المأمون بأمره سار فى طلبه وجعل لمن أتاه به مائة الف درهم . دخل المأمون الرى وقبض على ابراهيم بن المهدى فلما مثل بين يديه سلم عليه بالخلافة فاجابه المأمون « لا سلم الله عليك ولا حياك ولا رعاك » فقال له ابراهيم : على رسلك يا أمير المؤمنين . ان ولى الثأر محكم في القصاص والعفو أقرب للتقوى . وقد جعلك الله فوق كل عفو كما جعل ذنبي فوق كل ذنب . فان تأخذ فبحقك وان تعف فبفضلك . فرقّ المأمون واستروح ابراهيم روائح الرحمة من شمائله ثم أقبل المأمون على ابنه العباس وأخيه أبي اسحاق وجمع من حضر من خاصته وقال . (ماترون في أمره) فكل أشار بقتله الا انهم أختلفوا فى القتلة كيف تكون . ثم التفت المأمون الى احمد بن أبي خالد وسأله رأيه فقال : (يا أمير المؤمنين ان تقتله وجدنا مثلك من قتل مثله وأن عفوت عنه لم نجد مثلك من عفا عن مثله) فنكس المأمون رأسه وقال لابراهيم « قد عفوت عنك ورددت اليك مالك وضياعك » . اليست هذه « صورة طبق الاصل » لما فعله اسكندر مع اخت تياجين ؟

وها سابقة تاريخية للمثل الذى ضربته اخت تياجين Théagéne بتضحيتها حياتها فداء لوطنها وفداء لاخيها بتضحية اخرى اظهرت فيها امرأة مثلها شجاعة ورباطة جاش وتضحية من اغرب ما روى التاريخ . ذلك انه فى شهر مايو سنة ١٨٠٨ زحفت جيوش نابليون على اسبانيا لغزوها فلاقت من الاسبان مقاومة عنيفة جداً حتى ان الفريقين تقاتلا بالمدافع وبالبنادق وبالسيوف وبالسكاكين ولم تفتهم المصارعة باليد والعض بالاسنان والضرب بالهراوات والتراشق بالاحجار وكانت المعارك دموية من اشد ما يكون هولا . حدث ان وصل طابور فرنساوى واحتل قرية جلا عنها سكانها . وجد الجنود الفرنساويون فى دار منها امرأة ومعها ولدها كما وجدوا عندها ماكولات كثيرة . . فقبل ان ياكل الجنود منها شيئاً طلب الضابط من المرأة ان تاكل منها شيئاً ليتحقق من انها ليست مسمومة فاكلت المرأة . ثم طلب منها الضابط ان ياكل ولدها منها ايضاً فنفذت الامر حالا . عند ذلك اطمأن الضابط والجنود واكلوا ما بقي من الماكولات . وما هى الا هنيهة واذا بالأم والولد والضابط والجنود قد ظهرت عليهم اعراض التسمم وماتوا جميعاً . وبهلاك الطابور كله خلت القرية من الفرنساويين فاحتلها الاسبان . ضحت الأم بحياتها وبحياة ولدها فداء للوطن

وها ايضاً حادثتا عفو : عفو جاء طوعا وعفو جاء كرها : —

١ — في القرن السادس عشر — في ٢٤ اغسطس سنة ١٥٧٢ — وقعت فتن خطيرة في فرنسا تلتها مذابح بين الكاثوليك والبروتستانت معروفة في التاريخ باسم لاسانت برتلمى La Saint Barthélémy قتل فيها من الفريقين ٢٠٠٠ نفس وكان البرنس

– ويمتاز الاسكندر عن كثير من الملوك بزهده في المال . كل همه كان موجها الى الجاه والسلطان . قبل محاربة الفرس وزع ثروته على ضباطه وجنده . ووزع مال امه

فرنسوا دى جيز François de Guise على راس جنود الكاثوليك وكان هو سبب كل البلايا والرزايا التي حلت بفرنسا . فللانتقام منه اغتاله بولترو Poltrot احد اشراف الكاثوليك بينما كان ضاربا الحصار على مدينة اورليان Orléans فلما شعر البرنس فرنسوا بدنو اجله ندم على ماجنته يداه وطلب ان يؤتى له بقاتله. فلما حضر ساله عن الباعث الذى دفعه لقتله فاجابه القاتل (ان ديني يامرني بقتلك) فاجابه البرنس وهو يحتضر (ان كان دينك يامرك بقتلي فان ديني يامرني بالعفو عنك)

ويذكرني هذا التفاضل بين البرنس وقاتله بتفاضل جري بين زميلين . ارسل الزميل (ن. ت) الى زميل له (ا . ع) تذكرة لحضور حفلة تقيمها جمعية خيرية ينتسب اليها . فردها الزميل بكلمة قال فيها (ان ديني يامرني بان اردها) . وبعد سنة او سنتين ارسل الزميل (ا . ع) الى زميله (ن. ت) ثلاث تذاكر لحضور حفلة تقيمها جمعية خيرية ينتسب هو اليها فتقبلها الزميل (ن. ت) بكلمة قال فيها (ان آدابي تامرني بان لا أردها) فتامل .

٢ — لما عبر الاسكندر الدردنيل ووصل الى بر آسيا فكر في الانتقام من اهالى مدينة لامبساك Lampsaque لانهم كانوا ناوءوه وناصبوه العداء. فللانتقام منهم عزم على تدمير مدينتهم وجعل عاليها سافلها . الا انه من حسن حظ المدينة انه كان فيها اناكسيمين Anaximène احد اساتذة الاسكندر . فلما علم بزحف الاسكندر على المدينة اسرع وطلب مقابلته . فلما مثل بين يديه ادرك الاسكندر في الحال ما سيطلبه منه فابتدره بقوله « لقد حلفت يمينا جزما بأن ارفض الطلب الذى ستطلبه مني» فاجابه اناكسيمين في الحال « ما دام امرك امراً جزما فاني اطلب منك تدمير مدينة لامبساك تدميراً تاما » فاعجب الاسكندر بدهاء معلمه ومكره واضطر الى عدم المساس بالمدينة احتراما ليمينه(من عدم اجابة طلبه) ومدينة لامبساك هذه واقعة في مدخل الدردنيل واسمها الآن (جارداك Tchar-Dak) او (امبساكية Ampsakieh) او (لامبساكي Lampsaki) اولبسيك Lepsek.)

ومثلها كان احد سلاطين آل عثمان (لايحضرني اسمه الآن)امر بقتل وزير له وقبل تنفيذ امر السلطان طلب الوزير قدح ماء فامر له به السلطان . اظهر الوزير تخوفه من قتله قبل شرب الماء فالتفت اليه السلطان وقال (اعطيتك الامان بان لا تقتل قبل شرب هذا الماء) فالقى الوزير الماء في الارض فاستحال عليه شربه وباستحالة شربه استحال تنفيذ امر السلطان . وبهذه الحيلة نجا الوزير .

وها واقعة عفو ثانية هي مثال لاسمى العواطف انقلها عن كلمة كتبها الاستاذ انطون الجميل بك في مجلة المصور (ديسمبر سنة ١٩٤٢)

« حاصر كونراد الثالث امبراطور المانيا (١١٣٨ — ١١٥٢) مدينة وينسبرج مدة طويلة حتى تمكن من فتحها على الرغم من استبسال اهلها في الدفاع عنها . ولما تم له النصر اهتم

على ضباطه وجنده[1]. ووزع الاسلاب والغنائم على ضباطه وجنده[2] عرض عليه دارا لافتداء امه وزوجته وأولاده ذهبا بمقدار ما تحويه خزائن مقدونيا كلها فرفض وقال لدارا

ان ينزل بالمدينة اشد العقوبات فأباح لعسكره السلب والنهب . ولكنه اخذته الشفقة على النساء الضعيفات اللواتي لا سلاح لهن . فاذن لهن في الخروج من المدينة سالمات من كل اذى وسمح لهن بان يحملن معهن اثمن ما لديهن . وما أعظم ما كانت دهشته عندما رأى كل امرأة قد حملت زوجها على ظهرها وهي خارجة من المدينة . فسأل عن جلية الامر فاجبن كلهن بصوت واحد : لقد سمح لنا جلالة الامبراطور ان نأخذ أثمن ما عندنا وليس عندنا أثمن من رجالنا . فاعجب الامبراطور بهذه العواطف وعفا عن المدينة نسائها ورجالها . »

(١) بعد ما وزع الاسكندر أمواله وأموال أمه على ضباطه وجنوده سألوه وماذا بقي لك » فاجاب « الأمل »

ان المبدأ الذى سار عليه الغزاة قديماً وحديثا كان مبدأ نهب البلاد التي يغزونها لتموين جيوشهم أولا فأولا عملا بالقول المأثور عن أحدهم كاتون Caton الروماني عندما غزا اسبانيا وطرد مورّدى الجيش اذ قال لهم « انما الحرب تغذى الحرب » „La guerre nourrira la guerre„

(٢) واقتدى به يوليوس قيصر Jules César اذ أوصي بمعظم ثروته الى أعوانه وانصاره وتنازل عن أملاكه كلها الى الامة (كما فعل أتاتورك من بعده بألفي وثلاثمائة سنة) وخصّص لكل مواطن من مواطنيه من أمواله مبلغا يعادل خمسة جنيهات من عملة اليوم . فعلوا هذا وكأن لسان حالها يقول ما قاله لويس الثاني عشر ملك فرنسا :

" Cet argent fructifiera mieux dans les mains du peuple que dans les miennes"

هى كلمة — بل هى حكمة — يجب أن تدوي في اسماع الاغنياء الذين يستأثرون بخيرات البلاد ويخزنونها في البنوك ولا ينفقونها فيما يعود بالخير على الامة .

واقتدى بهم أيضا أوكتاف Octave الدكتاتور الروماني (الذى صار فيما بعد الامبراطور اغسطس) اذ باع كل ما يملك ووزّعه على ضباطه وجنده .

وفعلت مثلهم كيلوباترا Cléopatre ملكة مصر عندما أمدّت انطوان (خليلها او حليلها . الفرق نقطة) — لمقاتلة أوكتاف — بمبلغ يوازي خمسة ملايين من جنيهات اليوم .

ومثلهم أيضا ازابيل Isabelle ملكة قشتاله Castille (من بلاد الاندلس) اذ انها لما أرادت اخراج العرب من بلاد الاندلس صمد لها الامير أبو عبد الله عشر سنوات وأخيراً وضعت الحصار على غرناطة حاضرة العرب وقتئذ وحاصرتها تسعة شهور حصاراً شديداً ولما لم تفلح في الاستيلاء عليها — اذ كانت تعوزها المدافع الضخمة والأسلحة — باعت كل مجوهراتها ومصوغاتها وحلاها وأنفقت ثمنها في شراء المدافع والاسلحة ثم شددت الحصار فاضطر الامير أبو عبد الله الى التسليم وكان هذا التسليم ايذاناً بزوال دولة العرب من بلاد الاندلس .

— ومثلهم السلطان صلاح الدين الايوبي الذى انفق كل امواله الخاصة في حروبه مع الصليبيين ولما مات في دمشق في يوم الجمعة ٢٧ صفر سنة ٥٨٩ (٤ مارس سنة ١١٩٣) لم يجدوا

أنى لا أطمع فى مالك . كل ما أبتغيه وأسعى اليه انما بسط سلطانى على آسيا كلها (١)

في خزانته سوى ٤٧ درهما من الفضة واضطرت اخته « ست الشام » ان توزع الصدقات والاحسانات عند تشييع جنازته من اموالها الخاصة (راجع « احاديث تاريخية » للمؤرخة النبيلة « بنت بطوطة » صفحة ١٧٩) وصفحة ٢٥٨ من كتاب يوسف قطاوى باشا « نظرة في تاريخ الامة المصرية »

والسلطان صلاح الدين الأيوبى مدفون فى مقام بالجامع الأموي فى دمشق وضريحه مكسو من الداخل بالقيشاني القديم وعليه آيات من القرآن الكريم وبعض الأشعار . وقد زاره غليوم الثاني امبراطور المانيا فبهره جمال الضريح وأراد نزع القيشاني وارساله الى برلين ولكن طلبه رفض . وبهذه المناسبة نقول ان الدكتور عبد الرحمن شهبندر الزعيم السوري الذى اغتاله بعض الثائرين مدفون هو أيضاً فى الجامع الاموى على مقربة من ضريح السلطان صلاح الدين .

ونابليون Napoléon اتخذهم أسوة له اذ انه قبل أن تحضره الوفاة في جزيرة سانت هيلانة حرر وصيته فاوصى لمونتولون Montholon بمليونى فرنك (٨٠٠٠٠ جنيه) . ولبرتران Bertrand بـ ٥٠٠٠٠٠ فرنك (٢٠٠٠٠ جنيه) . ولخادمه مارشان Marchand بـ ٤٠٠٠٠٠ فرنك (١٦٠٠٠ جنيه) ولكل واحد من خدمه باربعة آلاف جنيه كما خص كثيراً من قواد جيوشه بمبالغ طائلة . ثم وزع أملاكه كلها فخص ضباطه وجنوده بنصفها وخص النصف الآخر المدن والقري التى نكبت بسبب غزو الحلفاء لها فى سنتى ١٨١٤ و ١٨١٥

استطراد — قارن الآن بين هؤلاء والكردينال مازارين Mazarin (كان ايطاليا ثم تجنس بالجنسية الفرنساوية) الذى حكم فرنسا بصفة رئيس وزرائها فى القرن السابع عشر فى عهد لويس الثالث عشر وفي بداية عهد لويس الرابع عشر فانه دخل فرنسا وليس في جيبه مال ومات وترك ثروة مقدارها ٢٠٠ مليون فرنك (٨ ملايين من الجنيهات)

(١) يذكرني رد الاسكندر على دارا برد السلطان محمد الثاني على وزيره خليل باشا . كان السلطان محمد يحلم دائما بالاستيلاء على القسطنطينية ليجعلها عاصمة الملك . لأن السلطنة العثمانية كان لها في ذلك الزمان عاصمة فى آسيا هي بورصه Brousse وعاصمتان فى أوروبا هما أدرنه Andrinople وسالونيك Salonique وهذه العواصم الثلاث كانت متباعدة . ففكر السلطان محمد في الاستيلاء على القسطنطينية لانها واقعة بطبيعتها في وسط سلطنة آل عثمان . وكانت فكرة الاستيلاء على القسطنطينية كابوسا لازمه زمنا طويلا وانتزع منه النوم وراحة الفكر . ففى ذات ليلة أرق السلطان ارقا شديداً فاستيقظ وأمر باستدعاء الصدر الاعظم خليل باشا . فلما وصل رسول السلطان الى خليل باشا فى هذه الساعة من الليل ظن ان ساعة موته دقت فحرر وصيته واستودع الله زوجته وبناته وجمع كل ما ملكت يداه وكل ما ملكت يدا زوجته وكل ما ملكت يدا بناته — من الماس ولآلىء وذهب وفضه واحجار كريمة ومال نقد — ووضعه في وعاء وذهب به الى سراى السلطان . ولما مثل بين يديه قدمه اليه عربونا على ولائه واخلاصه

- ولما عرض علـيه دارا الصاج على ان يتنازل له عن نصف الامبراطورية الفارسية [1]- اى جميع البلاد الواقعة غرب الفرات- وأن يزوجه من بنته وأن يدفع له مبلغا كبيراً من المال أفهم الاسكندر أم دارا وزوجة دارا وبنتى دارا بأنه لايضمر لشخص دارا عـداء مّا . نعم انه قاتله ولـكنه قاتله لا ليستولى على ماله ولا على نسائه ولا على بناته ولا على بعض بلاده بل كل ما اراده ويريده انما بسط سلطانه على

وطلب منه عفوه ورضاه . فتبسم السلطان وقال له « اطمئن يا خليل . انى غير طامع فى مالك ولا في حياتك كل ما أريده فى هذه الحياة الدنيا انما القسطنطينية » .

قابل الآن بين ما قاله الاسكندر وما قاله السلطان محمد الثانى عما قاله ريشار ملك انجلترا الذى حكم انجلترا عشر سنوات (من سنة ١١٨٩ الى سنة ١١٩٩) وما كان له همّ الا جمع المال وانفاقه فى ملذاته حتى ان خزانة الدولة كانت دائما فارغة وكان يقول انه لا يتأخر عن بيع مدينة لندرة اذا وجد لها مشتريا .

"Je vendrais Londres si je pouvais trouver un acheteur"

فانظروا كم بين من يريد بيع عاصمة ملكه ليحصل على المال وبين من يرفض المال ليضم قارة بأسرها الى ملكه ومن يرفض المال ليضم عاصمة الى سلطنته .

وعلى ذكر القسطنطينيّة وحصارها وغزوها نقول ان القسطنطينيّة حوصرت ٢٩مرة من يوم ان تأسّست الى ان فتحها السلطان محمد الثاني . حاصرها المقدونيون والرومان والفرس والروس والعرب والبلغار والاغريق واللاتين . وحاصرها من سلاطين آل عثمان السلطان بازيد والسلطان مراد الثانى (ابو السلطان محمد الثاني) قاومت ٢١ حصاراً وسقطت ثماني مرات .

(١) — عَرْضُ دارا على الاسكندر أن يشاطره آسيا على أن يكون له النصف وللاسكندر النصف يذكرنا بمساومة مثلها عرضها مسيلمة بن حبيب على النبي (صلى الله عليه وسلم) . إذ انه لما ادّعى مسيلمة النبوة أرسل رسولين الى النبي بالمدينة يحملان رسالة جاء فيها (من مسيلمة رسول الله الى محمد رسول الله . سلام عليك . أما بعد فاني قد أشركت في الامر معك وان لنا لنصف الأرض ولقريش نصف الأرض . . . .) فكان جواب سيدنا محمد « بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله الى مسيلمة الكذاب . أما بعد فأن الأرض لله يرثها من يشاء من عباده المتقين »

وطمع اسكندر هـذا فى ملك دارا يذكرني بطمع كاترينه امبراطورة روسيا باراضى مملكة بولونيا . اذ انها لما اتفقت مع ملك بروسيا فردريك الثانى ومع ماري تريز امبراطورة النمسا على اقتسام مملكة بولونيا اخذت حصة الاسد . فكتب اليها فردريك الثاني ملك بروسيا يقول لها « اسمحي لى ان اقول لك ان لك شهوة قوية »

"Permettez-moi de vous le dire : vous avez bon appétit . . . ".

آسيا كلها [1] وشفع جوابه هذا بقوله « كما ان الارض لا تحتمل شمسين كذلك لاتحتمل ملكين . »

— ولم تلهه فتوحاته وغزواته عن التفكير فى الاعمال ذات المنفعة العامة . سياسية كانت أو علمية أو أدبية او زراعيه او تجارية . وكان له فى كل ناحية منها جولة وفى كل ميدان صولة . وكان ينفذها بارادة جبارة . ارادة رجل سيف لا ارادة رجل قلم . فكان يعمل عمل سنة فى شهر وعمل شهر فى يوم وعمل يوم فى لحظة . منها انه سك القناطير المقنطرة من الذهب والفضة التى غنمها من الفرس وحولها الى عملة ذهبية وفضية نثرها نثراً فى أسواق بلاد آسيا فراجت التجارة والصناعة رواجاً كبيراً لم يسبق لهذه البلاد عهد بمثلها . ومنها انه نفذ مشروعات رى كثيرة فى بلاد فارس و بابل والعراق وآسيا الصغرى فأحيا أراضي مواتاً واسعة فزادت الحاصلات وعمّ الرخاء . وكشف مناجم كثيرة فى البلاد التى غزاها واستخرج منها ثروة معدنية كبيرة فازدهرت الصناعة . وبعد ما استولى على افغانستان وتركستان اشترى أجود الثيران والأصناف الاصيلة وارسلها الى مقدونيا لتربيتها والانتفاع بنتاجها . وجاب الاشجار والنباتات والأزهار من أوروبا وغرسها في بلاد آسيا ولا سيما فى بابل . ولعلمه بان الدهر ميلٌ عقد محالفات سياسية وتجارية ومعاهدات ود وصداقة مع ملوك وأمراء البلاد المجاورة ليضمن سلامة أمبراطوريته اذا ما انتقل يوما ما من النوم الأصغر الى النوم الأكبر وفجأت ابنه الصغير نبوةُ الزمان واختار ستة من مدن مقدونيا ومن مدن بلاد اليونان ليشيد فيها معابد وهيأ كل غاية فى الابهة والعظمة خصص لكل واحد منها مايعادل ٣٦٠،٠٠٠ من جنيهات اليوم لتبقى شاهدة على عظمة امبراطوريته مامرت الدهور والاعوام .

---

(١) تذكرنى كلة اسكندر اذ قال انه لا يضمر لدارا عداء ما بكلمة قالها من بعده فريدريك الثاني ملك بروسيا عندما بلغه خبر وفاة الامبراطورة مارى تريز Marie Thérèse وكانت قد حاربها من قبل سبع سنوات متواليات La Guerre de sept ans — من سنة ١٧٥٦ الى سنة ١٧٦٣ " Je lui ai fait la guerre, mais jamais je n'ai été son ennemi"
وكانت مارى تريز هذه تطمع في ضم بعض الاراضى البروسية — ومنها ولاية سيليزيا — الى امبراطوريتها

— كان الاسكندر محل اعجاب جميع القياصرة والملوك . والكبار منهم اتخذوه المثل الأعلى في حروبهم وفى سياستهم .

١ – فيوليوس قيصر Jules César الذى عدّه المؤرخون بحق من أكبر رجال الحرب فى الزمن القديم والذى رفع الأمبراطورية الرومانية الى ذروة المجد والسلطان ودانت له أوروبا وأفريقيا وآسيا كان يطالع حياة اسكندر فى أوقات فراغه . رأوه ذات يوم يبكى وفى يده كتاب (١) فى حياة اسكندر . سئل فى ذلك فقال « أليس من المؤلم حقاً أن لا أكون عملت حتى الآن شيئاً يذكر مع ان الاسكندر كان غزا ممالك كثيرة فى السن التى أنا فيها الآن » ❧

وفى هذا الصدد يقول المؤرخ الالمانى فيلكن (صحفة ٢٧٨)

"Dès sa prime jeunesse César avait été un ardent admirateur d'Alexandre. Si profondément différentes que fussent ces deux natures géniales, et bien que le dictateur, d'âge déjà mûr, manquât de cet élan juvénile avec lequel Alexandre s'était lancé à la conquête du monde, leurs ultimes projets coïncidaient pourtant de façon extraordinaire."

وبهذا المعنى ما قاله المؤرخ الفرنساوي راديه Radet

" . . . Alexandre, César, deux figures qui se répondent sur les plus hauts sommets de l'histoire, deux incarnations différentes d'un principe identique.

"Alexandre, César, deux volontés formidables, dont la disparition brusque change la face du monde.

"Par le génie militaire, comme par l'intelligence politique, Alexandre et César sont des grandeurs de même ordre . . (V. Radet. P. 416.)

٢ - والامبراطور الروماني الكبير تراجان Trajan الذى عاش فى أوائل القرن الثانى من الميلاد وكان اسمه يزلزل الشعوب كان هو أيضا من المعجبين باسكندر الاكبر . اقتدى به فى حروبه وفى سياسته . غزا البلاد الواقعة على نهر الرين Rhin والبلاد

---

(١) وفى رواية أخرى رأوه امام تمثال الاسكندر يبكي . واليك ما رواه المؤرخ الفرنساوى فيكتور دروى Victor Duruy :

"Ses amis l'avaient vu pleurer devant une statue d'Alexandre en répétant: " A mon âge, il avait conquis le monde et je n'ai encore rien fait . ."

الواقعة على نهر الدانوب Danube والبلاد الواقعة على بحر الخزر mer Caspienne . وضم بلاد أرمينيا الى مملكته وأخضع بلاد القوقاز والبانيا وجزءا من بلاد العرب واجتاز نهرى الدجلة والفرات وغزا البلاد الواقعة ما بين النهرين وزحف الى أن دخل مدينة بابل واستولى على المدائن وسوس وضم بلاد الآشوريين الى مملكته . وكانت ديار مصر وبرقه وجزيرة قبرص من الولايات التابعة لأمبراطوريته . ثم أنشأ اسطولا فى نهر الدجلة واصل السير به الى الخليج العجمى وهنا وقف وقال : آه لو كنت شابا مثل الاسكندر لكنت غزوت بلاد الهند (١)

---

(١) اسمع الآن ما قاله المؤرخ الالماني فيلكن عن الامبراطور تراجان واتخاذه الاسكندر اسوة له :

"Disons quelques mots seulement de Trajan, qui avait pris pour modèle non seulement César, mais aussi Alexandre, bien que celui-ci lui apparût comme un idéal inaccessible. Il remplit le plus brillamment la première partie du programme de César par ses guerres contre les Daces, ensuite il entreprit la seconde partie, la guerre de Parthes, qu'il commanda en personne, et durant laquelle l'image d'Alexandre l'accompagna sans cesse. Après l'occupation de Ctésiphon, capitale des Parthes, il fut pris, comme Alexandre autrefois, d'un désir passionné de descendre le Tigre jusqu'a l'Océan (c'est-à-dire jusqu'au golfe Persique) ; lors qu'il fut en pleine mer et qu'il vit un navire cingler vers l'Inde, il s'écria, dit-on : Moi aussi j'irais chez les Hindous, si seulement j'étais encore jeune; et il vanta la fortune d'Alexandre. Se fondant sur cet incident, certaines sources ultérieures parlent, à tort, de ses projets de campagne dans l'Inde, alors que ces paroles expriment plutôt la résignation douloureuse du vieux souverain qui aurait bien voulu rivaliser avec le jeune héros. A Babylone, il manifesta ensuite d'une façon symbolique sa vénération profonde pour Alexandre, en célébrant un sacrifice héroique dans sa chambre mortuaire, au vieux palais royal. D'autres empereurs honorèrent encore la mémoire d'Alexandre, et notamment au commencement du IIIe. siècle, (parfois par des manifestations de très mauvais goût). Au IVe. siècle, Julien l'Apostat dans sa campagne de Perse, se rappela qu'il était sur les traces du grand conquérant. Mais aucun de ces hommages à Alexandre n'est aussi émouvant que celui de Trajan, l'un des meilleurs d'entre les empereurs romains. (Voir Wilcken p. 282 - 283)."

وها ما قاله المؤرخ الفرنساوى راديه Radet فى هذا الصدد :

" Pour voir renaitre, dans leur magnifique plénitude, les traits et les projets d'Alexandre, il faut arriver à Trajan. Trajan, du Nil au Tigre, marche sur les traces du Macédonien. En Egypte, de même que celui dont il rêve d'être l'émule interrogeait Ammon, il consulte, à Médamoud, le taureau sacré, interprète du dieu Montou, et ce dieu, renouvelant les promesses de l'oracle libyen, dit à l'empereur :

" Je te donne tous les héritages de la terre, j'élargis ton domaine jusqu'au ciel."

" Vainqueur des Parthes, Trajan gagne Babylone et sacrifie aux mânes du vainqueur des Perses dans le palais où celui-ci a expiré. Sur les rives du golfe Persique, il aperçoit un navire qui, prenant la voie jadis explorée par Néarque, cingle vers l'Inde. Il s'écrie :

" Que ne suis-je plus jeune ? J'assignerais pour limites à Rome les frontières de l'Empire d'Alexandre."

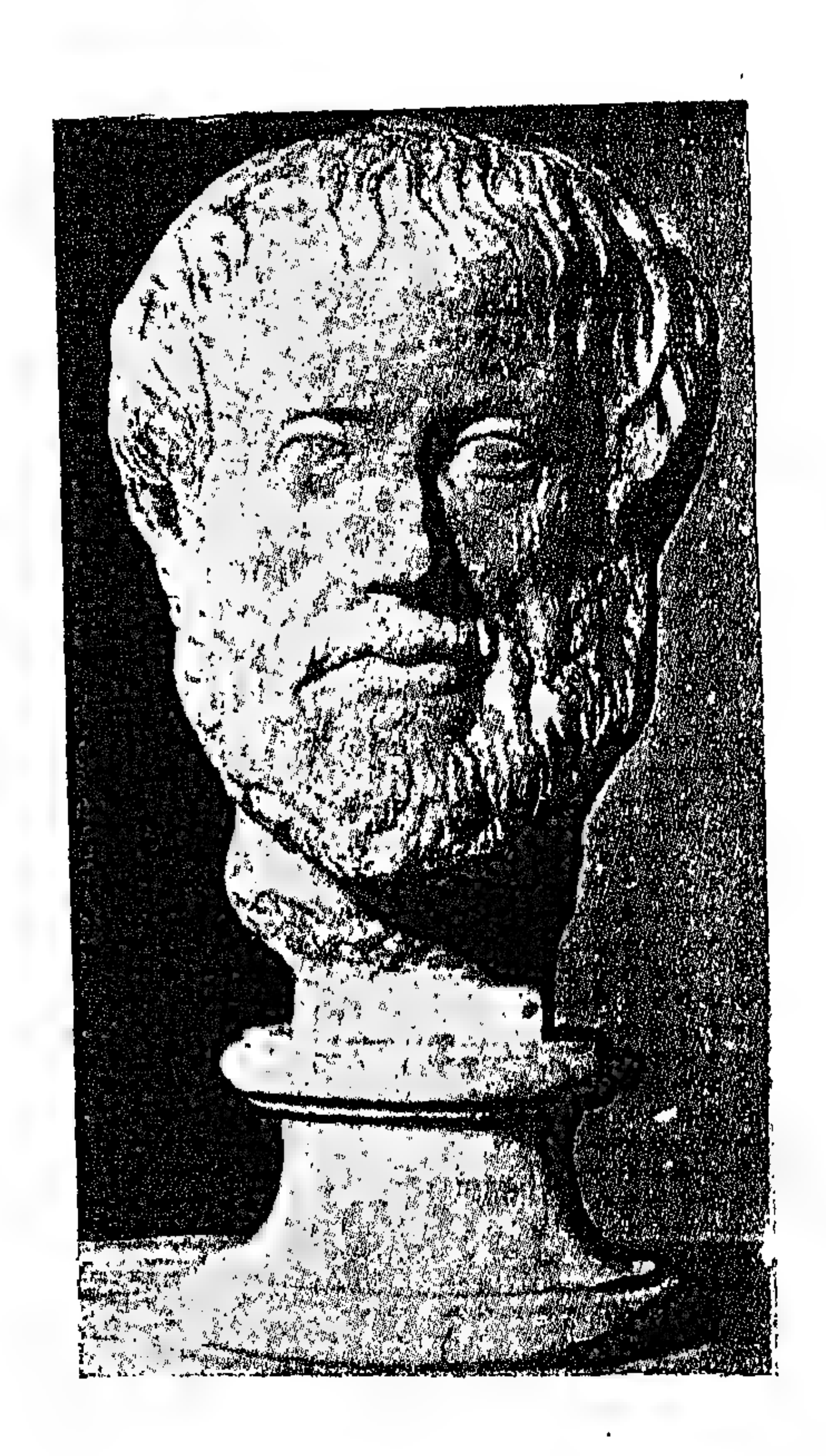
٣ - والأمبراطور الرومانى كاراكللا Caracalla كان من أشد المعجبين بالاسكندر

والامبراطور تراجان Trajan هـذا كان رجلا عادلا محبا لرعاياه لا يعمل الالخيرهم وهنائهم . كان يقول دائما « أريد أن أعامـل رعاياي كما كنت أريد أن أعامَل لو كنت واحدا منهم » . ولعدالتـه اقام له الشعب عمودا فخما فى احد ميـادين روما سموه عمود تراجان تخليداً لذكراه ولا يزال هذا العمود قائماً حتى الآن شاهداً على حب رعيته له وتقديراً لما اسداه اليهم من خير . وعندما قلد المحافظ امرَ المدينة وسلمه السيف قال له « استعمل هذا السيف دفاعا عنى اذا احسنت لبلادى واستعمله ضدى اذا اسأت اليها »

"Sers-toi de ce glaive pour moi si je fais bien, contre moi si je fais mal."

وتكاد تكون هذه الكلمة الرشيدة «صورة طبق الاصل» لكلمة قالها ابو بكر الصديق فى اول خطاب له بعد مبايعته خليفة للمسلمين حيث قال «ان استقمت فتابعوني وان زغت فقوموني». ومثلها الرواية المشهورة التى سأل سيدنا عمر بن الخطاب الناس فيها ان يدلوه على عوجه فقال أحدهم (والله لو علمنا فيك اعوجاجاً لقومناك بسيوفنا) فحمـد الله ان يجعل فى المسلمين من يقـّوم اعوجاج عمر بسيفه

وتجد مثل هذه الروح العالية فى نظام القضاء عند الفراعنة اذ انه فى زمن قدماء الفراعنة كانت ادارة البـلاد موكولة الى ثلاثين قاضياً يختارونهم من أشهر المـدن المصرية وكانت لهم مخصصات كبيرة كي لا يشغلهم عن مهـام وظائفهم شاغل دنيوى وكان الملك يحلفهم بأن لا يطيعوه اذا أمرهم بأمر لا يتفق مع العدالة



المؤرخ « بلوتارك Plutarque »

اتخذه قدوة فى جميع أعماله ومن فرط أعجابه به أمر بنشر صورته و بأقامة تماثيل له فى جميع أنحاء الأمبراطورية الرومانية (١) .

٤ - والسلطان محمد الثانى « الفاتح » الذى استولى على القسطنطينية فى سنة ١٤٥٣ كان هو الآخر من المعجبين بالاسكندر وقد اتخذ الاسكندر و يوليوس قيصر قدوة له فى غزواته وسياسته . (٢)

٥ - ومثلهم هنرى الرابع من أعاظم ملوك فرنسا . كان دائما يطالع كتاب بلوتارك « تراجم مشاهير الرجال » وفى مقدمتهم اسكندر الاكبر

وكتاب بلوتارك الذى يطالعه كبار الملوك و يذكره دائما كبار الكتّاب وكبار المؤرخين فى أحاديثهم وفى كتبهم هو كتاب ألفه المؤرخ اليونانى بلوتارك Plutarque الذى ولد فى مدينة كيرونيه فى القرن الاول من ميلاد المسيح - بين سنتى ٤٥ و ٥٠ من الميلاد ومات فى سنة ١٢٥ - ومدينة كيرونيه هذه - مسقط رأسه - هى المدينة التى انتصر فيها الاسكندر فى بداية حياته . وقد ساح بلوتارك فى بلاد اليونان وفى ايطاليا وفى آسيا وفى مصر وكان معلم

---

(١) — وفي هذا يقول المؤرخ الفرنساوي راديه

"Caracalla s'était pris d'une passion fanatique pour Alexandre. Il s'inspirait de lui en toutes choses. Il remplissait l'Empire de ses images et de ses statues. L'âme du conquérant étant passée dans la sienne, il ne pouvait s'identifier à lui sans témoigner aussi une ardente prédilection pour Achille. En 214, venant à Elion, il réédita, avec une pompe théâtrale les cérémonies qui, cinq siècles et demi plus tôt, s'étaient déroulées dans ces mêmes lieux V. Notes sur l'histoire d'Alexandre. par Radet.

وقال مثله المؤرخ رامبو :

" Il avait choisi surtout comme ses modèles Alexandre de Macédoine et Jules César" V. A. Rambaud dans l'Histoire Générale de Lavisse.

(٢) يقول لامارتين صاحب كتاب تاريخ تركيا :

"Mahomet II lisait assidûment Plutarque, et s'étudiait à imiter Alexandre, César et les grands conquérants dont cet historien raconte les vies. Il avait fait traduire les biographies des grands hommes en turc, pour donner à ses peuples et à lui même l'émulation de la gloire. Les Orientaux ne pouvaient pas comprendre encore l'émulation de la liberté. (p. 191). Histoire de la Turquie. par Lamartine

الامبراطور أدريان لما كان شابًا . وقد ألّف كتابه المشهور « تراجم مشاهير الرجال »:

"Les Vies des Hommes illustres"

وكان الفيلسوف روسو J. J. Rousseau يقرأ هذا الكتاب كلما خلا لنفسه وأطلق لفكره العنان فى أحوال هذه الدنيا : وروسو هذا كاتب فرنساوى من أشهر كتاب فرنسا بل من أشهر كتاب العالم ولد فى مدينة جنيف Génève فى أوائل القرن الثامن عشر وهو ندّ فولتير Voltaire المشهور . وينسب الى آرائه وفلسفته وآراء وفلسفة فولتير الأثر البالغ فى الثورة الفرنساوية التى شبت فى أواخر القرن الثامن عشر . ومن مأثور قوله « ان كتاب بلوتارك كان أول كتاب قرأته فى حداثة سنّى ولعلّه يكون آخر كتاب أقرأه فى شيخوختى . لأنه هو الكتاب الوحيد الذى ما قرأته مرة إلا استفدت منه فائدة »:

٦ - ونابليون الذى عنت لكلمته الجباه ودان له العالم فترة من الزمان(١) كان يذكر دائمًا الاسكندر كلما خطر بباله فتح أوغزو أو عمل خطير . اعتبر المؤرخون الاسكندر استاذ رجال الحرب أجمعين فى العصور الغابرة فكان من الطبيعى ان يجعل نابليون حياة الاسكندر قدوة له هو أيضا . ومن يطالع تاريخ نابليون يجده كان مغرمًا بمطالعة الكتب التى وضعت فى حياة الاسكندر الأكبر وفى حياة يوليوس قيصر Jules César وفى حياة أنيبال Annibal وفى حياة فردريك الأكبر Frédéric II وفى حياة سيبيون الأفريقى Scipion l'Africain . ومن فرط اعجابه بهم نصب تمثال

---

(١) ووصفه أحد رجال الحرب بأنه كان :

"Le plus grand génie militaire de l'Histoire"

ووصفه آخر بأنه كان :

"Le premier des premiers dans l'art militaire."

ووصفه مؤرخ روسى فقال :

"ce chef militaire était un maitre inégalable, un artiste dans l'art de la guerre, le plus génial des grands capitaines de tous les temps, un virtuose sans rival de la stratégie et de la tactique"

وأبلغ منهم ما قاله أحد الالمان Henri Heine

"ses lèvres n'avaient qu'à siffler, et la Prusse n'existait plus."

فردريك الأكبر على مكتبه فى باريس وتمثال يوليوس قيصر على مكتب آخر فى غرفة أخرى . وتمثال أنيبال وسيبيون على مكتبه فى قصر سان كلو St.Cloud . ولما دخل برلين فى سنة ١٨٠٤ سار الى بوتسدام وزار قصر سان سوسى Sans Souci — وهو قصر فردريك الأكبر — فأخذ سيفه وقال : « هذا عندى أعز من تاج بروسيا » كما أخذ « المنبه » وهو عبارة عن ساعة من الفضه الخالصة و بقى محتفظاً به طوال الـ ٢٫٠٠٠ يوم التى قضاها منفياً فى جزيرة سان هيلانة على بعد ٢٫٠٠٠ ميل من أوروبا . وكان يطالع فى وقت الفراغ كتاب بلوتارك Plutarque وفيه أوفى وصف لعبقرية الاسكندر العسكرية كما كان يطالع طائفة كبيرة من كتب تاريخ قدماء الرومان .

وفى جميع أحاديثه كان يتمثل باسكندر الأكبر . — ألم يفكر فى غزو بلاد الهند كما غزاها الاسكندر من قبل . فكر فى غزوها من موسكو . ولما قيل له ان روسيا بعيدة جداً عن الهند قال ان الاسكندر جاء اليها من مقدونيا وهى أبعد من روسيا :

" Après tout cette longue route est la route de l'Inde. Alexandre était parti d'aussi loin que Moscou pour atteindre le Gange."

اليس هو القائل « لولا عكا وفشل حصارها لكنت انتصرت فى واقعة كواقعة أسوس Issus وكنت نصبت نفسي امبراطورا على الشرق كله » وكان يفكر دائما فى غزو آسيا الصغرى وايران وافغانستان ليمد سلطانه الى الهند ثم ينصب نفسه امبراطورا على الشرق الأدنى والشرق الأقصى كما فعل الاسكندر الذى لقب نفسه « ملك آسيا » بعد أن تم له قهر الفرس . فى معركة « اربل »)

٧- ومحمد على باشا كان هو ايضاً من أشد المعجبين باسكندر . روى المؤرخان الفرنساويان كادالفين Cadalvène وبروفرى Breuvery اللذان عاصراه وعرفاه وخالطاه أن محمد على باشا سمع بتأليف كتاب فى حياة اسكندر طبع ونشر فى فرنسا فأمر بأحضاره . فلما عرض عليه الكتاب سأل عن الزمن اللازم لترجمته فأجاب المترجم « تستغرق الترجمة ستة شهور » فقال محمد على باشا هذا زمن طويل ثم استل سيفا من أحد القواصة وشطر الكتاب ثلاثاً وقال « الان يجب ان تتم الترجمة فى شهرين » ثم التفت الى الحاضرين واستأنف الكلام على الاسكندر وقال « قيل لى ان الاسكندر و بطليموس من مقدونيا وأنا أيضا من مقدونيا . ان مقدونيا أنجبت ثلاثة

تولوا حكم مصر . الا ان سلطاني على هذه البلاد أوسع مدى » . ولما انتهى الحديث عن الاسكندر وعن مقدونيا استأذناه في السفر الى بلاد النوبه فأذن لهما وودعهما قائلا « لكما ان تسافرا في جميع أرجاء مصر بكل اطمئنان . ستجدان أينما حللتما كل مساعدة وحماية . »[١]

---

(١) وهنا ماكتباه عن هذا الحديث في كتابهما « مصر وتركيا »

"Alexandre-le Grand est le héros favori du vice-roi. Ayant appris qu'il existait un résumé des historiens de ce conquérant, il ordonna qu'on lui fit venir cet ouvrage de France. Nous étions présents quand on le lui apporta; des arabesques d'or ajoutaient à l'élégance de ce beau volume, sur lequel Touvenin semblait avoir épuisé les ressources de son art.

—Dans combien de temps pouvez-vous me donner ce livre-là traduit?demanda-t-il à un de ses interprètes.

—Dans six mois.

—C'est trop long, reprit le Pacha avec vivacité; et saisissant aussitôt le yataghan d'un de ses khawass, il a bientôt partagé le riche volume en trois.

—De cette manière vous pourrez vous mettre trois au travail: il me faut la traduction dans deux mois.

—Et moi aussi, nous dit Méhémed-Ali, je veux que les événements qui ont rempli ma vie soient racontés aux hommes. Chaque jour je dicte à mon kiatib (secrétaire) une partie de mon histoire, et c'est merveille comme un fait en appelle un autre et comme une foule de circonstances que j'avais oubliées, viennent se retracer à mon souvenir.

"Admirez, ajouta-t-il après un instant de silence, combien Celui qui sait tout est impénétrable dans ses desseins. On m'a raconté qu'Alexandre et Ptolémée étaient Macédoniens, et moi aussi je suis de la Macédoine. Notre pays devait donc donner trois fois des maîtres à l'Egypte; mais ma puissance s'étend beaucoup plus loin que la leur dans cette contrée, et j'espère, avec l'aide du Ciel, reconnaître un jour si, comme le croit votre Champollion, les Pharaons sont arrivés jusqu'aux sources de ce Nil béni de Dieu.

" Notre conversation dura plus d'une heure; la physionomie du Pacha s'était animée, et nous éprouvions un charme inexprimable à écouter cet homme extraordinaire s'abandonnant à son naturel, causeur

وقد لخص الفيلسوف الفرنساوي تيودور جوفروا Th. Jouffroy حياة الاسكندر في صفحة جمعت بين الايجاز والاعجاز فقال :

" Après la guerre médique, l'expédition d'Alexandre est le plus grand événement dont l'histoire ait gardé le souvenir. Le guerre médique avait sauvé la civilisation au berceau; l'expédition d'Alexandre fut le premier acte de sa jeunesse. Elle fut le début de cette longue lutte de la civilisation contre la barbarie qui est le fond de l'histoire de l'humanité, parce qu'elle est le fond de sa destinée. Auparavent, la civilisation n'avait pas osé entrer en lice; trop heureuse d'avoir la vie sauve et de croitre indépendante dans un coin caché du monde, elle laissait l'empire à sa rivale. Elle sortit enfin de sa retraite sous l'enseigne d'Alexandre,

---

et curieux, et mélant plus d'une fois les traits d'une ignorance naive aux observations d'un esprit fin et pénétrant. Après qu'on nous eut servi le café dans des zarfs ornés de diamants, le vice-roi se leva, et nous primes congé de lui, en lui annonçant notre départ pour la Nubie.

—Allez, dit-il, parcourez sans crainte toutes les parties de mon gouvernement; partout vous trouverez aide et protection. (Voir L'Egypte et la Turquie de 1829 à 1836 par MM. Ed. de Cadalvène et J. de Breuvery. Tome premier; Pages 209, 210, 211).

ولمناسبة حديث محمد على باشا مع مسيو كادالفين Cadalvène وبروفرى Breuvery عن مقدونيا والمقدونيين نقول. ان مقدونيا كانت مهد عجائب بعض الرجال العظام . أنجبت خمس أسر مقدونية عظيمة . عظيمة برجالها وعظيمة بالآثار التي تركوها . الاولى اسرة فيليب وابنه اسكندر الاكبر . والثانية أسرة البطالسة الذين حكموا مصر ثلاثة قرون وكان الثلاثة الاول منهم من نوابغ الرجال العظام بلغت مصر في عهدهم ذروة المجد والجاه والسلطان . والثالثة اسرة مقدونية حكمت بزانطة (القسطنطينية) أكثر من ثلاثة قرون — القرن التاسع والقرن العاشر والقرن الحادي عشر من سنة ٨٦٧ الي سنة ١١٨٥ وكان عهدها العهد الذهبي للامبراطورية البزانطية . والرابعة أسرة جوستنيان الاول Justinien الذى تولى الامبراطورية الشرقية من سنة ١٥٢٧ الى سنة ١٥٦٥ وحارب الفرس وغزا افريقيا وايطاليا وكان من أعظم آثاره القوانين التي سنها وسميت باسمه les Digestes, les Institutes, les Novelles, les Codes واشتهر بآثاره الكثيرة العظيمة وأهمها بناء كنيسة آياصوفيا باستانبول وهو الذى وصفوه بأنه (الامبراطور الذي لا ينام l'empereur qui ne dort jamais) لانه كان كثير النشاط دائم الحركة لا يكل ولا يمل من العمل . والخامسة هي أسرة محمد على باشا الكبير وقد تولت حكم مصر من سنة ١٨٠٥ حتى الآن وكان عهدها « العهد الذهبي لمصر » . أضف الى هذه الاسر بعض نوابغ الرجال المقدونيين الذين اشتهروا في العلم وفي الفلسفة وفي السياسة وفي الحرب مثل ارسطاطاليس الشهير ومثل خير الدين ذى اللحية الشقراء Barberousse وغيرهما

elle mit le pied dans l'arène qu'elle n'a plus abandonnée, et dès lors la possession de la terre fut disputée. Aussi cette expédition fut quelque chose de nouveau dans le monde. Elle n'eut point les caractères des invasions barbares qui l'avaient précédée. Au lieu de vaincre par la force, Alexandre vainquit par l'art; au lieu de détruire, il fonda; au lieu d'abrutir, il éclaira. Excepté quelques collèges de prêtres qui cachaient comme un mystère le peu de science qu'ils avaient, Alexandre ne rencontra sur son chemin qu'une fastueuse barbarie: de l'or, point de vertus; des satrapes et des esclaves; point d'hommes. Partout la supériorité de la race grecque éclata dans tout ce qui est du domaine de l'âme et de la pensée; partout aussi les peuples s'élevèrent en subissant son joug. Ce fut moins une conquête qu'une mission: le général avait le génie d'un apôtre, et ses victoires avaient des lendemains où le disciple d'Aristote éclipsait le roi de Macédoine. Jusqu'alors il n'y avait point de monde; il n'y avait que des nations isolées, ennemies ou inconnues les unes aux autres, avec des génies, des habitudes, des directions différentes: Cyrus, comme tous les barbares, n'avait fait qu'un empire; l'expédition d'Alexandre mit en contact, mêla et jeta dans un même systéme toutes les nations de l'Orient. Par elle, les idées de toutes ces nations firent connaissance; elles se comprirent, se controlèrent, se rallièrent au flambeau de l'esprit grec, et de cette union intellectuelle résulta le premier monde civilisé, le monde grec ou oriental." Jouffroy (Théodore). philosophe français.

- ومع هول الأهوال والنوازل والكوارث والفواجع والاخطار التي لاقاها الاسكندر في حروبه وغزواته ومناوشاته ومع تعرضه غير مرة للقتل والغرق فأنه مات حتف أنفه . ومات وهو فى أوج عزه تحيط برأسه هالة من المجد والقداسة (١) .

---

(١) يدلك الاستقراء على ان آخرة معظم الغزاة والفاتحين كانت قتلا أو خلعا أو نفيا أو انتحاراً

— فيليب Philippe أبو الاسكندر قتل

— ودارا الثالث Darius III قتل

— وانطيوكوس الكبير Antiochus le Grand مات رجما

— وهانيبال Annibal أنتحر

— ويوليوس قيصر Jules César قتل

— وفرسنجيتوركس Vercingétorix قتل

— وبومبيه Pompée قتل

— وسيلا Sylla مات بمرض خبيث اعفن جسمه

— وأنطوان Antoine (عشيق كليوباترة ثم زوجها) أنتحر

ومن بليغ ما قيل عن الاسكندر ما كتبه أحد فطاحل علماء فرنسا مسيو موريس باريس M. Barrès الشهير بعد ما حضر الى مصر وزار المتحف الأغريقى الرومانى باسكندرية ووقع نظره على اثار وتماثيل اسكندر الأكبر ودوّن ماجال بخاطره في كتابه (Une enquête aux pays du Levant) ونشرت نتفة منه مجلة

— وكليوباترة Cléopatre انتحرت
— والامبراطور اغسطس مات هما وغما
— والامبراطور جوستنيان مات همًّا وغمًّا
— وعمر بن الخطاب قتل
— والسلطان مراد الاول قتل
— والسلطان مراد الثانى قضى اخريات حياته مهموما مغموما
— وشارلمان Charlemagne بعدحروب مضنية مفنية تنازل عن العرش وانزوى فى دير مات فيه
— ولويز الرابع عشر Louis XIV ملك فرنسا بعدان بلغ ذروة المجد والسلطان مات غماً وهماً
— وجوستاف الثالث ملك السويد Gustave III قتل
— والزباء ملكة تدمر ماتت في الاسر وفي النفى
— والسلطان سليم الذى غزا مصر مات ميتة شنيعة
— وشارل الثانى عشر Charles XII قتل
— ونادرشاه ملك الفرس جن ثم قتل (ويروى أنه لما بلغ ذروة المجد والجاه والسلطان طلب من امبراطور المغول ان يزوجه بنته فلجهالة اصله تردد الامبراطور . فارسل اليه نادرشاه يبين له حسبه ونسبه قائلا : (انا نادر ، السيف ابي . والسيف جدى . وهلم جرا)

"C'est moi Nadir, fils de mon sabre, petit-fils de mon sabre, et ainsi de suite."

يذكرنى رد نادرشاه على امبراطور المغول برد المعزّ لدين الله على جماعة من أهل مصر . ذكر ابن خلكان أن جماعة من أهل مصر طعنوا فى نسب المعز واتصاله بعلى ابن ابي طالب . فلما وصل الخليفة المعزّ لدين الله الى مصر اجتمع به بعض الاشراف فسأله أحدهم وهو ابن طباطبا « إلى من ينتسب مولانا » فأجابه المعز انه سيعقد مجماً يجمع كافة الاشراف ويسرد عليهم نسبه . فلما انعقد المجلس فى القصر سلّ المعزّ سيفه الى النصف وقال (هذا نسبى) ثم نثرهم بالذهب الكثير وقال « وهذا حسبي »

— والسلطان بايزيد مات فى أسر تيمورلانك
— وقانصوه الغوري قتل
— وعلى بك الكبير قتل
— ونابليون Napoléon مات فى النفى

العالمين (La Revue des deux Mondes) في عــدد ١٥ فبراير سنة ١٩٢٣ (١)

---

(١) "Au sortir de cette audition et de ces longues visites contrastées,- qui pourtant font une harmonie, je suis allé au musée, et désireux instinctivement de ne pas descendre du plan d'émotion où ces trois journées m'avaient haussé, je m'attachai à y chercher les effigies d'Alexandre le Grand qu'il contient en grand nombre. On sait que les artistes grecs ont interprété les éléments vrais de cette royale figure, pour en faire l'image de la destinée interrompue, et qu'ils sont arrivés à créer ainsi le symbole de toutes les nostalgies qu'éveillent la jeunesse et le génie. L'élan violent, mais toujours déçu par la mort, pour déployer les ressources surhumaines amassées dans le fond de notre être, je ne vois pas de poème ni de symphonie qui le peignent mieux que les monnaies d'Alexandre frappées par Lysimaque ou la grande médaille d'or de Tarse, ou l'Alexandre impétueux, d'une effroyable ardeur physique, de la Mosaïque de Naples, qui fut la joie suprême de Goethe douze jours avant sa mort. Ces portrais du héros dans le plein sentiment de sa force qu'il développe avec une toute-puissance menaçante, doivent être complétés par l'Hermès du Louvre, qui nous montre le conquérant vers la fin de sa brève carrière, dans sa trentième année, quand déjà toute grâce et toute jeunesse l'ont quitté, pour faire place à la terrifiante gravité du jeune vainqueur rassasié et peut-être débuassé. Mais c'est au musée d'Alexandrie que j'ai vu le plus beau de tous les Alexandre, un moulage de la tête, aujourd'hui à Boston, qui fut retirée des boues du Nil. Ah ; la dure image de ce héros, fils des dieux et compagnon de nos imperfections. Avec sa chevelure relevée sur le front et qui tombe comme une crinière des deux côtés de son masque léonin, c'est vraiment un lion humanisé, et là-dessus une extrême mobilité, tantôt de solitude et de mélancolie, tantôt de véhémence farouche. Un charme infini, et pourtant quelque chose de terrible, à cause de la violence de son âme, s'exhale de cette tète si fièrement portée et un peu penchée sur l'épaule gauche, de ce front large et plein, un peu bas, de ce menton aux courbes harmonieuses et douces, et de ce grand oeil au regard humide et lustré.

"Alexandre, la plus belle image de la grandeur, et d'une grandeur à la fois charnelle et spirituelle, complète ce que je viens de voir de grandeur surnaturelle chez nos missionnaires. Et puis ici, dans sa ville, ne devais-je pas lui porter mon hommage, à lui qui préside à tout

هذه هي بعض نواحي عظمة الاسكندر فما أعظمه حياً وما أعظمه ميتاً . حقاً انها لعظمة تثير العجب والاعجاب . كلما طاف خيالها فى ذهنى أتذكر عبارة قالها جوتيه Gœthe فيلسوف المانيا الأكبر فى فولتير Voltaire فيلسوف فرنسا الأشهر :

"Après avoir enfanté Voltaire, la nature se reposa"

ومعناها « بعد ان أنجبت الطبيعة فولتير استراحت » . ألا ينطبق ما قاله جوتيه فى فولتير على الأسكندر ؟

أما مساوىء الاسكندر فكثيرة . ولكن للحكم عليها يلزم تقديرها حسب ظروف الزمان وظروف المكان التى وقعت فيها . اذ لايعزب عن الفكر أن الاسكندر كان فى حالة حرب مع جميع البــلاد الواقعة بين نهر الدانوب و بحر الروم (وهى البلاد التى نسميها الآن سربيا و بلغاريا وألبانيا والجبل الأسود ودالماسيا وتراقيا واليونان) . ومع مملكة الفرس التى كانت تمتد من الهنــد الى بحر الروم (وتشمل مانسميه اليوم بلاد الأناضول والقــوقاز والكورج وأرمينيا وتركستان وافغانستان وفارس و بلوشستان وهندستان) . كما كان فى حالة حرب مع بلاد العراق و بابل وسوريا وفلسطين ومصر . ولكل مملكة أو أمارة أو دويلة من هذه الممالك والأمارات والدويلات نظامها السياسى ولغتها ودينها وشريعتها وعاداتها وطباعها وأخلاقها . فكان لابد للاسكندر —

---

ce chaos d'idées et de sentiments, où je vais me promener et dont il fut le premier moteur . A mesure qu'il s'enfonçait en Asie, il s'est apparenté avec les dieux vaincus, et, il a paru se donner en proie aux passions qu'il venait dominer. Saisi par un entrainement irrésistible à la vue des proportions colossales du monde qu'il venait de dompter, il succomba à l'enchantement de ses esclaves. Tout cet Orient hellénistique, c'est un effet de sa victoire et de sa politique de complaisance aux vaincus ; toute cette fusion inachevée des éléments européens et asiatiques, c'est lui qui l'a décrétée. Et sur les travaux innombrables qu'une armée de savants consacre chaque jour à la propagation des cultes orientaux et du néo-platonisme dans le monde, sur le bilan de ce que l'Orient emprunta ou prêta au paganisme occidental, ne peut-on pas écrire : "Suite de l'histoire d'Alexandre ?? „ (Voir Revue des Deux Mondes, du 15 février 1928. p. 787).

مثل سائر الغزاة والفاتحين - أن يستعمل الشدّة والقسوة تارة واللين والكرم تارة أخرى. يرغب و يرهب حينا ويحذر وينذر حينا . وكان من الطبيعي أن يحتاط للدسائس والمكايد التي تحاك حوله وللأهواء والمطامع التي تظهر من حين الى حين . وكان بعض هذه البلاد على شيء من الحضارة والبعض الآخر كان لا يزال على فطرته . و بعضها كان يئن من ظلم الفرس . والبعض الآخر كان يتمتع بشيء من الحرية والاستقلال . فما كان في الامكان أن يعامل كل هذه الشعوب المنوّعة على وتيرة واحدة . ثم انه كان مضطراً أن يعامل بعضها حسب ما يلاقيه منها اما ميلا الى السلم او الاستسلام أو ميلا الى النضال والنزال .

فمن المساوىء التي لوّثت سمعة الاسكندر :

— تدميره مدينة Thèbes من عواصم بلاد الاغريق. إذ انه لما عرض عليها الصلح أبت فاستولى عليها عنوة ثم أمر بتدميرها فدمّرت ولم يبق منها سوى الهياكل والمعابد كما أمر بقتل أهاليها إلاّ الكهنة ومن احتمى في المعابد والهياكل. ولأعجابه بالشاعر الشهير بندار Pindare أمر بأن لا يمس ذراريه بسوء .

— وتدميره مدينة صور Tyr التي رفضت التسليم فاضطر الى وضع الحصار عليها سبعة شهور ولما استولى عليها أباح لجنوده سلب كل مافيها من أموال وتحف ومجوهرات كما أباح لهم قتل كل أنسى فيها إلا من اعتصم بالمعابد والهياكل. وفي اليوم التالي جمع ٢٠٠٠ رجل وكبلهم بالحديد وساقهم الى شاطىء البحر ثم أمر باعدامهم جميعاً (١)

— وتدميره مدينة غزّة التي رفضت التسليم هي أيضاً لحاصرها ثم مثّل بقائدها باتيس شرّ تمثيل .

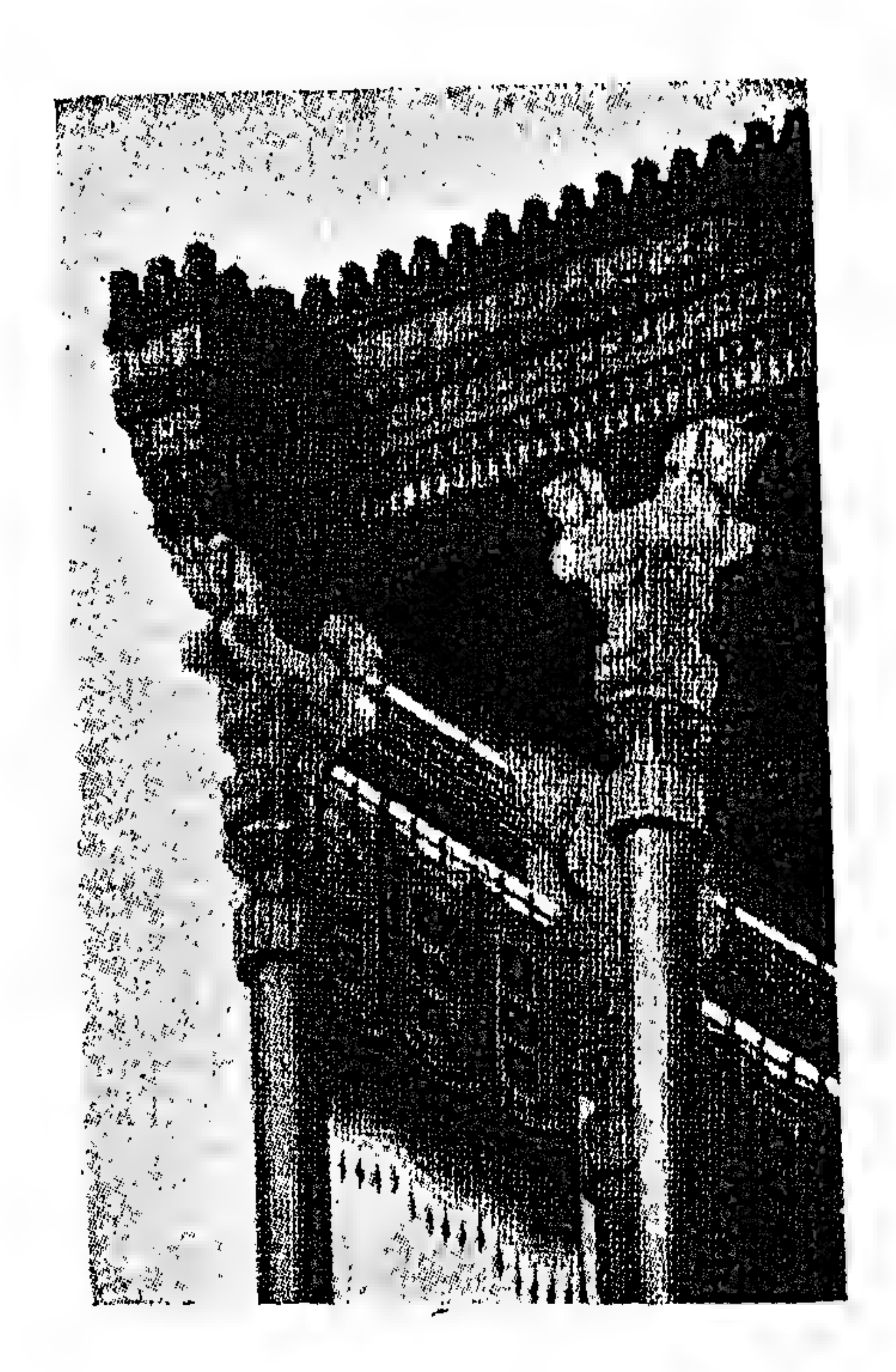
---

(١) ويقول المؤرخ الفرنساوي شافان Chavannes حكاية عن هذه المذبحة الرهيبة : لايوجد في حياة الاسكندر ما يكفر عن هذه الفظائع . هذه الفظائع تكفي وحدها لصب اللعنات على اسمه الى الأبد :

" Rien dans la vie d'Alexandre ne peut racheter de pareilles atrocités. elles suffisent pour vouer son nom à l'exécration de la postérité. V. Les Conquérants célèbres. P. 23. par M. de Chavannes.

— وفي موضع آخر أشار الى محاسنه ومساوئه فقال انه :

" Un homme qui devait un jour étonner le monde par ses vertus et ses vices, et servir de point de mire à tous les conquérants jaloux de marcher sur ses traces : c'est homme était Alexandre . . . . "



ناحية من قصر كزركسيس في برسبوليس

– وتدميره مدينة برسبوليس Persépolis – اصطخر – عاصمة الفرس [١] وقد دمرها نكالا بالفرس لسبق تدمير ملكهم كزركسيس Xerxès مدينة أثينا Athènes عاصمة الاغريق. وجزاء سيئة سيئة مثلها [٢].

– وقتله بارمنيون Parménion قائده الأعظم مع انه خدم أباه فيليب وخدمه هو فى جميع حروبه ولم يحترم شيخوخته و عمره كان ينيف على ٧٠ سنة

– وقتله فيلوتاس Philotas ابن بارمنيون

– وقتله كليتوس Clitus أخاه فى الرضاعة مع انه هو الذى أنقذه من الموت مرّتين مرّة فى واقعة كيرونيه Chéronée ومرّة فى واقعة الجرانيك Granique ومع أن كليتوس هـذا كان رحب الاسكندر وابن حبّه وكان منه بمنزلة السمع والبصر ولما مات بكاه بكاء محرقاً وخامر قصره ثلاثة أيام لم يرقأ له فيها دمع ولم يكتحل بنوم

ومن يعـذره يقول ما قاله أحد المؤرخين فى خالد بن الوليد بعد ما قتل مالك ابن نويره وتزوج امرأته ام تميم فى يوم مقتله وقبل أن يجفف التراب دمه مخالفا بذلك تقاليد العرب اذ قال « فأن أصاب سيفه رَهق فى لحظة من اللحظات فقد أصاب هذا السيف النصر والفخار فى سنوات وسنوات » على ان القياس هنا مع الفارق لأن

---

(١) يروى المؤرخون عن حريق برسبوليس Persépolis انه كان فى بلاد اليونان رقاصة اشتهرت بجمالها اسمها تاييس Thais فتنت شبان أثينا وهام بها أحد فطاحل الشعراء . ولما عزم الاسكندر على غزو آسيا أستصحبها معه . وفى احدى الليالى التي قضاها الاسكندر فى برسبوليس لعبت الخمر فى رأس الاسكندر وفى رؤوس سماره وكانت تاييس هذه تطرب الحاضرين بصوتها الرخيم وبرقصها البديع . وفى الهزيع الاخير من الليل دست فى يد الاسكندر شعلة اندلع لهيبها فى القصر ومنه استطار الى المدينة فأحرقها وتركها قاعا صفصفا .

وفى هذا يقول أحد المؤرخين :

" C'était l'ivresse qui était coupable en lui, ce n'était pas l'homme."

وبعد موت الاسكندر هام بها بطليموس وتزوجها ورزق منها ولدين .

(٢) دمر الاسكندر مدينة برسبوليس ولم يدمر مدينة بازارجاد لان بازارجاد كان لها عند الفرس شيء من القداسة ولذا ترى المؤرخين الافرنج عندما يذكرون بازارجاد يقولون عنها انها : "La Reims ou la Westminster des Achéménides"

ولما زارها المؤرخان ديودور الصقلى وكنت كورس وصفاها « بأنها أغنى مدينة تحت قبة الفلك »

اسكندر قتل كايتوس Clitus وهو خمير والخمر أولها مرار وآخرها خمار . أما خالد فقد قتل مالكا عامداً متعمداً ولغرض غير شريف حتى ان الفاروق عمر بن الخطاب سخط عليه وطلب من الصديق أبي بكر عزله ولما لم يعزل فى حياة أبي بكر كان أول أمر أصدره عمر بعد توليه الخلافة عزل خالد .

— وقتله الفيلسوف الشهير كالليستين Callisthène

— وقتله بسوس Bessus وشركاءه لاغتيالهم الملك دارا وقد كانت قتلة بسوس شنيعة جدا . اذ انه ربط كل ساق من ساقيه بفرس ثم سلط سوطين على الفرسين فى آن واحد فانشطر جسم الرجل شطرين .

— وقتله طبيبه لفشله فى معالجة صديقه هفستيون Hephestion

— وقتله جميع الذين اغتالوا أباه فيليب وجميع من اشتركوا فى اغتياله بغير محاكمة .

— وقتله أهالى عاصمة اوكسدراك Oxydraques من عواصم بلاد فارس .

— وانغماسه فى الملذات وتحريضه أخدانه وضباطه على معاقرة الخمر حتى السكر والعربدة والغيبوبة . والخمر جماع الاثم .

— واستأله فاكره الاغريق والفرس والمصريين والهنود أن يجثوا على الركب كلما مثلوا بين يديه . وكان يوقع على الأوامر التى يصدرها باسم (ابن الاله آمون) . وفكرة الالوهية هذه سرت من بعده الى البطالسة والى قياصرة الرومان .

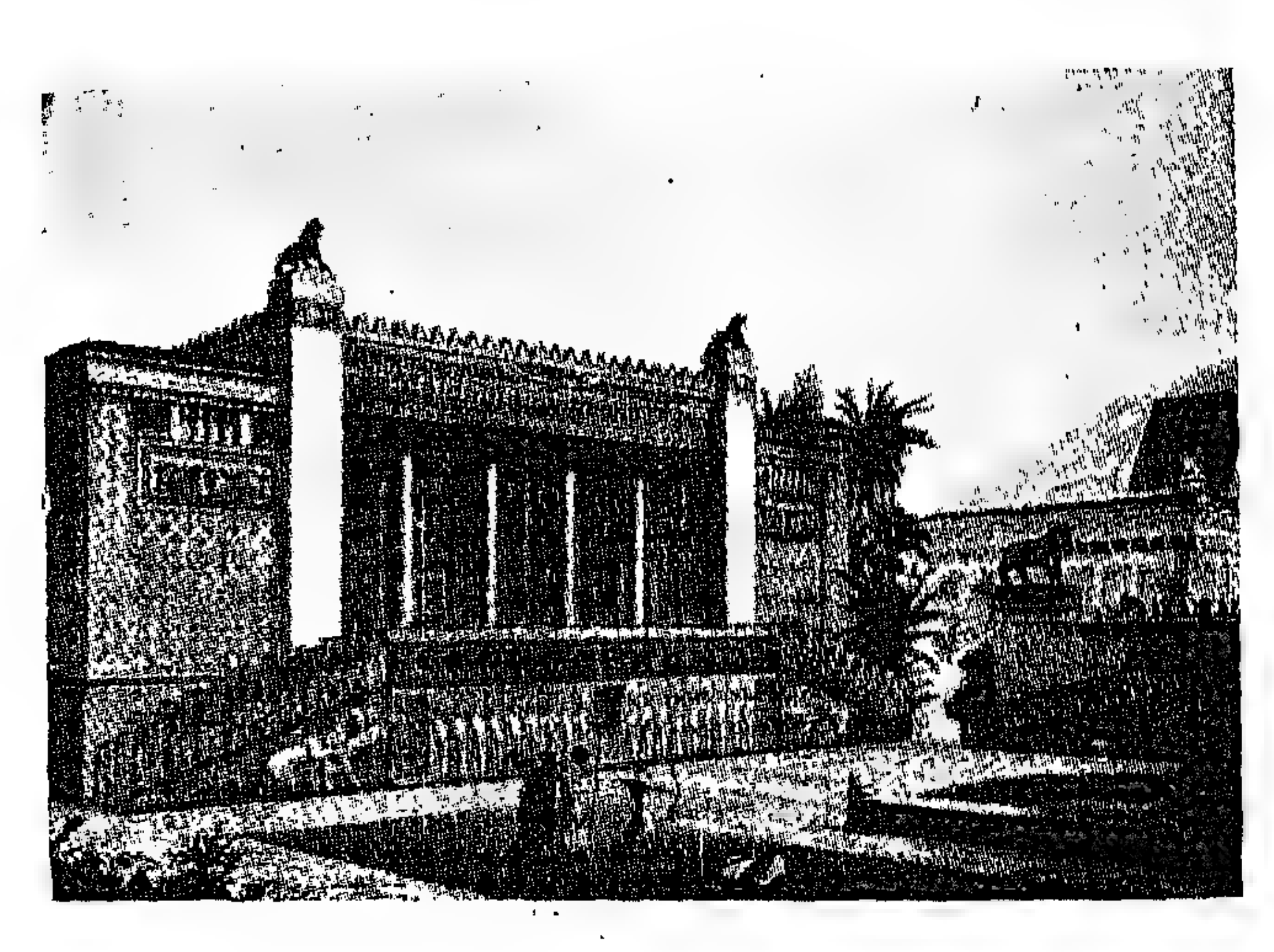
— وطمعه فى بسط سلطانه على العالم بأسره . لم يكتف بملك آسيا بل أراد بسط سلطانه على افريقيا وأوروبا ايضاً.

— وتدويخه أوروبا وآسيا وأفريقيا بحروبه وغزواته . وثله عروش ملوك وأمراء زلزل دولهم واهلاكه من الخلق من اهلك . وسبيه من النساء من سبا وبيعه الأسارى أرقاء[1]

---

(١) وقد أشار المؤرخ شاقان الى هذه الفظائع فقال :

" Il est impossible de ne pas reconnaître qu'Alexandre fut un des plus grands guerriers, un des plus habiles capitaines dont l'histoire fasse mention. Mais si l'on n'a pas oublié les atrocités qui suivirent la prise de Tyr, le supplice de Philotas, de Parménion, de Callisthène et de Bétis, l'assassinat de Clitus, les millions d'hommes détruits, les milliers de villes



قصر دارا في برسبوليس

استعرضت في ذهني هـذه السيئات فتذكرت كلمة قالها نابليون عندما أثيرت أمامه مفاضلة بين ملك عظيم ولويس الرابع عشر الذى عـدّه المؤرخون من أعظم ملوك فرنسا بل من أعظم ملوك أوروبا بل من أعظم ملوك العالم القديم حتى أنهم سموا العصر الذى عاش فيه (عصر لويس الرابع عشر le Siècle de Louis XIV) ولقبوه (بالشمس Le Roi-Soleil) . شبهوه بالشمس لان نور العلم في عصره[1] كان يسطع في

---

dévastées pour la satisfaction personnelle d'un seul homme, on ne sera guère tenté de ratifier le surnom de Grand que ses contemporains lui ont donné. Ses vices égalèrent son génie, et son génie le poussa à devenir un des fléaux du genre humain. P.82. Chavannes.

استطراد . وعلى ذكر الملايين الذين يقول المؤرخ شافان انهم قتلوا في حروب الاسكندر نقول ان الاحصاء الرسمي أثبت ان خسائر فرنسا وحدها من جراء حروب نابليون كانت ٤٧١٠٠٠ قتيل و ٥٣٠٠٠٠ مفقود عدا من جرح ومن أصيب بعاهة من الفرنساويين ومن هلك في حروبه في ايطاليا وفي مصر وفي فلسطين

ويظهر أن جنود الاسكندر ارتكبوا فظائع كثيرة في بلاد الهند . بدليل أن الهنود سموا الاسكندر « ماهادو كويت كون ها "Mahadu Koit - Kounha" » ومعناها « السفاح الاكبر واللص الكبير »

وبوالو Boileau الشاعر الفرنساوي المعروف قال عن الاسكندر انه رجل مجنون ولص من قطاع الطرق . وأشار اليه في بيت باحدى منظوماته قال فيه أنه لو وقع الاسكندر في يد بوليس باريس لأمر بسجنه أو بشنقه . وبوالو هذا عاش في القرن السابع عشر وكان صديق شعراء فرنسا الكبار الاربعة وهم كورنيل Corneille وراسين Racine وموليير Molière ولافونتين la Fontaine . وها ما قال عنه فولتير Voltaire :

" On trouve assez étrange que Boileau le traite de fou, de voleur de grand chemin, et qu'il propose au lieutenant de police La Reynie tantôt de le faire enfermer, et tantôt de le faire pendre:

Qu'on livre son pareil en France à la Reynie,
Dans trois jours nous verrons le phénix des guerriers
Laisser sur l'échafaud sa tête et ses lauriers.

(Sat. XI, V. 83 - 84.)

(١) قال الكاتب الفرنساوى الشهير ارسين هوسيه Arsène Houssaye في كتابه Le Roi-Soleil حكاية عن سبب تسميته " Le roi Voltaire "

" Il n'avait pas le génie de ceux qui signent les grands siècles, comme Alexandre, Auguste, Charlemagne, mais l'histoire le voit et le juge dans l'éclat des hommes qui ont fait son siècle grand. On l'a *surnommé* le *Roi-soleil* bien moins parce qu'il fut le plus magnifique des

جميع أرجاء المعمورة . فلما ذكروا لنابليون نقائص لويس الرابع عشر هذا أجاب (وهل يخلو وجه الشمس من الكلف " Le soleil lui-même n'avait-il pas des tâches " وفى هذه الاستعارة تورية لطيفة . لان لفظ الشمس هنا له معنيان الشمس الحقيقية والشمس المجازية (التى أطلقت على لويس الرابع عشر)

خاصيات ومستطرفات

الحروب والمعارك لا تظهر من رجل الحرب الا ناحية واحدة فقط هي الناحية الفنية الحربية . أما سائر مناحي حياته فتظهر من أقواله وأفعاله وحركاته وسكناته . فقد تبدى لك الفكاهة الحلوة والنادرة الظريفة والجواب المسكت والنكتة اللاذعة والمستظرفات الطريفة نواحي من الرجل أكثر مما تبديه الناحية الفنية . يقول بلوتارك الراوية المؤرخ اليونانى فى هذا الصدد :

"Un petit tait, un bon mot, une raillerie, sont plus propres à faire connaitre le véritable caractère des hommes, que les batailles et les sièges"

نبدأ بذكر طائفة من أقوال وأفعال فيليب أبى الاسكندر وما قيل فيه وفيها . ثم نعقب عليها بطائفة أخرى من أقوال وأفعال اسكندر وما قيل فيه وفيها . والكثير منها ذهب مثلاً

Plutarque, Elien, Sénèque et plusieurs autres auteurs ont recueilli sur Philippe, roi de Macédoine, des paroles et des actions qui peignent son caractère, et font connaitre son esprit, ses vertus et ses vices.

1 — Un esclave était chargé de lui dire chaque matin, à son réveil : "Philippe, souviens-toi que tu es mortel."

2 — Ses courtisans lui conseillaient de bannir un homme qui disait du mal de lui : "Bon, bon, répondit-il, pour qu'il aille en médire partout."

---

princes, que parce qu'il s'est illuminé du rayon de toute une pléiade d'hommes de génie. C'est de lui que date la France souveraine, la France universelle, la France muse, le pays victorieux de toutes les victoires, qui impose sa langue, ses moeurs, ses idées et ses pompons. Ce sont nos conquêtes morales qui ont franchi les Pyrénées, les Alpes et le Rhin. Bien plus, les nations voisines ne se sont éveillées ou réveillées qu'au bruit des victoires et des fêtes de ce règne dominateur.' Voir ; Houssaye : Le Roi Voltaire. page 23.



فيليب ابو الاسكندر يستعرض جنوده

3 — On l'excitait à chasser de sa cour un philosophe qui avait la hardiesse de lui adresser des reproches : "Prenons garde, répondit-il, si nous ne lui en avons point donné sujet."

4 — Quand il apprenait qu'un de ses ennemis était dans la gêne, il lui faisait porter des secours, et disait à ce sujet ce mot, qui annonce au moins une politique habile: "Il est au pouvoir des rois de se faire aimer ou haïr."

5 — Après la bataille de Chéronée, Philippe, dans l'enivrement de la victoire, insultait aux prisonniers. L'orateur Démades, l'un d'eux, dit alors hardiment au prince : "Tu joues le rôle de Thersite, quand tu pourrais être un Agamemnon." Cet avis généreux valut la liberté à Démades et un traitement plus doux aux autres prisonniers.

6 — Une pauvre femme le pressait de lui rendre justice, et comme il la renvoyait de jour en jour : "Cessez donc d'être roi," lui dit-elle avec émotion. Ce mot naïf, mais profond, ramena soudain Philippe à son premier devoir.

7 — A une audience publique, comme il se tenait dans une position peu convenable, un esclave l'en avertit : "Qu'on mette cet homme en liberté, dit Philippe, j'ignorais qu'il fût de mes amis."

8 — Un autre jour, une femme vint lui demander justice au sortir d'un long festin, et fut condamnée : "J'en appelle, s'écria-t-elle vivement.— Et à qui ? répondit le roi ; — A Philippe à jeun," répliqua-t-elle, et Philippe examinant de nouveau l'affaire reconnut l'injustice de son jugement et la répara aussitôt. Cette dernière anecdote est restée célèbre et il est fait souvent allusion.

9. — Pendant que la Grèce était déchirée par les fureurs de la Guerre Sacrée, Philippe s'empara de Méthone et la détruisit. C'est pendant le siège de cette ville qu'il perdit l'oeil droit, par une singulière aventure que raconte Suidas. Un habile archer d'Amphipolis, nommé Aster, était venu offrir ses services à Philippe. Il se vantait de ne jamais manquer un oiseau dans son vol le plus rapide. "Bon lui avait répliqué Philippe, je t'emploierai quand je ferai la guerre aux étourneaux."

La raillerie piqua au vif l'habile tireur ; il se jeta dans Méthone, et lança contre le roi une flèche sur laquelle il avait écrit ces mots : "A l'oeil droit de Philippe." Aster n'avait pas exagéré son adresse ; car la flèche alla frapper le but. Philippe la fit renvoyer à l'archer avec cette inscription:" Si Philippe prend la ville, Aster sera pendu;" et il tint parole.

10. — Philippe, roi de Macédoine et père d'Alexandre le Grand, est un des plus habiles politiques qui aient régné. Il s'avançait par tous les moyens possibles vers le double but qu'un génie ambitieux lui avait révélé comme le terme de ses efforts : l'unification de la Grèce sous son autorité, et la conquête des Perses. Toute sa vie il y marcha par la force ou par la ruse, par le fer ou par l'or, directement ou par des voies détournées ; enfin son grand art était d'unir la force à la dissimulation. On a pu dire de lui, qu'élevé par Epaminondas, grand philosophe, grand capitaine et grand homme d'Etat, Philippe avait appris sous ce maître illustre l'art de la guerre et l'art de gouverner, mais qu'il n'avait su acquérir ni sa justice ni sa grandeur d'âme, ni son désintéressement. L'un des premiers actes de son règne avait été de s'emparer de Crénides, près de laquelle il avait trouvé des mines d'or qui lui rapportaient chaque année, plus de 1,000 talents (environ six millions); c'est avec cet argent qu'il corrompit la Grèce.

L'oracle de Delphes lui avait dit ; "sers-toi d'armes d'argent, et rien ne te résistera." Il fut toute sa vie fidèle à ce conseil, et il avait coutume de dire qu'il ne connaissit pas de forteresse imprenable, "quand un mulet chargé d'or pouvait y monter."

Le mulet de Philippe, ce mot d'une force si pittoresque et si originale, revient sous la plume des écrivains, quand ils veulent exprimer avec énergie la puissance irrésistible de l'or. Fleurs historiques, par P. Larousse

فذهبت مثلا . مثال :

"Je suis convaincu que les animosités, l'amour-propre et l'intempérance de langue ont plus nui à la République que le mulet du roi Philippe." Camille Desmoulins, le Vieux Cordelier.

مثال آخر :

"Au jardin des Tuileries ; nous regardions jouer le télégraphe, espérant ou craignant la nouvelle qui traversait l'air sur notre tête. O mulet chargé de l'or de Philippe ; comme vous nous manquiez pour entrer dans les forteresses de Ferdinand ; Eussions-nous eu cinquante millions à nous, nous en aurions disposé, afin d'écarter ce qui pouvait nous faire obstacle. Chateaubriand, Guerre d'Espagne.

أما عن الاسكندر فقد روينا من قبل بعض مستطرفاته ومنها ما ذهب مثلا مثل ما دار بينه وبين أبيه . وما قاله بعد ان وزع امواله . " Prince, lui demanda Perdiccas, que vous reservez-vous donc?" "L'espérance" répondit Alexandre

فذهبت مثلا . وها مثال :

L'espérance, Alexandre n'avait pas autre chose dans son sac lorsqu'il partit pour la conquète de l'Asie, V. Edmond About. Guillery.

ومادار بينه وبين أم دارا وزوجة دارا . وما قاله فيه دارا لما بلغه عناية اسكندر بجميع أفراد أسرته . وما قالته أم دارا فيه لما بلغها نبأ موته . وما دار بينه وبين ديوجين (١) . "Si je n'étais Alexandre, je voudrais être Diogène" وما جرى له مع أخت تياجين . وما دار بينه وبين بارمنيون لما عرض دارا عليه الصلح . "Et moi aussi, si j'étais Parménion" وقد ذهبت مثلا وما قاله اسكندر لأتالوس . وما أظهره من الثقة فى طبيبه لما وشوا به (٢) . وما قاله اسكندر لبوروس ملك الهند . وما قالته تالستريس ملكة الهند لأسكندر . وما فعله اسكندر لما مثل اسن قواده بين يديه وتضرع إليه

---

(١) — اختلفت وجهة نظر المؤرخين فى سؤال اسكندر واجابة ديوجين . فبينا يقول المؤرخ الالمانى درويزن Droysen انه « اذا كان سؤال اسكندر هو سؤال ملك فاجابة ديوجين هى اجابة حكيم » "Si la question était d'un roi, la réponse était d'un sage يقول هلفسيوس Helvetius أن اجابة ديوجين كانت اجابة وقحة . وها ما قرأناه فى هذا الصدد

"Beaucoup n'ont vu dans cette réponse de Diogène au conquérant qu'un dernier trait de ce cynisme philosophique dont il s'était fait gloire toute sa vie. C'est dans ce sens qu'Helvétius a dit :

"Quand, dans un moment d'emportement, où Vespasien menace de la mort Helvidius, celui-ci répond au tyran " Vous ai-je dit que je fusse immortel ? Vous ferez votre métier de tyran en me donnant la mort ; moi, celui de citoyen en la recevant sans trembler ;" Helvidius est un homme ferme. Mais quand Alexandre demande à Diogène, assis dans son tonneau, ce qu'il désire de lui, et que Diogène lui répond :" Que tu te retires de mon soleil, "Diogène est un impudent."

(٢) وقد ذهبت مثلا : يقول أحد كتاب فرنسا Brillat Savarin فى كتابه Physiologie du goût

"Je lui présentai un verre d'eau saturée de sucre, qu'il avala avec la confiance d'Alexandre ingurgitant cette fameuse médecine qu'on lui avait dit être du poison."

باسم الجيش بأن يأمر بالعودة إلى الوطن . وما قاله بعض حكام الفرس فى اسكندر الطفل وهلم جرا . والآن نذكر لك طائفة أخرى

— كانت عينا الاسكندر مختلفتى اللون . اليمنى كانت سوداء واليسرى زرقاء

— ظهرت أول علامة دلّت على فرط فراسة الاسكندر وهو شابّ عند ما عجز حواشى أبيه عن ركوب الجواد بوسيفال . الجواد لم يكن حرونا بل كان سلسا.انما لماوقع نظره على ظله خاف وحرن . ادرك الاسكندر ذلك فأمسك بلجام الجواد وأداروجهه نحو الشمس فوقع الظل خلفه فلم يره . عندذلك وثب الاسكندر وامتطى الجواد وجرى به أمام أبيه وأمام الحاضرين . فرح أبوه وبكى من فرط اعجابه ثم عانق ابنه وقال له (ان المُلك الذى سوف أتركه لك سيكون صغيراً بالنسبة الى رجل مثلك)

" Le royaume que je te laisserai est trop petit pour un homme comme toi "

— وكما كان الاسكندر ذا فراسة فى صباه كان طموحا الى العلى والحكم . فكلما بلغه خبر انتصار أبيه فى معركةٍ ما يتأوّه ويقول (سوف لا يترك لى أبى شيئاً أعمله اذا ما آل الىّ الملك من بعده)

"Mon père ne me laissera rien à faire quand je serai en âge de commander"

— سئل وهو فتى أذا كان فى نيته دخول المباراة فى الالعاب الاولمبية فاجاب : « ادخل إذا كان أندادى ملوكا »

" J'irais, si je savais y rencontrer des rois pour rivaux "

— هبط على بلاط الملك فيليب اثنان من حكام الفرس وكان عمر الاسكندر سبع سنوات . فانتهز الاسكندر فرصة اجتماعه بهم ووجّه اليهم أسئلة متعددة عن أحوال ملكهم و بلادهم ونظمها السياسية والحربية والادارية و بقى يتحدّث معهم هنيهة من الزمان فأعجب الحاكمان بذكائه وقال أحدهما (مع أن الاسكندر لا يزال طفــلا الا انه بلغ عظمة كبار الملوك . أما ملكنا نحن فكل ما يمكن أن يقال فيه انه أمير من كبار الاغنياء)

— لما عجز فيليب عن فتح بيزانطة (استانبول الآن) انقلب راجعاً الى بلاده .

وفى أثناء عودته قاتل شعوب تراقيا (les Triballes) وفى أثناء القتال أصابه رمح فى فخذه فوقع هو وجواده . فلما رآه الاسكندر قد وقع كان أسرع من طرفة عين لانقاذه فصال على الاعداء وقتل منهم خلقاً كثيراً وولى الباقون الأدبار .

- كان الاسكندر يجل أستاذه ارسطاطاليس اجلالا كبيراً ويحفظ له ذكرى عهد تلمذته عليه وكان يقول دائما (لأبى علىَّ فضل ولأرسطو علىَّ فضل . إلا ان فضل ارسطو فوق فضل أبى . لأن لابى فضل وجودى ولأرسطو فضل تعليمى وتربيتى) واعترافا بفضل ابيه عليه فكر فى ان يخلد ذكراه باقامة مقبرة له تكون على مثال اهرام الجيزة وبحجم الهرم الاكبر .

- بلغت جرأة الاسكندر مبلغاً أدهش العالم . إذ انه على الرغم من بسطة ملك دارا - وكان ملكه يحوى ١٢٥ مملكة وامارة ودويلة وولاية - وكثرة جيوشه ووفرة موارده فان الاسكندر مع صغر سنه وصغر جيشه وقلة موارده لم يتردد لحظة فى محاربة دارا ليثأر لبلاده التى غزاها الفرس من قبل ودمّروا مدنها وخربوا قراها وسلبوا آثارها وسبوا نساءها وأسروا رجالها واسترقوا أولادها . وليحرّر المدن الاغريقية والثغور الاغريقيــة ويرفع عنها نير ملك الفرس بانتزاع صولجان الملك منه وبسط سلطانه هو على آسيا بحذافيرها

— لما وقعت اسرة دارا فى أسر الاسكندر ذهب الاسكندر بنفسه ومعه صديقه هفستيون Héphestion لمواساتها . فعندما وصل الى الصيوان جثت أم داراوزوجته على قدمي هفستيون ظناً منهما أنه هو الاسكندر . إلا ان أحد عبيد دارا نبههما الى خطئهما فأرادت الأم أن تعتذر فأجابها الاسكندر من فوره متواضعاً (لا محل للاعتذار يا امى لأن هذا - وأشار الى هفستيون - هو ايضا اسكندر "Vous ne vous êtes pas trompée, ma mère, celui-ci est aussi Alexandre"

— عامل الاسكندر ام دارا معاملة كريمة جدًّا فحفظ لها مقامها بما يحقّه من عظمة وجلال كما لو كان دارا جالساً على عرش الفرس وكما لو كان دارا حيّاً . فلما اتصل بأم دارا نبأ موت الاسكندر بكت وقالت (مَن لنا بعدك يا اسكندر ودعت له بالرحمة)

— بعد ما برح الاسكندر ممفيس (ميت رهينه الان) وصل اليه نبأ وفاة ستاتيرا

Statira زوجة دارا متأثرة بالمصائب التى حلّت بها وبزوجها وبوطنها. فأمر الاسكندر بأن يكون الاحتفال بتشييع جثمانها احتفالا فخما يجمع كل ما عرفه الفرس من الأبهة والعظمة والجلال وأن تكون الجنازة حسب الطقوس والعادات الفارسية . فلما علم دارا بما فعله اسكندر قال (اللهم قدّرنى على أن أحتفظ ببلاد فارس لأتركها لخلفائى من بعدى كما تلقيتها عن أسلافى من قبل . واذا أرادت مشيئتك أن تسقط أسرتى عن العرش فاسكندر أولى به من سواه)

— وانكسار دارا فى معركة اربل وفراره الى ولاية بخارى عند حاكمها بيسوس خوفاً من وقوعه فى أسر الاسكندر ثم خيانة بسوس واعتقاله دارا ثم قتله اياه غيلةً تمهيداً لاستوائه على عرش الفرس من الحوادث التاريخية التى ضربوا بها المثل فى الخيانة والغدر مثلها كمثل قصة كليب التى يتمثل بها الشاعر فى قوله

المستجير بعمرو عند كربته   كالمستجير من الرمضاء بالنار (١)

وها مثال واحد من ألف :

"Gauthier, de Lille surnommé de Châtillon, qui vivait au quinzième siècle. Il a composé un poème en dix chants, intitulé l'Alexandréide. Le vers dont il s'agit est le 30le. du cinquième livre, où le poète s'adresse a Darius qui, fuyant Alexandre, tomba entre les mains de Bessus.

Quo tendis inertem,
Rex periture, fugam? Nescis heu, perdite, nescis
Quem fugias; hostes incurris dum fugis hostem,
Incidis in Scyllam cupiens vitare Charybdim.

" Roi, qui dois périr, où cours-tu dans ta fuite inutile? Hélas, malheureux, tu ne sais qui tu dois fuir. Pour échapper à un ennemi tu te précipites sous les coups d'un ennemi, pour éviter Charybde tu tombes dans Scylla." V. Flore latine par Pierre Larousse. P. 120,121

— وكان ينهى عن القتال فى الليل . ينام ملء جفونه كلما جنّ الليل . حدث أن فريقا من ضباطه حضروا اليه ذات ليلة وقالوا له أن الظروف مواتية للهجوم على الفرس

(١) وهو تلميح الى قصة كليب حين طعنه عمرو الملقب جساس فألقاه على الارض فقال كليب ياعمرو أغثنى بشربة ماء فأجهز عليه فقيل البيت وسار مثلا يضرب لمن يستجير فيزيده المستجار بلية على بليته

فى ظلام الليــل . فأبى أن يستمع منهم وقال لهم « لسنا لصوصاً نعمل خلســة فى جوف الليل . » [1]

ومن الامور الغريبة تحقق خمس نبؤات وثلاث مصادفات تتصل بحياة الاسكندر.

النبؤة الاولى-لما نوى الاسكندر محاربة الفرس وغزو آسيا مرّ بمدينة دلف Delphes (فى بلاد اليونان) ليستوحى معبودها. فلما تباطأت الكاهنة فى الصعود على الدرج أمسكها الاسكندر بقوّة ودفعها نحو الدرج . فقالت له الكاهنة : « يا ابنى ومن ذا الذى يقدر على مقاومتك " Ah! mon fils, on ne saurait te résister " . فقال الاسكندر : " Cet oracle me suffit, et je n'en veux point d'autre " (هـذا الوحي يكفيني ولا أريد غيره) . وقد كان ما قالته الكاهنة

والثانية-عند مازار مدينة جورديوم Gordium وجد فيها مركبة عليها حبل ملفوف ومعقد عجز الناس عن حله . وسرى فى اعتقاد الناس بأن الآلهة قالت بأن من يحل عقدة هـذا الحبل يبسط سلطانه على العالم . فلمــا حاول الاسكندر حلّ العقدة ولم يوفق اغتاظ فانتضى سيفه وهوى به على العقدة فقطعها . فاعتقد الناس ان النبوءة تحققت وان الاسكندر سيبسط سلطانه على العالم[2]. وقد تحققت النبوءة

---

(١) ــــ فى القرن الحادى عشر أصــدرت الـكنيسة أمراً حرمت فيه قتال القساوسة والمرضى والضعاف . كما حرمت القتال فى أيام معينة من كل أسبوع تبدأ من مساء الاربعاء الى صباح الاثنين ومن خالف أمرها حرمته (بالحرم الـكنسي) . كما انها حرّمت القتال فى بعض الاعياد ومنها : " les Quatre-temps, les Vigiles, l'Avent et le Carême."

والعرب كانت فى الاشهر الحرم ـــ وهى رجب وذوالقعدة وذوالحجة والمحرم ـــ لاتقرع الاسنة . فيلقى الرجل قاتل أبيه أو أخيه فيها فلا يهيجه تعظيما لها . وتسمى مضر الشهر الحرام « الاصم » لسكون أصوات السلاح وقعقعته فيه . راجع تفسير الطبرى جزء ٢ ص ٢٠١

(٢) وعقدة جورديون Le nœud gordien ذهبت مثلا يطلقونهــا على كل مشكلة يصعب حلها . أذكر لك مثالين :

ــ لما زحفت جيوش الحلفاء على فرنسا فى خلال سنة ١٨١٤ وبدأت الدسائس تحاك فى باريس لخلع نابليون ارسل نابليون من مدينة ريمس Reims الى وزير البوليس كتاباً بتاريخ ١٤ مارس سنة ١٨١٤ قال له فيه : ألا يعلم كل هؤلاء الناس بأنى أحل عقدة جورديون على مثال ما حلها الاسكندر ؟

" Tous ces gens là ne savent point que je tranche le nœud gordien à la manière d'Alexandre."

- وورد فى كتاب ذكريات تاريخيه Souvenirs historiques للكاتب الشهير فيلمين Villemain

"Tous les artifices du raisonnement ne pouvaient rien pour délier ce nœud gordien que l'épée seule devait trancher."

الثالثة – لما وصل الاسكندر الى واحة سيوه ودخل معبد آمون طلب من كبير الكهنة أن يسأل الاله آمون ان كان سيوفق فى حروبه وغزواته و يبسط سلطانه على العالم أم لا . فأجابه كبير الكهنة بأنه سأل آمون معبود المصريين فكان جوابه بالايجاب . وقد تحققت نبوءة آمون .

الرابعة- بعد مابسط الاسكندر سلطانه على آسيا و بويع فى مدينة أربل Arbèles ملكا على آسيا و بعد ما غزا جميع البلاد ووصل الى الهند قفل راجعا وقبل دخوله مدينة بابل حضر اليه وفد من أعيانها وقالوا له ان معبودهم ماردوك Mardouk تنبأ بأنه اذا دخل الاسكندر مدينة بابل فانه يموت فيها . وقد تحققت هذه النبوءة الثالثة أيضاً

و بهـذه المناسبة نقول أن الأغريق (ولا سيما اهالى أثينا واسبارطه) كانوا يحضرون خصيصاً من بلادهم لأستلهام آمون معبود المصريين . وكان شعراؤهم ينظمون الشعر مدحا فيه كما كان مؤرخوهم يذكرونه فى كتبهم وفى أحاديثهم . وكان اهالى برقة وقرطاجنة يحجون اليه ليستوحوه . وقيل أن سيميراميس Sémiramis ملكة بابل حضرت هى ايضاً من بابل الى مصر خصيصا لتستوحى آمون . كما أن بعض الملوك والفلاسفة كانوا يحجون أيضاً الى واحة سيوه لأستلهام آمون ومنهم كريزوس Crésus وسيمون Cimon والسيبياد Alcibade وليزاندر Lysandre .

الخامسة – لما تنبأ سيدنا دانيال لبختنصر بأن دولة الفرس زائلة تنبأ فى الوقت نفسه بأنها ستزول على يد الروم . وشبه ملك الروم بنسر للدلالة على أنه سينقض عليها كانقضاض النسر على فريسته . وقد كان .

السادسة والسابعة (من المصادفات)- حدثت حادثتان يوم ولادة الاسكندر فى خلال سنة ٣٥٦ قبل الميلاد الاولى احتراق معبد أيفيز Ephèse وهى مدينة فى آسيا الصغرى Ionie على بعد ٦٠ كيلو متراً من أزمير اشتهرت بالمعبد الشهير الذى بنى على الطراز المصرى القديم وعدّ من عجائب الدنيا السبع وقد شيد بالمبالغ الوافرة التى اكتتبت بها مدن آسيا . ففي يوم ولادة اسكندر دخل مخبول أسمه أيروسترات Erostrate ووضع النـار فى المعبد فالتهمته وأصبح أثراً بعد عين . وايفيز هـذه دثرت وحلت محلها قرية أسمها الآن أيا صلوق Aia Solouk . والثانية استيلاء جيوش فيليب



اسكندر على صهوة جواده

ملك مقدونيا على مدينة بوتيديه Potidée وهى مدينة فى بلاد اليونان على برزخ كورنتا أسمها الآن بيناكا Pinaka

أوّل الناس وقوع هاتين الحادثتين فى يوم واحد وفى يوم ولادة الاسكندر بداية عهد جديد تسعد فيه مقدونيا وتشقى فيه آسيا . وقد كان .

الثامنة - لما أغتيل فيليب أبو الاسكندر أبتهج الاغريق وفرحوا وقاموا بمظاهرات عدائية ضد المقدونيين حتى أن مدينة طيبه ذبحت الحامية المقدونية على بكرة أبيها . خطب فيهم فوضيون Phocion أحد قوادهم وقال لهم « لا تتعجلوا أن الجيش الذى هزمكم فى واقعة كيرونيه Chéronée لا يزال كما كان لم ينقصه إلا رجل واحد » . فلما اتصل قوله هذا بالاسكندر قال مهدداً « الجيش لم ينقصه أحد . واحد حل محل واحد . وسيعلم الثائرون أى منقلب ينقلبون » وقد كان . اذ نفذ الاسكندر وعيده فزحف على رأس جيشه ولما بلغ مدينة طيبه دمرها ولم يذر فيها حجراً على حجر .

— وجواد اسكندر بوسيفال Bucéphale بقى اسمه على ممر الدهور والأعوام علماً على الجواد المطهم . كتب الكاتب الفرنساوى الشهير شاتوبريان Chateaubriand فى كتابه : Itinéraire de Paris à Jérusalem

"On racontait, lorsque j'étais à Jérusalem, les prouesses d'une de ces cavales merveilleuses qui font souvent l'objet de l'entretien du pays. Ali-Aga m'a religieusement montré, dans les montagnes, près de Jéricho, la marque de cette jument morte en voulant sauver son maître. Un Macédonien n'aurait pas regardé avec plus de respect la trace des pas de Bucéphale. Chateaubriand, Itinéraire de Paris à Jérusalem."

— كان الاسكندر وهو فى قلب آسيا وفى أطرافها يحسب حساب أهل آتينا وأهل اسبارطه وأهل كورنته وأهالى بلاد الاغريق الذين كانوا يعدّون فى طليعة العالم المتمدن فى ذلك الزمان . وكان كلما غزا بلداً أو هزم عدواً يفكر فى ما يقوله هؤلاء وهؤلاء فى بطولته وفى فروسيته ويقول : « يا أهل آتينا كم جهادٍ جاهدتُ فى سبيل ارضائكم وكسب اطرائكم » فذهبت مثلا

"Du fond de l'Asie, Alexandre avait les regards fixés sur la

Grèce, et surtout sur Athènes. Malgré l'abaissement dans laquelle elle était tombée, cette ville, par les chefs-d'oeuvre de ses artistes, les immortelles harangues de ses orateurs et les écrits de ses historiens, était toujours restée la métropole du monde civilisé; et Alexandre, si passionné pour la gloire, aspirait avant tout aux applaudissements de ces Athéniens frivoles, mais qui n'en distribuaient pas moins pour la postérité le blâme et la louange. Le conquérant venait de pénétrer dans les vastes régions de l'Inde, et se préparait à traverser l'Hydaspe, dont Porus, à la tête d'une armée formidable, allait lui disputer le passage. Le fleuve était large et profond, et ses flots se brisant avec fracas, montraient çà et là des rochers menaçants. Alexandre trompe l'attention des ennemis par une fausse attaque, et profitant d'un orage qui dérobe ses mouvements, brave des périls inouis pour passer le fleuve? Il avoua ensuite qu'il avait enfin trouvé là un péril digne de son courage, et ce fut dans cette circonstance, dit Racine qu'il s'écria: "O Athéniens, combien il en coûte pour être loué de vous;"

فذهبت مثلا :

"Un auteur doit donc se donner toutes les peines imaginables pour en épargner à ses lecteurs; il doit souvent répéter d'après Alexandre le Grand: "O Athéniens; qu'il m'en coûte pour être loué de vous;" (Helvétius, de l'Esprit.)

— توجد أيام فى حياة الانسان وفى حياة الامم لها شأن يذكر اتخذها المؤرخون مبدأ للتاريخ. فولد المسيح مثلا كان حادثاً عظيم الشأن فى تاريخ النصرانية اتخذه النصارى مبدأ لتاريخهم. وهجرة النبي من مكة الى المدنية كانت حادثاً عظيم الشأن فى تاريخ العرب اتخذها المسلمون مبدأ لتاريخهم. والثورة الفرنساوية التى شبت فى سنة ١٧٨٩ كانت حادثاً عظيم الشأن فى تاريخ فرنسا اتخذها الفرنساويون مبدأ لتاريخ حياة جديدة فى فرنسا (الا أن العمل بتاريخ الثورة لم يعمر طويلا).

وانتصار اسكندر على دارا فى سنة ٣٣٠ قبل ميلاد المسيح كان حادثاً عظيم الشأن فى تاريخ العالم القديم. اهتزت له ارجاء الامبراطورية الفارسية فى آسيا وفى أفريقيا كما اهتزت له بلاد الاغريق ومقدونيا وما اليها. عظم شأن هذا الحادث حمل هذه البلاد على تأريخ حوادثها الكبيرة بسنة انتصار اسكندر على دارا. وكون الشعوب الآسيوية تؤرخ حوادثها بسنة انتصار اسكندر على دارا ان صح أن نفهمه وان نقبله وان نبرره الا اننا لا نفهم كيف ان العرب حذوا حذوهم وصاروا هم أيضاً يؤرخون



رأس الاسكندر

الموجود فى المتحف الاغريقي باسكندرية

بسنة انتصار اسكندر على تملك الفرس ، مع ان بين عهد الاسكند وصدر الاسلام الف سنة تقريباً . ذكرنا من قبل ان مؤرخى العرب أرخوا مولد النبى بغلبة اسكندر على دارا . فنجد مثلا المقريزى عند كلامه على تاريخ مولد النبى يقول فى الصحيفة الرابعة من الجزء الاول من كتابه (امتاع الأسماع بما للرسول من الانباء والمتاع) : (وكان على الحيرة - يوم ولد - عمرو بن المنذر بن امرىء القيس وهو عمرو بن هند وذلك قبل ولاية النعمان بن المنذر المعروف بأبى قابوس على الحيرة بنحو من سبع عشرة سنة وهى سنة احدى وثمانين وثمانمائة لغلبة الاسكندر بن فيلبوس المجدونى على دارا).

وفى صحيفة ٤٤ قال عن مقدم النبى المدينة (ودخل المدينة يوم الجمعة لثنتى عشرة من ربيع الأول حين إشتدّ الضحاء . وقال ابن شهاب للنصف منه وذلك سنة أربع وخمسين من عام الفيل وهو اليوم العشرون من ايلول سنة ثلاث وثلاثين وتسعمائة للأسكندر . . .) والتقويم المقدونى يبدأ عندهم من الخريف ويتألف من اثنى عشر شهراً هلالياً . وبعد انتصار اسكندر على دارا صدر أمر الى جميع بلاد آسيا بوجوب العمل بالتقويم المقدونى ونفذ هذا الأمر فى مصر حيناً من الزمان.

- خلد الأغريق ذكرى الاسكندر بتماثيل جمة من صنع مهرة الفنانين اقتنت متاحف أوروبا وامريكا عددا كبيراً منها . ولعل من اتقنها ومن أجملها رأس الاسكندر الذى عثروا عليه فى قاع النيل ونقل الى متحف الاسكندرية ثم تسرب منها فيما بعد الى متحف بوسطون Boston بأمريكا . كذلك خلدوا ذكراه بنقش صورته فى العملة التى كانت متداولة فى ذلك العهد وهى من صنع الفنان الشهير ليزيماك Lisimaque . كما نقشوا صورته على المداليات الذهبية الكثيرة التى عثروا عليها فى حفريات أجريت فى بعض البلاد . وعثروا فى ملك البارون الفريد منشه فى شارع باب شرقى باسكندرية (وهو الآن شارع فؤاد الأول) على رأس للأسكندر الاكبر من المرمر الفاخر . ويوجد فى مونيخ بالمانيا بالمتحف المسمى جايب توتيك Glyptothèque آثار مصرية قديمة منها تمثال لرع أله الشمس عند المصريين وتمثال لأحد كبار الكهنة المصريين ومسلة من العهد الرومانى ورأس لجوبيتير آمون Jupiter Amon « ذو قرنين » [1]

(١) ولعل هذا سبب تسمية الاسكندر بذى القرنين

وتمثال آخر للأسكندر الاكبر . كما توجد فى مكتبة جينيفيف Géneviève بباريس كاميه Camée من العقيق للأسكندر الاكبر من أروع ما وجد . وفى المتحف اليونانى الرومانى بالاسكندرية تمثال أثرى قديم للاسكندر (وهو الذى نقلنا صورته فى كتابنا هـذا)

- واشتهر في عهد الاسكندر مصور بارع اسمه أبيـــل Apelles صنع للاسكندر صورة بديعة جداً يظن الناظر اليها أن الاسكندر سينطق وصل اتقانها الى درجة ان الاسكندر نفسه عند ما رآها قال أن للاسكندر الآن شخصين الشخص الحقيقى ابن فيليب والشخص المجازى ابن أبيل . كما انه صور جواده بوسيفال Bucephale و بلغت درجة اتقان التصوير انه لما وضع الاسكندر الصورة امام جواده صهل .

- وكان بين الاغريق مهندس اسمه دينوكرات Dinocrate من اهالى رودس عرض على الاسكندر أن ينحت فى جبل آتوس Athos تمثال ضخم يمثل الاسكندر و يكون طبق الاصل تماماً .

- رويت لك قصة ملكة الهند تالستريس وزواجها بالاسكندر . وها قصة أخرى مثلها يرويها المؤرخون العرب وكلها عجب . في عهد خلافة أبي بـكر الصديق كانت امرأة تميمية من بني يربوع اسمها سجاح بنت الحارث أدعت النبوة – ولعلهـا الانثي الوحيدة التي إدعت النبوة – أرادت ان تغزو المدينة وان تقاتل أبا بكر وان تدعو العرب الى الايمان بها ليقولوا عنها ما قاله عينيّة بن حصن عن طليحه « نبية من بنى يربوع خير من نبى من قريش وقـد مات محمد وسجاح حية » فلمـا بلغت سجاح اليمامة هابها مسيلمة وأرسل اليها يستأمنها على نفسه فأذنت له فجاء فى اربعين من بنى حنيفه ثم خلا اليها يحدثها و يذكر لها انه كان يرى ان لقريش نصف الارض فظلموا فأيـكن نصف الارض لها . ثم تناظرا وتحادثا وطال بهما الحديث وأعجبت سجاح بمسيلمة و بحلو حديثه وما شرع لقومه وانتهت الى الايمان بتفوقه . فلما عرض عليها أن تجمع نبوته الى نبوتها وان يتزوجا قبلت وانتقلت الى خيامه واقامت معه ثلاثة أيام « بلياليها الملاح » ثم رجعت الى قومها . (راجع كتاب الصديق أبى بكر لهيكل باشا صفحة ١٤٠ وما بعـدها) . أليست هـذه « صورة مصغرة » لما حدث بين الاسكندر وتالستريس

— ولعل اغرب المصادفات والتوفيقات التى صادفت الاسكندر الحادثتان اللتان وقعتا له عندما قصد زيارة معبد جوبيتير آمون فى واحة سيوه :

الاولى — بعد مسيرة اربعة أيام من مرسى مطروح نفد الماء الذى كان اسكندر قد تزوده من الاسكندرية واصبح الجيش فى حالة قلق يكاد يدنو من اليأس . وبينما هم فى هذه الحال من القلق واليأس أذا امطار غزيرة لم تكن فى الحسبان تهطل عليهم بكثرة لم يعهد لها مثيل فارتوى الجند بعد ان كادوا يهلكون من العطش وكان تهطال المطر بدرجة عظيمة حتى ان بعضا من الجنود كانوا يفتحون أفواههم ليتلقوا مياه المطر وهو نازل من السماء .

والثانية — فى اثناء زحف اسكندر وجيشه نحو سيوه ضلا الطريق.لأن الامطار الهطالة والسافيات العاصفة محت أثر الطريق المؤدى الى سيوه . فحار الاسكندر وقواده وجنده وأصبحوا يقلبون كفا على كف لايدرون فى أى طريق هم مسوقون . وبينما هم على هذه الحال من الحيرة أذا غرابان يحلقان فى السماء (على رواية المؤرخين ديودور الصقلى Diodore وكونت كورس Quinte Curce وارستوبول Aristobule) — أو ثعبانان (على رواية بطليموس) يزحفان فى البيداء . فاستبشر الاسكندر وايقن انه وجنده على مقربة من الواحة . جدّوا فى السير فوجدوا بحيرة فيها ماء مالح — بحيرة المعاصير — وبعد ٢٠ كيلو متراً صادفوا مدائن آمون (ولعلها بلدة الزيتون) وبعد يوم وصلوا الى معبد جوبيتير . (١)

— روينالك (٢) كيف ان جنود الاسكندر بعدما انتصروا على الهنود وأراد الاسكندر ان يتوغل فى بلاد الهند تذمروا ورفضوا المسير وقالوا أن الحرب أضنتهم وأنهم يودون العودة الى بلادهم ثم تقدم اسنّ القواد وتضرع اليه باسم الجيش بأن يقف الغزو

---

(١) سمو الامير الجليل عمر طوسون يميل الي تصديق الرواية الاولى ولا سيما انه يوجد هنالك ممر يطلقون عليه الى الآن اسم نقب الغرب كما يوجد من جهة الشرق جبل اسمه جبل اسكندر . راجع المذكرة التى وضعها سموه على رحلة اسكندر الى واحة سيوه وقد تليت في المجمع العلمى المصرى في جلسة ٥ فبراير سنة ١٩٣٤ .

(٢) راجع صفحتى ٤٦ و ٤٧ من كتابنا هذا

والفتح ويعود بهم الى الوطن إلا أن الاسكندر عند واستعند ولم تؤثر فيه بلاغة ولا ضراعة ولا شفاعة ولا تهديد ولا وعيد وقال « سأغزوا بلاد الهند حتماً ولو فعلت وحدى » ثم ألقى بنفسه فى النهر وهو مرتد ملابسه العسكرية وسبح الى ان بلغ الشاطىء الآخر . فلما رأى جنده ما فعل ملكهم امتثلوا وتبعوه . يذكرنا قول الاسكندر انه سيغزو بلاد الهند ولو غزاها وحده سابقتين تاريخيتين :

الاولى : لما فرّ نابليون من جزيرة ألب Elbe فرّ ومعه ١٠٠ر١ جندى غير مسلحين لم يكن معهم حتى مدفع واحد . وفى اول مارس سنة ١٨١٥ نزل فى خليج جوان Juan على مقربة من رأس أنتيب Antibes (جنوب فرنسا) فلما عرفه الاهالى صاحوا « يحيى الامبراطور » ثم زحف قاصداً باريس ولما وصل الى مدينة جرينوبل وجد ملك فرنسا لويس الثامن عشر قد ارسل لصده آلايين ونصف آلاى من المشاة وآلاياً من الفرسان وقوة من المدفعية . كان فى قدرة المشاة والفرسان والمدفعية ان تفتك بنابليون وبصحبه في لحظة . إلا ان نابليون لم يبال وتقدم ووقف وحده امام جنود ملك فرنسا فلما رأوه بهتوا وجمدوا فالتفت قائد الآلاى الاول الى قومندان الحامية وقال له « ماذا تريد أن افعل . أن جنودى جمدوا وتولتهم رعدة امام هذا الرجل » . عند ذلك كشف نابليون صدره للجنود وقال لهم « أنى امبراطوركم . هل تعرفونى . من حدثته نفسه منكم ان يقتل امبراطوره فها أنا امامكم » . [1] عند ذلك صاح الجنود

---

(١) وسليمان باشا الفرنساوى Colonel Sèves الذى كان من ضباط جيش نابليون وقف وقفة مثل وقفة نابليون هذه . اذ انه لما فكر محمد على باشا في وضع نظام جديد للجيش المصرى ندب سليمان أغا (الذى صار فيما بعد سليمان باشا الفرنساوى) ليدرّب ٤٠٠ من مماليكه على استعمال الاسلحة الجديدة وعلى عمل الحركات العسكرية حسب النظم الحديثة . فسافر بهم الى اسوان ليكونوا بعيدين عن جو الدسائس والتمرد والعصيان ولكن حدث أن سرت فيهم روح التمرد والعصيان فائتمروا به ليقتلوه . فبينما كان ذات يوم ممتطيا جواده يدربهم على ضرب النار فى ناحية قريبة من النيل اذا طلقات الجند — بدل أن تتجه نحو الهدف الذى عيّنه لهم — قد دوت حوله فأيقن بصحة الاشاعات التى تواترت واتصلت به من أن الجند ائتمروا به ليقتلوه . عند ذلك تقدّم أمام الصف الاول وصاح في الجند (ياكلاب . كيف تخطئون المرمى من هذه المسافة القريبة) ثم خطا نحوهم وقال لهم « هاصدري أمامكم اطلقوا النار ولا تخطئوا الهدف » فلما رأي الجند منه هذه الجرأة ذهلوا وبهتوا والقوا سلاحهم واعتذروا ثم صاروا من أخلص المخلصين له .

(فليحيي الامبراطور)وانضموا اليه ثم زحفوامعه الى أن دخل مدينة ليون Lyon ظافراً ومن ليون زحف الى ان دخل باريس .وقبل وصوله اليها فرّ ملك فرنساواستعاد نابليون صولجان ملكه . كل هذا تم فى ١١ يوماً . ومن الغريب ان نابليون استعاد سلطانه على فرنسا ولم تطلق طاقة واحدة . وقد وصف شاتوبريان Chataubriand عودة نابليون وحده واستعادته الحكم بكلمة جمعت بين الايجاز والاعجاز فقال :

"l'invasion de la France par un seul homme"

والثانية : لما ثار الايطاليون على النمساويين فى سنة ١٨٦٠ وأرادوا طردهم وضم جميع بلاد ايطاليا تحت راية واحدة وتحت حكم ملك واحد انبرى جاريبالدى Garibaldi على رأس ١٠٠٠ شخص ونزل فى مدينة مارسالا Marsala بجزيرة صقلية ثم زحف واستولى على مدينة بالرمو Palermo التى دافع عنها الجنرال لانزا Lanza مدة ثلاثة أيام. الا أن جريبالدى انتصر فى واقعة ميلازو Milazzo فى ٢٠ يوليه سنة ١٨٦٠ واستولى على مدينة مسينا Messine وباستيلائه عليها تم له غزو جزيرة صقلية كلها . بعد ذلك اراد أن يغزو مملكة نابولى le royaume de Naples وكان عليها الملك فرنسوا الثانى François II . وبمجرد ما اتصل بالملك فرنسوا خبر انتصار جريبالدى فى صقلية فر وترك مملكته . فعبر جريبالدى وحده البحر ودخل وحده فى مدينة نابولى العاصمة دون ان يكون معه جندى واحد وبدون ان يطلق طلقة واحدة وبسط سلطانه على المملكة كلها بصفته ديكتاتورا. ولما تم له الأمر أعلن انضمام مملكة نابولى الى مملكة ال بيمونت Piémont تحت راية ملكها فيكتور أيمانويل Victor Emmanuel وكان هذا تمهيدا لوحدة أيطاليا كلها .

– أتدرى من سماه اسكندر « الاكبر » . لا المقدونيون ولا الأغريق ولا الفرس هم الذين اطلقوا عليه هذا اللقب . الذين نعتوه «بالاكبر» هم الرومان . لأنه لما ذاع صيت اسكندر وأدهشت فتوحاته وغزواته العالم أراد مجلس شيوخ «روما» أن يظهر للملأ أعجابه بهذا الرجل العجيب الذى ملأ الأسماع وملأ النفوس وملأ كل فراغ فوق الارض وكل فضاء تحت السماء . فاجتمع وقرر أضافة لقب « الاكبر Magnus (le Grand) »

الى اسم الاسكندر . وقد طوى التاريخ ٢٫٣٠٠ سنة ولا يزال هذا اللقب حتى الآن يزين اسمه . ومن فرط أعجاب العالم به سماه بعض المؤرخين (سيد العالم Cosmocrator، maitre du monde) كما سماه البعض الآخر (رب المعجزات) وغـلا البعض فعدّوه نبيا من الانبياء، وذاعت خرافة بأنه بعد موته هبطت ملائكة وصعدت بروحه الى السماء، وقد انتهز بعض الفنانين فرصة شيوع هذه الخرافات وصنعوا تماويذ يتبرك بها الناس

ومن حسن المصادفات أن مجلس شيوخ فرنسا قرر هو أيضا فى خـلال سنة ١٨٠٥ اضافة وصف « الاكبر » الى اسم نابليون بعد أن انتصر فى ديسمبر سنة ١٨٠٥ على الروس والنمساويين فى واقعة أوسترليتس Austerlitz وقد أطلق المؤرخون على واقعة أوسترليتس هذه أسم (معركة الامبراطرة الثلاثة la bataille des trois empereurs) لأنه شهدها الامبراطور نابليون بنفسه وفرنسوا الثانى أمبراطور النمسا بنفسه واسكندر الثالث قيصر روسيا بنفسه . وكان من نتائج انتصار نابليون فى هذه المعركه أن فقدت النمسا بلاد التيرول Tyrol و بلاد البندقية Venise و بلاد دالماسيا Dalmatie وتقلصت السيادة التى كانت لها على المانيا .

- حتى موت اسكندر وانحلال امبراطوريته وتنازع قواده بعد موته واقتسامهم ممالكها وامارتها ودويلاتها اضحت هى ايضاً مضرب الامثال :

وهاك بعض امثلة منها :

" Autour de la doctrine de Jouffroy, nous trouverons toutes les écoles groupées, soit pour l'adopter, soit pour la modifier ou la combattre; ce philosophe eut, à sa manière, les funérailles d'Alexandre; les différentes écoles en vinrent aux mains autour de son cercueil. (Alfred Nettement : Littérature sous le gouvernement de Juillet.)

ومنها :

L'Asie était conquise ; la terre, suivant la belle expression de l'Ecriture, s'était tue devant Alexandre ; il avait fait son entrée à Babylone " non comme un conquérant, mais comme un Dieu," et le rôle éclatant et terrible qu'il avait joué touchait à sa fin. Les festins et les débauches de toute espèce avaient succédé aux batailles. Au milieu d'une dernière orgie, le conquérant fut saisi d'une fièvre qui l'emporta en quelques jours ; il ne laissait que des héritiers en bas âge ou incapables. On rapporte qu'a son lit de mort, ses généraux lui demandant à qui il

naissait l'empire, il répondit : " Au plus digne " puis il expira, " plein des tristes images de la confusion qui devait suivre sa mort."

ومنها :

" Alexandre laissait, en mourant des capitaines à qui il avait appris à ne respirer que l'ambition et la guerre. Il prévit à quels excès ils se porteraient quand il ne serait plus au monde ; pour les retenir et de peur d'en être dédit, il n'osa nommer ni son successeur ni le tuteur de ses enfants. Il prédit seulement que ses amis célébreraient ses funérailles par des batailles sanglantes." Bossuet.

- ها ثلاث كلمات لنابليون : الاولى تصدق عليه وعلى الاسكندر . والثانية تصدق عليه ولا تصدق على الاسكندر . والثالثة فيها توارد خاطرتين وخاطرتان متباينتان :

١ - قال نابليون وهو فى منفاه بجزيرة سانت هيـلانه أن حياتى العجيبة الخارقة للعادة صادفتها ظروف عجيبة خارقة للعادة لايأتى الدهر بمثلها الا مرة واحدة كل ألف سنة . ثم انتهى فقال : (حقا ان حياتى كانت رواية من الروايات)

" Quel roman pourtant que ma vie "

أليست هذه الكلمة تصدق على حياة اسكندر الأكبر تلك الحياة العجيبة التى صادفتها ظروف عجيبـة خارقة للعادة . أو ليست حياة اسكندر أشبه شىء برواية من الروايات ؟

٢ - بعد مادوخ نابليون ممالك أوروبا وزلزل عروش قياصرة وملوك روسيا والنمسا وبروسيا وايطاليا وآسبانيا وبلغ أوج العز والسلطان سأل محدثيه « ماذا سيقول الناس بعد موتى ياترى ؟ » . فأخذ كل واحد من محدثيه يصف له حزن العالم وتوجعـه من وقوع هـذه الكارثة . الا ان نابليون التفت الى سامعيه وقال لهم (لا . . . لا . . . أوروبا ستتنفس الصعداء وتقول « أف »

" A cette nouvelle, l'Europe pousserait un soupir de soulagement et dirait " Ouf "

وهذه الكلمة ان صدقت على نابليون فانها لاتصدق على الاسكندر . الم يقل دارا (اللهم أذا ارادت مشيئتك ان تسقط أسرتى عن العرش فاسكندر أولى به من سواه ؟) . ألم تقل أم دارا لما بلغها نبأ موته (مَن لنا بعدك يا اسكندر ودعت له بالرحمة ؟) . هذا ما قاله اعداء اسكندر فيه فما بالك بما قاله محبوه .

٣ - فى ١٣ ابريل سنة ١٨٢١ أستدعى نابليون - وهو فى منفاه - الكونت مونتولون Comte de Montholon واملى عليه وصيته وفيها أوصى بان يدفن رفاته فى باريس (على شاطئ نهر السين فى وسط الشعب الفرنساوى الذى أحبه)

" Je désire que mes cendres reposent sur les bords de la Seine au milieu de ce peuple français que j'ai tant aimé "

وقد نفذ ملك فرنسا لويس فيليب وصية نابليون فى خـلال سنة ١٨٤٠ ونقل رفاته من جزيرة القديسة هيلانة الى باريس (فى سراى الانفاليد Invalides) بعـد ماحصل على رضا الملكة فيكتوريا .

واسكندر الاكبر بدل ان يوصى بدفن جثمانه فى مدينة بيللا Pella مسقط رأسه وعاصمة مقدونيا أوصى بدفن جثمانه فى مصر بواحـة سيوه بجوار أبيه آمون رع الذى احبه . وقد نفذ بطليموس الوصية بعد ما تسلم زمام الحكم فى مصر فنقل رفات اسكندر من بابل الى مصر . فتأمل

- كانت آخرة الاسكنـدر آخرة مشئومة ، مشئومة على أسرته ومشئومة على امبراطوريته . أما أسرته فزوجته روكسان قتلت . وإبنه منها قتل . و بارسين محظيته قتلت . وإبنها منه قتـل . وأمه أولمبياس قتلت . وأخوه قتل [1]. عصف الدهر بهم فانقرضت اسرة الاسكندر الذى شاد أكبر امبراطورية فى العالم [2]

---

(١) صدق السلطان بايزيد اذ قال «ان الملوك ليس لهم اهل »
"Les rois n'ont pas de parents"

(٢) تذكرنا المآسى والمصائب التى حلت «بأسرة» الاسكندر المآسى والمصائب التى حلت بأسرتين عظيمتين من أسر اوروبا :

— فلويز الرابع عشر ملك فرنسا Louis XIV الذى عد من أعظم ملوك فرنسا بل من أعظم ملوك اوربا بل من أعظم ملوك العالم القـديم توالت على «أسرته» المصائب بكثرة ندر أن يكون لها مثيل . ذلك أن :

— ابنه الاكبر وولى عهده Le Dauphin مات فى حياته

— وابن ابنه الكبير Le duc de Bourgogne الذى أصبح ولى العهد بعد وفاة أبيه - ولى العهد - مات في حياته (بعد سنة واحدة من موت أبيه) .

— وزوجة ابن ابنه ماتت في حياته .

— وابن ابنه الآخر Le duc de Bretagne مات في حياته .

— وابن ابنه الآخر Le duc de Berri مات في حياته

— وزوجته هو ماتت في حياته وتزوج بمحظيته في أخريات أيامه .



اسكندر بعد موته

- وكما أن أسرته انقرضت ، كذلك امبراطوريته ، لأنه بعد وفاة اسكندر تنازع قواده السلطة على جميع البلاد الداخلة فى الامبراطورية وانتهى بهم الأمر الى اقتسامها . فاختص بطليموس بديار مصر . واختص لاوميدون بسوريا . وفيلوتاس بكليكيا . وميناندر بليديا . وليناتوس بفريجى . وبيتون بميديا . وكولنوس ببلاد سوس . وأرخون بمملكة بابل [١] وأومين Eumène بالبلاد المعروفة الآن بأسم ايالات سيواس

— ثم أصيب هو بغنغرينا في عظام ساقه .
— ومن تزاحم السنين والاحزان والمصائب عليه مات غما وهما وكمدا .
— وبذا انقرضت أسرته ولم يبق له إلا ابن ابن إبن ، ورث من بعده عرش فرنسا .
— وقد مات وفرنسا في حالة يرثى لها من الفوضى ومن الفقر بعد ان كانت ازهى واسعد مملكة في اوروبا حتى ان فينيلون Fénélon كتب الى لويز الرابع عشر في سنة ١٦٩٥ يقول له ان فرنسا اصبحت (مستشفى كبيراً عمها الخراب وانتابها الجوع) وكانت هذه الحالة الاليمة وليدة حروب كثيرة بين فرنسا وانجلترا وهولاندا والمانيا فكسدت تجارة فرنسا وعمت ضائقة مالية واقتصادية شديدة نتج عنها ثورات وفتن في بعض الولايات الفرنساوية وعم الوباء ومات كثير من الاهالى من الجوع وقلت غلة الاطيان ٣٠ ٪ وشكا الناس من برظ الضرائب وعمت البلوى فاضطرت الحكومة الى نصب المشانق واستعمال منتهى العنف والى هذه الحالة انتهت مملكة فرنسا في عهد لويز الرابع عشر الذى شبهوه بالشمس وعدّوه من أكبر ومن أعظم ملوك فرنسا .
— وقد أصيب فرنسوا جوزيف الثانى Francois Joseph امبراطور النمسا والمجر بمثل ما أصيب به لويز الرابع عشر ذلك أن :
— ابنه الوحيد رودلف Rodolphe انتحر في مايرلنج Mayerling في ٣٠ يناير سنة ١٨٨٩
— وزوجته الامبراطورة اليزابيت اغتالها فوضوي في سويسرا .
— وأخاه مكسيميلين Maximilien امبراطور مكسيكا اعدم رميا بالرصاص .
— واخت زوجته دوقة دالانسون La duchesse d'Alençon ماتت حرقا فيحفلة خيرية .
— وابن اخيه Ferdinand (ولى عهده) اغتاله طالب من اهالى البوسنه في سيرايفو Serajevo (وكان اغتياله سبب الحرب العالمية الكبرى التى دامت من اغسطس سنة ١٩١٤ الى نوفمبر سنة ١٩١٨
— وزوجة ولى العهد قتلت معه غيلة ايضاً .
— ثم مات الامبراطور من توالى الهموم والاحزان بسبب انكسار جيوشه في الحرب العالمية الكبرى
— وبموته انهارت الامبراطورية النمساوية ولم يبق لها أثر .

(١) ويذكرني انحلال امبراطورية اسكندر وقيام ممالك جديدة على أنقاضها انهيار امبراطورية شارلمان Charlemagne في القرن التاسع وكان هو ايضا من اعظم امبراطرة اوروبا فانه

وسيئوب وقسطموني وكلهم رجال عباقرة نفخ فيهم اسكندر من روحه فاشتهروا بالبطولة والحنكة الحربية والسياسية والأدارية وصاروا مضرب الأمثال في العبقرية المقدونية . أما انتيباتر Antipater فبقي رئيسا لحكومة مقدونيا واليونان . وأنتيباتر هذا - ويسمونه أيضاً أنتيباس Antipas - هو ذلك الأداري الحازم والسياسي الماهر والجندي الباسل الذي أولاه اسكندر ثقة لاحد لها حتى انه نصبه قائمقام مملكة مقدونيا مدة غيابه في آسيا وفي أفريقيا وقد قال فيه كلمته المشهورة : « نمت ملء جفوني لان انتيباس كان ساهراً »

" J'ai dormi paisiblement, car Antipas veillait "

بعد هذا لنا أن نقول : عفت مقدونيا

Finis Macedoniæ

كما قال أحد عظماء بولونيا [1] بعد انهيارها واقتسامها : عفت بولونيا

Finis Poloniæ

بعد موت الامبراطور شارل Charles le gros انهارت امبراطورية شارلمان L'empire d'Occident وقامت على أنقاضها سبع ممالك وهي مملكة ايطاليا ومملكة لورين Lorraine ومملكة بورجون Bourgogne ومملكة بروفانس Provence ومملكة نافار Navarre ومملكة فرنسا وهذا عدا دويلات صغيرة نشأت بجنب هذه الدول الكبيرة .

(١) يقول بعض المورخين ان الذى قال هذه الكلمة هو كوشيوسكو Kosciusko البولوني بعد ما هزم في واقعة ما سيوفيسته Macieiowicé

اسمـــاء

البلاد والمـدن والأنهار والجبال

قديماً وحديثاً

من يطالع كتب التاريخ القديم ولا سيما ماكان منه قبل ميلاد المسيح يجـد أسماء بلاد ومدن وأنهار وجبال غريبة لاتمت الى الاسماء الحالية بصلة مثال ذلك :

— البحر الأسود كان اسمه قديمًا Pont-Euxin

— وبحر مرمرة كان اسمه قديمًا Propontide

— والدردنيل كان اسمه القديم Hellespont

— ونهر قزل أرماق كان اسمه قديمًا Halys

— ونهر سرداريه كان اسمه قديمًا Jaxarte.

وهلم جرا بالنسبة الى بـلاد آسيا الصغرى ومدنها وثغورها وأنهارها وجبالها وبالنسبة الى سائر بلاد آسيا ومدنها وثغورها وأنهارها وجبالها . وبعض المدن لها اسماء متعددة منوعة بحسب مايرويها المؤرخون . خذ مثـلا مدينة سمرقند فان من المؤرخين من يسميها مرقنـد Maracande مثل بلين Pline ومنهم من يسميها براقند Paracande مثل سترابون Strabon والاسم الغالب هو سمرقند (وكانت عاصمة مملكة بخارى التترية غزاها جنكيز خان ثم اتخـذها تيمورلنك Tamerlan عاصمة لملكه وفيها الآن قبره)

فلهذا رأيت وضع بيان باسماء البلاد والمدن والأنهار والجبال قديمًا وحديثًا يسهل لقراء التاريخ القـديم معرفة مواضع البلاد ومواقع المدن والأنهار والجبال التى اشتهرت فى التاريخ القديم بحوادث تاريخية ذات بال :

A

نهر اراس او الكور او الكر (بندمير) Araxe

اولوبورلو Appolonia

الاخمينيين (وبالفارسية هخامنشى) Achéménides

ددهجاش Alexandropolis

اربل (على مقربة من الموصل) Arbèle ou Erbil

آردبيل (بلدة فى الازربيجان العجمى) Ardébil

افاميه (على نهر العاصي) Apamée

Aderbaidjan (anc. Médie) ادربيجان
Arachosie مقاطعة قندهار
Arie خراسان
Asterabad جرجان
Amanus طوروراق قامة سي
Amanus (Mont) جبل يالان طاغ
Ancyre انقره
Appolinopolis ادفو (مصر)
Acésine نهر في الهند اسمه الآن تشيناب
Artaxersès ارتاكزركس(وبالفارسية ارتخشيرشا)وقدذكر في الشاهنامه باسم اردشير
Arsinoè تطاق قديماً على السويس
Amou-Daria (Oxus) نهر جيحون
Axios (Vardar) واردار
Avicennes ابن سينا
Amphipolis. Neokhori نيو خورى

B

Béryte بيروت (اسمها القديم)
Byblos جبيل (فلسطين) لبنان ٧
Bactres بلخ (مسقط رأس البرامكة)
Babylone بابل (حلة)
Bithynie ايالة بروسه
Bubaste تل بسطة (بجوار الزقازيق)
Bactriane تركستان

C

Caspienne (Mer) بحر قزوين او بحر الخزر او بحر طبرستان
Ctésiphon طيسفون او المدائن (على بعد ٢٥ كيلومتراً من بغداد)
Crocodilopolis الفيوم
Chédia النشو البحرى (الآن)
Cadmus (Mont) جبل بابا طاغ
Cappadoce ولاية سيواس
Carie ايدين (اسيا الصغرى)
Cydnus نهر قره صو او طرسوس جاى
Cilicie كليكيا
Chalybon حلب
Cysique Auj. Aindschek.
Cophèse كابول
Corcyre Corfou جزيرة كورفو

D

Draugiane سايستان
Darius دارا
Delas نهر دياله (في ولاية بغداد)

E

Edesse اورفا
Elbourz (Mont) جبال البرز
Elam عيلام
Ecbatane اكباتان (عاصمة الاخمينيين القديمة) وفيها قبر ابن سينا الحكيم المشهور بنيت على انقاضها همذان
Emèse حمص
Enzéli بهلوى (ثغر على بحر قزوين)
Ephèse Auj. Aya Soulouk. اياصلوق على بعد ٦٠ كيلو متراً من أزمير

G

Granique. Auj. Oust-valasou نهر صوصو جرلى يقع غرب صوصور جاى
Gédrosie بلوشستان
Gange الكنج (نهر في الهند له ثمانية روافد ويصب في خليج بنغال)
Gessen وادى غسان (وادى الطميلات) في مصروهو الوادى الذى خرج منه بنو اسرائيل تحت قيادة سيدنا موسى الكليم
Gordium. juliopolis بي بازار
Georgie كرجستان
Gaugaméle جوجاميل (شرق مدينة اربل)
Gétes (les) اقوام بين نهر الدانوب والبلقان
Gog et Magog ياجوج وماجوج

H

Hérat هرات(عاصمة تيمورلنك)

Halys نهر قزل ارماق (او النهر الأحمر)

Hyphase (Ghorra ou Beyah) نهر فى الهند(أحد روافد نهر جناب واسمه الآن جوّرا اوبياح وهو النهر الذى اوقف عنده زحف اسكندر ومنه أمر بالعودة الى الوطن .

Hermopolis دمنهور (اسمها القديم)

Hebron الخليل (بفلسطين)

Heroonpolis اسم السويس (قديماً)

Halicarnasse Auj. Boudroum بودروم مسقط رأس هيرودوت المؤرخ الشهير الذى اقبوه بابي التاريخ

Hellespont الدردنيل

Hèbre نهر ماريتسا

Hycarnie مجموعة ايالتى جرجان ومازندران (عاصمتها زادرا كارتا)

Hydaspe جيحون نهر فى الهند اسمه الآن جيلم (وعلى شاطىء هذا النهر هزم الاسكندر ملك الهند بوروس Porus) ومنه أيضاً سار الاسكندر بسفنه الى ان وصل الى المحيط

Héraclée اركلى

I

Issus قرية ايلان .Ajazzo (على مقربة من باياس Payas)

Iaxarte (Syr-Daria) سيرداريا

Illyric دالماسيا وما اليها

Ionie تطلق تارة على شمال المورة (فى بلاد اليونان) تارة على البلاد الواقعة شرق اسيا الصغرى

Indus السند (نهر)

Illion مدينة بجوار (تراوده)

Iconium قونيه

Iris نهر يشيل ارماق

Ister الدانوب (نهر)

J

Joppé (Jaffa) يافا

Jébus (Jérusalem) القدس : اورشليم

Jerabis قرقميش

K

Kadjar عائلة قاجار

Khétas (Hittites) الحيثيين

Khorsabad تيوكجق(فى شمال نينوى والموصل)

Kében (Byblos) اسم قديم لمدينة (جبيل)

Kènnissrin خان نسرين اوقنسرين (بجوار حلب)

Koush بلاد اتيوبيا

Kechich Dag كشيش طاغ

Kadessieh القادسيه (قرب الكوفه)

L

Licopolis اسيوط

Lycie (Entre Carie et Pamphilie)

Lydie (Méonie) ليديا(جزء من ولاية آيدين)

Lutèce باريس

M

Matura الله باد

Mélita جزيرة مالطه

Memphis منف . منفيس(ميت رهينة الآن)

Milet (Golfe) خليج ميليه اندثر ولم يبق منه الا بحيرة اسمها كابي دبرن او آليس جاى او Oufa Bati

Milet ميليه اندثرت وقامت على انقاضها قرية بلاتشا Palatcha

Maracande سمرقند

Mysie البلاد الواقعة جنوب بحر مرمرة وشرق الدردنيل فى آسيا الصغرى

Marathus (Aradus) رواد

Mendès تمى الامديد (مركز السنبلاوين)

Myriandros اسكندرونه

Mazaca قيصرية

N

Napata نابانا (ابو دوم)

Naucratis نقراطس
Nicephorium الآن الرقه
Nishapour نيسابور
Nicée ازنيك
Nicomédie (Ismid. Kodja-Eli) ازميد
(Isnikmid) قوجايلي
Nabucodonosor بختنصر
Ninive نينوي (قيونجق)
Nehaveud نهاوند

O

Oxus (Amou-Daria) اكسوس (اموداريا)
نهر جيحون
Oronte نهر العاصى (نهر حمص وحماه وانطاكية)
Ourmiah (Ville ou Lac) رضاية
Olympe (Mont) Keshik-Dagh جبل
كشيك طاغ

P

Patala حيدراباد مدينة في الهندوستان الانجليزي
في بلاد السيخ على بعد ٢٢٥ كيلو مترا من
مدينة (دلهي)
Pinaros (Sari-Saki) صارى صاقيز أودلى چاى
Persépolis تخت جمشيد او اصطخر
Pont-Euxin البحر الاسود
Phocée (Varia) Appelée par les
Turcs Hadji-Liman حاجى ليمان
Pella (Aghioi Apostoloi) Yanitsa يانتسا
Propontide بحر مرمرة
Paratonium مرسى مطروح
Pasargade بازارجاد
Palmyre تدمر
Pamphylie الآن (ايالة كاراماز)
Perga قره حصار (آسيا الصغرى)
Parthie هي البلاد الواقعة جنوب بحر الخزر
وفيها مدينة الرى والمدائن واكباتان
Pamphlagonie (s'étendait sur le Pont Euxin entre les fleuves Parthénius et Halys.)
الآن لواء سينوب وقسطمونى
Phrygie في آسيا الصغرى وفيها انقره وقونيه
وجورديوم واللاذقية وكوتاهيه
Péluse الفرما (مصر)
Pisidie لوا اك شهر
Philippopolis Plovdif وتسمى الآن
Ptolémais عكا

R

Rakotis راقودة
Racca الرقة
Raghès Ragae مدينة (الري)
Raphia رفح
Recht رشت (عاصمة جيلان)

S

Sogdiane (صغد) تركستان بين نهرى سيحون
وجيحون
Sari صارى عاصمة مازندران
Sidon مدينة (صيدا)
Sagalassus بوددرون
Sardes سارت (كانت عاصمة ملوك ليديا)
Suse مدينة (سوس) او (شوشن)
Sozopolis (Auj. Sizobolu) مدينة فى تراقيا
على البحر الاسود (باغاريا)
Stagire (Kazandji Mahalla) قازانجى محله
وهى مسقط رأس ارسطاطاليس. ولما استردتها
اليونان من الترك بعد حرب سنة ١٩١٤ -
١٩١٨ اعادت اليها اسمها الاصلى
Sangarius اضه بازار
Senneh سنه
Scythes (Les) تطلق تارة على اقوام في
جنوب روسيا وتارة على قبائل في آسيا الصغرى
Sirdaria سرداريا
Saïs صا الحجر (غربية)
Strymon Strouma قره صو (نهر في مقدونيا)

T

Tyr	مدينة (صور)
Tauris	تبريز (عاصمة هولاكو ملك الدنيا من سنة ١٢٥٦ الى ١٢٦٥)
Tralles (Aidin)	سكان ايدين (آسيا الصغرى)
Triballes (Les)	سكان ترافيا
Tarse	طرسوس
Talent	عملة قديمة تساوي ٢٤٠ جنيهاً من عملة اليوم
Tamerlan	تيمورلنك
Thrace	تراقيا
Tan	صان (شرقية)
Tmolus	بوزطاغ

X

Xersès	اكزوركسيس (وبالفارسية خشايارشا)

Y

Yaxarte	نهر سرداريا

المراجع الافرنجية

— Les Vies des Hommes Illustres par Plutarque.
— Histoire Ancienne par Charles Rollin.
— Histoire d'Alexandre le Grand par Jean-Gustave Droysen.
— Alexandre le Grand par Ulrich Wilcken.
— Alexandre le Grand par Georges Radet.
— Notes critiques sur l'Histoire d'Alexandre par Georges Radet.
— Histoire des Lagides par Edwyn Bevan.
— Byzance par Auguste Bailly.
— Histoire Romaine par Victor Duruy.
— L'Antiquité. Orient-Grèce-Rome par Albert Malet.
— Histoire Ancienne de l'Orient par Tony Severin.
— Précis d'Histoire Ancienne par Le Bas.
— Biographies des Hommes célèbres par Georges Duruy.
— L'Egypte (Ancienne. Moderne. Contemporaine) par P. de Hénaut.
— Dictionnaire Philosophique de Voltaire.
— Histoire Ancienne des Peuples de l'Orient par G. Maspéro
— Asie Mineure par Charles Texier.
— Conquêtes en Asie par M. De Chavannes.
— Aperçu de l'Histoire d'Egypte par Auguste Mariette Bey.
— Histoire Ancienne par l'Abbé Drioux.
— Les Conquérants célèbres par M. De Chavannes.
— La Perse par Raymond Furon.
— Histoire de l'Iran Antique par Georges Cameron.
— Routes de Perse par A. Poidebard.
— Guide to Afghanistan par Mohemed-Ali.
— L'Egypte des Pharaons par Jean Capart et et l'Asie Occidentale ancienne par le Dr. G. Contenau.
— Note sur le voyage d'Alexandre le Grand à l'Oasis de Jupiter Ammon par S. A. le Prince Omar Toussoun.
— Les Essais de Montaigne.
— France (Géographie. Histoire. Littérature) par Bisi et Grimod.
— Revue des Deux-Mondes. 15 Février 1923.
— Le Moyen-Age jusqu'à la Guerre de Cent ans par CH, Aimond.
— La Fin du Moyen-Age et le XVIème Siècle par CH. Aimond.
— Le XVIIème et le XVIIIème siècle par CH. Aimond.
— Histoire de France par Lamé Fleury.

— Fleurs Historiques par P. Larousse.
— Alexandrea ad Aegyptum par Breccia.
— Histoire de la Turquie par A. de Lamartine (Tome I)
— " " " " " " " " (Tome II)
— " " " " " " " " (Tome III)
— " " " " " " " " (Tome IV)
— Coup d'Oeil sur la Chronologie de la Nation Egyptienne par J. Cattaui Pacha.
— Nouveau Guide de la Grèce par René Puaux.
— Histoire de France et Histoire Contemporaine par Gustave Ducoudray.
— Histoire Générale et Histoire de France par G. Ducoudray.
— Abrégé de l'Histoire des Egyptiens par Antoine-François Pornin.
— Napoléon par Eugène Tarlé.
— Causeries sur Notre Histoire par Gustave Hubault.
— Histoire de l'Europe par Victor Duruy.

المراجع العربية

- تاريخ القوقاز — ليوسف عزت باشا
- جولة فى كردستان الجنوبيه — للأستاذ على سيدو الكورانى
- رضا شاه بهلوى (نهضة ايران الحديثة) — لأحمد محمود السادانى
- العالم كما رأيته « جولة فى ربوع آسيا » — للرحالة المصرى محمد ثابت
- تاريخ الكرد وكردستان — لمحمد امين بك زكى الوزير العراقى
- مصر « فى قيصرية الاسكندر المقدونى » — للأستاذ اسماعيل مظهر
- تاريخ خليج الاسكندرية القديم وترعة المحمودية — لسمو الامير عمر طوسون
- الاسكندرية (المدن المصرية) — للأستاذ فؤاد فرج
- منطقة قنال السويس — » » »
- تاريخ وسيرة ومناقب امير المؤمنين الفاروق عمر ابن الخطاب — للأستاذ محمد رضا
- أمتاع الأسماع . بما للرسول من الأنباء والأموال والحفدة والمتاع — للمقريزى

فهرس

فهرس الصور

كتب المؤلف

١ - رسائل فى الوقف

٢ - الطعن فى الاحكام بطريق النقض والابرام (ترجمة كتاب مسيو دوهلتس)

٣ - قضاء المحاكم فى مسائل الأوقاف (نقله الى الفرنسية الأستاذ يعقوب خانكى)

٤ - خواطر خواطر

٥ - ما هنا وما هنا لك

٦ - مجموعة مذكرات فى بعض قضايا شهيرة

٧ - عشر رسائل فى القضاء والتشريع

٨ - مسائل قانونية ورسائل شتّى

٩ - شؤون مصرية - طبعة أولى

١٠ - « « - « ثانية

١١ - قنال السويس

١٢ - أحاديث

١٣ - أحاديث جديدة

١٤ - فرض ضريبة على التركات والهبات والتأمينات والوصايا والأوقاف واليانصيب

١٥ - الرق والعتق والولاء شرعاً ونظاماً

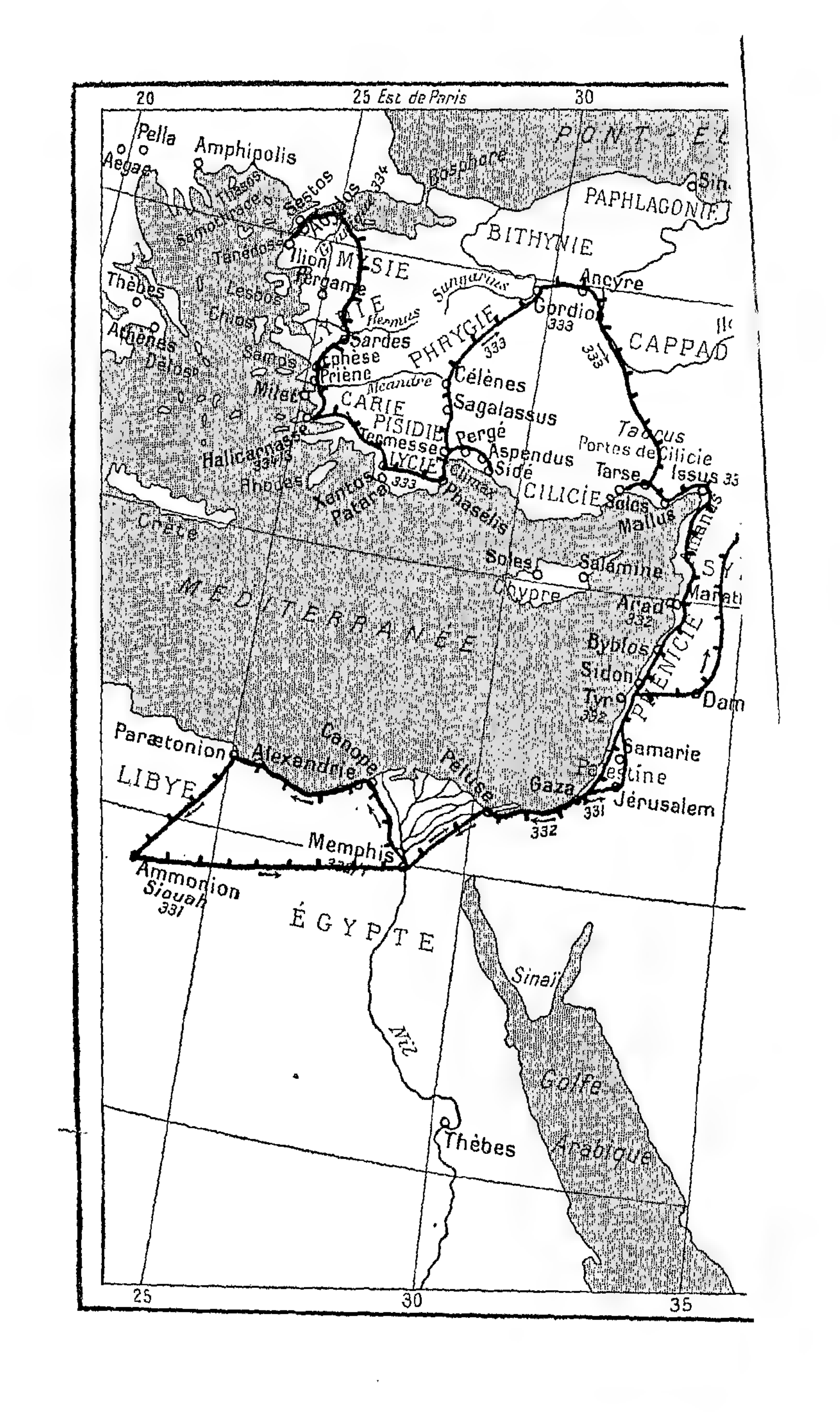
١٦ - الحكر والوقف والتقادم

١٧ - اختلاف [illegible] الارث مترجم الى اللغة الفرنسية

٢٢ ـ المماطلة فى الخصومة وعلاجها
٢٣ - ترك وأتاتورك - وترجمه الى اللغة الفرنسية الأستاذ جميل خانكى
٢٤ - قنال فاروق الأول
٢٥ - الذكرى المئوية لواقعة نزيب
٢٦ - المحاكم المختلطة والمحاكم الأهلية . ماضيها ـ حاضرها - مستقبلها
٢٧ - المحاماه قديماً وحديثاً - بالاشتراك مع الأستاذ جميل خانكى
٢٨ - التشريع والقضاء قبل إنشاء المحاكم الأهلية
٢٩ - نفحات تاريخية
٣٠ - حياة اسكندر الاكبر

تحت الطبع

١ - الآثار المصرية القديمة
٢ - القضاء على المذاهب الأربعة
٣ - الأحوال الشخصية لغير المسلمين
٤ - محمد على الكبير وذريته
٥ - الأمثال السائرة (القانونية والشرعية) بالعربية والفرنسية واللاتينية
٦ - لذعات . كلمات . نكات
٧ - L'esprit français dans l'histoire et dans la littérature
٨ - Fleurs historiques
٩ - Glanes [illegible]



20
25 Est de Paris
30
Pella
Aegae
Amphipolis
Sestos
Bosphore
PAPHLAGONIE
BITHYNIE
Tenedos
Ilion
MYSIE
Thèbes
Lesbos
Pergame
Chios
Ancyre
Gordion
333
CAPPAD
Athènes
Samos
Sardes
PHRYGIE
Éphèse
Priène
Célènes
Milet
CARIE
Sagalassus
PISIDIE
Pergé
Taurus
Halicarnasse
334
Aspendus
Portes de Cilicie
Sidé
Tarse
Issus
Rhodes
LYCIE
Patara
Phaselis
CILICIE
Solos
Mallus
Crète
Soles
Salamine
Chypre
MÉDITERRANÉE
Arad
332
Byblos
Sidon
PHÉNICIE
Tyr
Dam
Samarie
Paraetonion
Canope
Alexandrie
Péluse
Palestine
LIBYE
Gaza
Jérusalem
331
332
Memphis
Ammonion
Siouah
331
ÉGYPTE
Sinaï
Nil
Golfe
Thèbes
Arabique
25
30
35